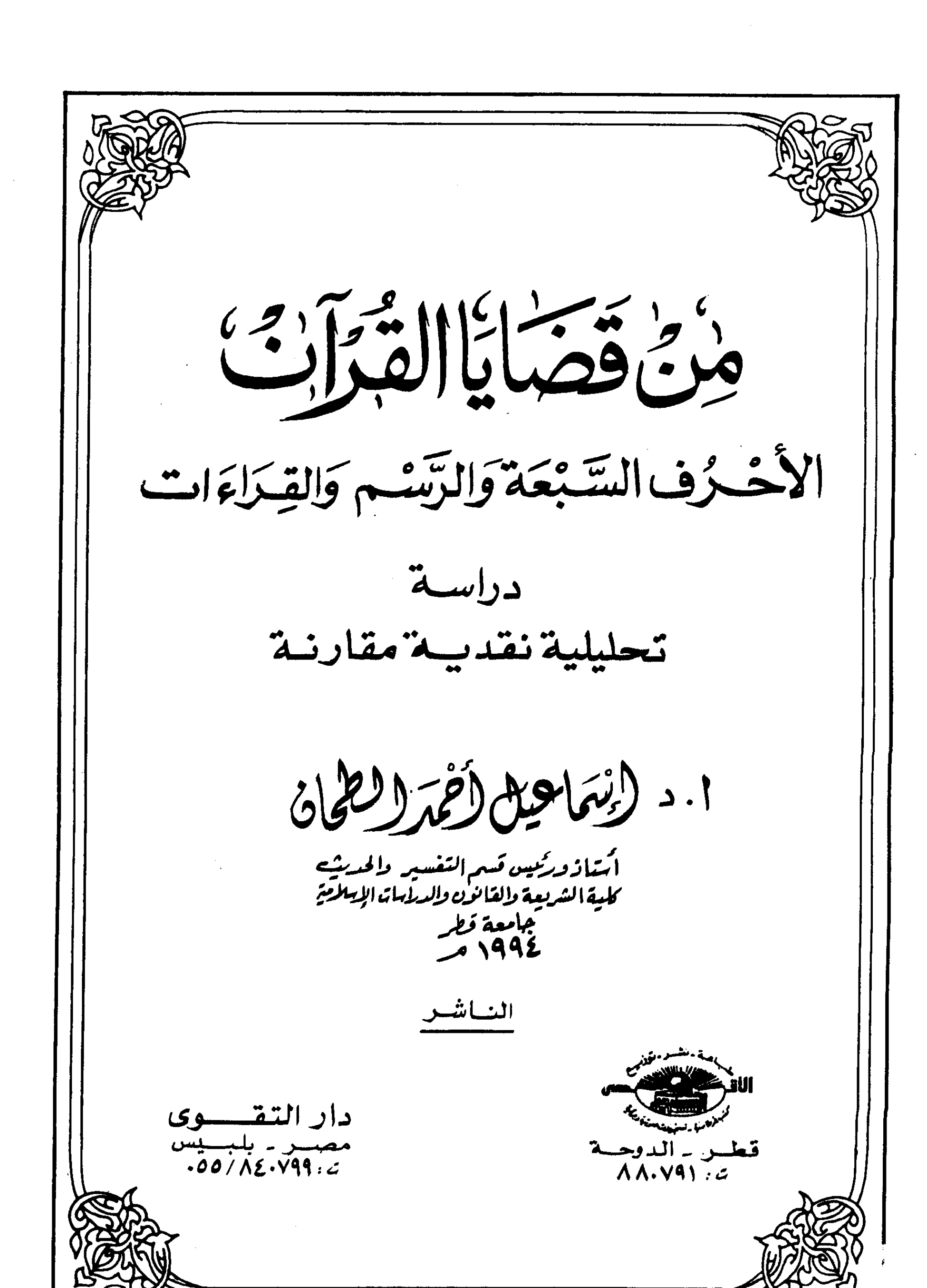


مِنْ قَضَايَا القُرْآنْ

الأحْرُف السَّبْعَة وَالرَّسْم وَالقِرَاءات

دراسة
تحليلية نقدية مقارنة

أ . د إسْمَاعِيل أحْمَد الطحان

أستاذ ورئيس قسم التفسير والحديث
كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية
جامعة قطر

١٩٩٤ م

الناشر

طباعة . نشر . توزيع
الأقصى
قطر ـ الدوحة
ت : ٨٨٠٧٩١

دار التقوى
مصر ـ بلبيس
ت : ٠٥٥/٨٤٠٧٩٩

الطبعة الثانية ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

تقديم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبي الكريم وعلي آله وصحبه أجمعين وبعد.

فإن لحديث الأحرف السبعة شأنًا خطيرًا في قضية القراءات، فلقد كان دون شك أساس نشوء القراءات بعامة وما تلا ذلك من انقسامها إلى صحيحة وشاذة، ولا يتأتى لباحث أن يتناول قضية القراءات دون أن يتعرض لماهية هذه الأحرف وأن يناقش ما أثير حولها من تفسيرات وما اشتجر فيها من خلاف في القديم والحديث.

ولعل كثرة ما قيل في ماهية هذه الأحرف من آراء كان إيماء إلى خطورة شأن هذا الحديث في تاريخ القرآن، فلم نظفر بحديث غيره من الأحاديث النبوية حظى بمثل ما حظى به هذا الحديث من اهتمام العلماء المسلمين، وما تعددت الآراء بمثل ما تعددت حوله، وتباينت إلى مدى أنكر فيه بعضهم آراء بعض ولم يسع كثير منهم أمام هذا الحشد المختلط من الأقوال إلا أن يدع الخوض في هذا الحديث، واعتبره من الأحاديث المشكلة حيث لا نص ولا أثر يحدد المراد منه.

ولقد ذهب بعض علماء الشيعة في الحديث مذهبًا أبعد من هذا فأنكر صحته جملة وتفصيلا[1].

ولم يكن اهتمام المستشرقين بهذا الحديث أقل من اهتمام العلماء المسلمين مع اختلاف الهدف من الاهتمام به، فلم يكن هَمّ المستشرقين منه إلا أن يثيروا من خلاله شكوكًا حول قيمة النص القرآنى وأن يرتبوا على فهمهم له (نظرية القراءة بالمعنى) وهى على حد قول (بلاشير) : (أن النص القرآنى بحرفه لم يكن لدى بعض المسلمين هو المهم وإنما المهم هو روحه)[2].

ولقد شغلنى أمر هذا الحديث منذ كتبت رسالتى (للدكتوراه)* في الظواهر اللغوية في القراءات[3] وأشرت في مقدمتها إلى هذا الحديث أستدل به على رخصة التيسير في قراءة القرآن، تلك الرخصة التى منحها الله لرسوله ﷺ تخفيفا على أمته. ولم أحاول إذ ذاك الخوض فيه بأكثر من ذلك عزمًا منى على أن أفرده بحدث مستفيض أتتبع فيه روايات هذا الحديث وما احتوته من إشارات وما تضمنته من قضايا وأفكار؛ لعلى أستطيع من خلالها أن أهتدى إلى رأى من آراء السابقين أطمئن إلى القول به والاعتماد عليه في ماهية هذه الأحرف.

وقد ظلت هذه المحاولة أملا يراودنى بين الحين والحين حتى كان أمرًا

---

(١) راجع البيان في تفسير القرآن : أبو القاسم الموسوى الخوئى / جـ ١ ص ١١٩ وما بعدها.
(٢) المدخل إلى القرآن / بلاشير / ٦٩ ، ٧٠.
(٣) الظواهر اللغوية في القراءات : دارسة مقارنة لتوجيهاتها عند اللغويين.

قد حفزنى على القيام بهذه المحاولة هو اضطلاعى بدراسة هذا الحديث لطلاب كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر.

وقد بدا لى أنّ جَمْعَ روايات هذا الحديث مصنفة على الأشكال التى ورد في إطارها أعونُ على دارسة ما تضمنته كل رواية من قضايا وأفكار في يسر؛ لاقتران روايات الشكل الواحد، وأنفى للإطالة حيث نحيل بعض الروايات علي بعض إذا تساوت في المضمون بعد التنبيه على ذلك.

ولقد تيسر لى جمع هذه الروايات كما تيسر لغيرى من الدراسين بفضل ما قام به أحد الشيوخ الأجلاء من استقصاء رواياته ونقد أسانيدها حين اضطلع بتحقيق تفسير الطبرى وهو من أهم التفاسير التى أولت قضية هذه الأحرف اهتماما ملحوظا في مقدمته (ما بين الصفحة الحادية والعشرين إلى الصفحة الثانية والسبعين)[1].

وليست محاولتى هذه أول محاولة في استقصاء روايات هذا الحديث، فقد سبق إليها بعض الباحثين فأفردها بملحق في كتابه (تاريخ القران) [2] غير أنه قد رتبها علي حسب الرواة، وهى محاولة طيبة أفدنا منها في تلك الدراسة. أسأل الله التوفيق والسداد، إنه نعم المولى ونعم النصير.

الدوحة في ربيع الأول ١٤٠٣ هـ
يناير ١٩٨٣ م

الدكتور
إسماعيل أحمد الطحان

(١) الطبعة الثانية الصادرة عن دار المعارف بمصر تحقيق الشيخ محمود شاكر.
(٢) د. عبد الصبور شاهين (تاريخ القرآن) الصادر عن دار القلم سنة ١٩٦٦ ص٢٣٩.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبى الكريم، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد،

فها هي ذى (الطبعة الثانية) لكتابنا (من قضايا القرآن : الأحرف السبعة والقراءات) استدركنا فيها ما كان في الطبعة الأولى من أخطاء مطبعية فأصلحناه، ومن مجمل القول ففصلناه ووضحناه، ثم زدنا فيها جديدا اقتضاه تطوير المناهج في الكلية بإضافة قضية ثالثة هى قضية (الرسم العثمانى)؛ لارتباطها الوثيق بقضية الأحرف والقراءات، عالجنا فيها ما اشتجر من خلاف حول مصدر هذا الرسم: أهو توقيفي أم اصطلاحى، وهل يجب الالتزام به، وما مقتضيات هذا الوجوب،ثم عرضنا ظواهر هذا الرسم من حذف وزيادة وبدل، وفصل ووصل، ومشكلة رسم الهمزة فيه، فوصفنا هذه الظواهر وصفا دقيقا، ثم فسرناها تفسيرا يسيغه المنطق وتؤيده الآثار؛ كل ذلك بأسلوب جاء منسجما مع ما توخيناه من أسلوب الكتاب بصفة عامة من يسر العرض، وسهولة التناول، وقرب المأخذ. .

والله نسأل أن يجعله عملا متقبلا صوابه، مغفورا خطؤه، وهو حسبنا ونعم والوكيل

الدوحة المحرم ١٤١٥ هـ / يونية ١٩٩٤

ا.د إسماعيل أحمد الطحان
أستاذ ورئيس قسم التفسير والحديث
بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية
بجامعة قطر



قضية الأحرف السبعة

روايات الحديث

ملاحظات الأقدمين على هذه النصوص

اتجاهات الأقدمين في تفسير الأحرف السبعة

مناقشة اتجاهات الأقدمين

التفسير المقبول للأحرف السبعة

التطبيق النبوي لرخصة الأحرف السبعة

روايات حديث الأحرف السبعة

لقد هدى النـظر في روايات هذا الحديث في مظانهـا إلى إنها وردت على ثلاثة أشكال هي :

(١) إعلام جبريل عليه السلام النبى ﷺ به في سياق محاورة بينهما.

(٢) التـعقـيب على قـصة تصـور خـلافًا بين الصـحابة في القـراءة واحتكامهم إلى النبي ﷺ فيما اختلفوا فيه.

(٣) إخبار النبى ﷺ أصحابه في مناسبات مختلفة اقتضت ذلك.

روايات الشكل الأول:

(١) حدثنا أبو كريب قال حـدثنا حسين بن على وأبو أسامة عن زائدة عن عاصم، عن زر، عن أبيّ (لقى رسول الله ﷺ جـبريل عند أحجار المراء فقال : إنى بعثت إلى أمة أميين منهم الغلام والخادم والشيخ العاسى والعجـوز . فقال جـبريل : فليـقرءوا القرآن على سـبعـة أحرف) ولفظ الحديث لأبى أسامة[1].

(٢) حدثنا محمد بن المثنى فقال : حدثنا محمد بن جعفر قال حدثنا شـعبـة عن الحكم عن مجـاهد عن ابن أبي ليلى عن أبيّ بن كـعب (أن النبى ﷺ كان عند أضاة بنى غـفار قال فأتاه جبريل فـقال : إن الله يأمرك

(١) هذا الحديث برقم (٢٩) تفسير الطبرى جـ / ١ ص / ٣٥ قال محققه : اسناده حسن صحيح (أحجار المراء) : موضع بقباء خـارج المدينة، خلافا لما ذهب إليه البكرى في معجم مـا استعجم / ١١٧ إذ زعم أنه موضع بمكة وذلك وهم منه.

أن تقرىء أمتك القرآن علي حرف، قال أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتى لا تطيق ذلك، قال ثم أتاه ثانية فقال : إن الله يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على حرفين، قال أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم جاءه الثالثة فقال: إن الله يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على ثلاثة أحرف، قال أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتى لا تطيق ذلك، ثم جاءه الرابعة فقال : إن الله يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن علي سبعة أحرف فأيما حرفٍ قرءوا فقد أصابوا)[1].

(٣) حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب، أخبرنى سليمان بن بلال عن أبى عيسي بن عبد الله بن مسعود عن أبيه عن جده عبد الله ابن مسعود : أن رسول الله ﷺ قال : (أمرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف كل كاف شاف) [2].

(٤) حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال أنبأنا ابن وهب قال أخبرنى يونس ـ وحدثنى أبو كريب، قال حدثنى رشد بن سعد عن عقيل بن خالد جميعا عن أبى شهاب قال حدثنى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن ابن عباس حدثه أن رسول الله ﷺ قال : (أقرأنى جبريل على حرف فراجعته، فلم أزل استزيد، فيزيدنى حتى انتهى إلى سبعة أحرف ـ قال ابن

---

(١) هذا الحديث برقم (٣٥) تفسير الطبرى جـ / ١ ص / ٤٠ قال محققه ، رواه أحمد ومسلم وأخرجه (أضاة بنى غفار) : موضع بالمدينة راجع معجم ما استعجم جـ / ١ ص / ١٦٤ تحقيق مصطفى السقا.

(٢) هذا الحديث برقم (٤٣) تفسير الطبري جـ ١ ص / ٤٥ قال محققه : إسناده مشكل .

شهـاب : بلغنى أن تلك السـبعـة الأحرف إنما هى في الأمـر الذى يكون واحدًا لا يختلف في حلال ولا حرام) [1].

(٥) حدثنا اسـماعـيل بن موسى السـدى قال أنبأنا شـريك عن أبى اسحاق عن سليمان بن صرد يرفـعه قال : (أتانى ملكان فقل أحدهما : اقرأ قال عـلى كم ؟ قال : على حرف . قال : زده حـتى انتهى به إلى سبعة أحرف)[2].

(٦) حدثنـا أبو كريب قـال : حدثنا زيد بن الحـباب عن حـماد بن سلمة، عـن على بن زيد عن عبد الـرحمن بن أبي بكرة عن أبيـه قال : (قـال رسول الله ﷺ قـال جبـريل : اقـرءوا القران علي حـرف. فقـال ميكائيل : استـزده فقال على حرفين حتي بلغ سـتة أو سبعة أحـرف فقال كلهـا شاف كاف مـا لم يختم آية عـذاب برحمـة، أو آية رحمـة بعذاب كقولك : هلم وتعال)[3].

---

(١) هذا الحديث برقم (١٩) تفسير الطبرى جـ ١ /ص / ٢٩ قال محققه : هو باسنادين أولهما صحـيح، والاخر ضعيف، ولهذا الحديث اسناد اخر صحـوح وهو في تفسير الطبرى ص / ٣١.

(٢) هذا الحديث برقم (٢١) في تفسير الطبرى جـ/١ ص / ٣٠ قال محققه : الحديث صحيح في ذاته.

(٣) هذا الحديث برقم (٤٠) في تفسـير الطبرى جـ/١ ص/ ٤٣ قال محـققه : رواه أحمد في المسند = ملاحظة : لأبى أربع روايات أخري من هذا الشكل في تفـسير الطبـري جـ/١ ص / ٣٩ برقم (٣٤) وص / ٤٠ برقم (٣٦) ، ص / ٤٠ برقم (٣٧).، ص (٤٦) برقم (٤٦.)

روايات الشكل الثاني:

(١) حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال : أخبرني هشام بن سعـد عن عبيد الله بن عمر عن عـبد الرحمن بن أبى ليلي عن أبيّ بن كعب أنه (قال سمعت رجـلا يقرأ في سورة النحل قراءة تخالف قراءتى، ثم سـمعت آخر يقرؤها قـراءة تخالف ذلك فانطلقت بهـما إلى رسـول الله ﷺ فـقلت: إني سـمـعت هذين يقـرآن في سـورة النحل، فسألتهما : من أقرأهما فقالا : رسول الله ﷺ، فقلت لأذهبن بكما إلى رسول الله ﷺ ، إذ خالفتما مـا أقرأنى رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ لأحدهما اقرأ، فـقرأ فقال أحسنت، ثم قال للآخر اقرأ فـقرأ فقال : أحسنت، قـال أبيّ : فوجـدت في نفسي وسـوسة الشـيطان حتي احـمر وجهي فعرف ذلك رسول الله ﷺ في وجـهي، فضرب بيده في صدرى، ثم قال : اللهم أخسىء الشيطان عنه، يا أبيّ : أتاني آت من ربي فقال : إن الله يأمرك أن تقـرأ القرآن على حرف واحد، فـقلت : رب خفف عن أمتي، ثم أتـانى الثانية فـقال : إن الله يأمـرك أن تقرأ القـرآن على حرف واحد، فقلت رب خفف عن أمتى، ثم أتاني الثالثة فقال مثل ذلك، وقلت مثله، ثم أتانـى الرابعة فقـال : إن الله يأمرك أن تقرأ القـرآن على سبـعة أحرف، ولك بكل ردة مسألة، فقلت : يا رب اغـفر لأمتى، يا رب اغفر لأمتى، واختبأت الثالثة شفاعة لأمتي يوم القيامة)[١].

---

(١) هذا الحـديث برقم (٣٨) في تفسـير الطبـري جـ/ ١ص ٤١ قال مـحققـه : هذا الاسناد نقله ابن كثير في الفضائل / ٥٦ ـ ٥٧ وقال إسناده صحيح.

وعن أبيّ روايات أخري منها:

(٢) حدثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعاني، قال حدثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت عبيد الله بن عمر عن سيار أبي الحكم، عن عبد الرحمن ابن أبى ليلي، رفعه إلى النبى ﷺ : ذكر أن رجلين اختصما في آية من القرآن وكل يزعم أن النبي ﷺ أقرأه فتقارءا إلى أبيّ. . فذكر نحوما سبق مع اختلاف بعض الألفاظ، كلفظ (أصبت) بدل (أحسنت) وزيادة بعض الجمل وهى (فدخلني من الشك في أمر رسول الله ﷺ ما دخل فيّ من أمر الجاهلية)، (استعذ بالله من الشيطان الرجيم، قال : ففضت عرقًا وكأني أنظر إلى الله فرقا)، (. . حتي إن إبراهيم خليل الرحمن ليرغب فيها)[1].

ومنها:

(٣) حدثنا أبو كريب قال : حدثنا وكيع عن اسماعيل بن أبى خالد، عن عبد الله بن عيسى بن أبى ليلى، وعن ابن أبى ليلى عن الحكم، عن ابن أبى ليلى عن أبيّ قال : دخلت المسجد فصليت فقرأت النحل. . فذكر نحو ما سبق مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ مثل (فدخل قلبي أشد مما كان في الجاهلية من الشك والتكذيب)، (أعاذك الله من الشيطان وأخسأ عنك الشيطان)، (فقال : أتاني جبريل، فقال اقرأ القرآن على حرف واحد، فقلت: إن أمتي لا تستطيع، حتى قال سبع

(١) هذا الحديث بقرم (٣٩) في تفسير الطبري جـ/ ١ ص/ ٤١ قال محققه : وهذا إسناده صحيح إلي عبد الرحمن بن أبى ليلى ولكنه مرسل إذ لم يذكر ابن أبي ليلى عمن رواه من الصحابة وهو مؤيد بروايات ابن ليلى الماضية عن أبي بن كعب فهو كالمتصل معني.

مرات . .)[1].

ومنها:

(٤)حدثنا أبو كريب قال : حدثنا ابن نمير، قال : حدثنا إسماعيل ابن أبى خالد وحدثنا عبد الحميد بن بيان القناد قال : حدثنا محمد بن يزيد الواسطي عن اسماعيل عن عبد الله بن عيسي بن عبد الرحمن بن ابى ليلي، عن جده، عن ابى بن كعب، قال : كنت في المسجد. . فذكر نحو ما سبق مع اختلاف فى بعض العبارات مثل (فحسن رسول الله ﷺ شأنهما فوقع في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية)، (فرددت عليه : أن هون على أمتي)، وقال ابن بيان في حديثه : (فقال لهم النبي ﷺ : قد أصبتم، وأحسنتم) وقال أيضا (فارفضضت عرقًا)[2].

ومنها:

(٥) حدثنا أبو كريب قال : حدثنى يحيي بن آدم ، قال : حدثنا اسرائيل عن أبى اسحاق عن فلان العبدى، قال : أبو جعفر: ذهب عنى اسمه، عن سليمان بن صرد، عن أبيّ بن كعب قال : رحت إلي المسجد. . . فذكر نحو ما سبق سوى أن بهذه الرواية رجلا واحدا لا

(١) هذا الحديث برقم (٣٢) في تفسير الطبرى جـ / ١ ص / ٣٧ قال محققه : هو باسنادين احدهما متصل صحيح ، والاخر ظاهر الاتصال والحديث صحيح بالروايات المتصلة.

(٢) هذا الحديث برقم (٣٠) في تفسير الطبرى جـ / ١ ص / ٣٦ قال محققه : إسنادهما، صحيحان.

رجلين. واختلاف في بعض العبارات مثل (أن الملكين أتياني فقال أحدهما اقرأ القرآن على حرف، وقال الآخر: زده قال: فقلت زدني قال: اقرأ على حرفين حتى بلغ سبعة أحرف فقال: اقرأ على سبعة أحرف)[1].

ومنها:

(٦) حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا ابن أبي عدى، وحدثنا أبو كريب قال حدثنا محمد بن ميمون الزعفراني، جميعًا عن حميد الطويل، عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن أبى بن كعب - رضى الله عنه - قال: ما حاك في صدرى شيء منذ أسلمت إلا أني قرأت آية فقرأها رجل غير قراءتى... ثم ذكر نحو ما سبق مع تفصيل فيه مثل (إن جبريل وميكائيل عليهما السلام أتيانى فقعد جبر يل عن يميني، وميكائيل عن يساري فقال جبريل: اقرأ القرآن على حرف واحد، وقال ميكائيل: استزده، قال جبريل اقرأن القرآن على حرفين، فقال ميكائيل: استزده حتى بلغ ستة أو سبعة - الشك من أبى كريب - وقال ابن بشار في حديثه: حتي بلغ سبعة أحرف - ولم يشك فيه - وكل شاف كاف، ولفظ الحديث لأبى كريب)[2].

---

(١) هذا الحديث برقم (٢٥) في تفسير الطبرى جـ / ١ ص / ٣٢ قال محققه: اسم الراوي (فلان العبدى) هو سقير العبدى.. واسناده صحيح.

(٢) هذا الحديث برقم (٢٦) في تفسير الطبري جـ/ ١ص/ ٣٣ قال محققه: هذا الحديث باسنادين محمد بن بشار عن ابن أبى عدي، وأبو كريب عن محمد بن ميمون الزعفرانى كلاهما عن حميد لطويل، فالإسناد الأول صحيح على شرط الشيخين دون خلاف، والإسناد الثاني فيه (محمد بن ميمون الزعفرانى) وهو ثقة وثقه ابن معين وأبو داود وغيرهما، وضعفه البخارى والنسائى وغيرهما، والحديث صحيح بكل حال اذ لم ينفرد بروايته هذان.

= ملحوظة لأبىّ رضى الله عنه ثلاث روايات أخرى من هذا الشكل ليس بها سوى ما ذكر، ويمكن الرجوع إليها في تفسير الطبرى جـ/ ١ص/ ٣٤ برقم (٢٧)، ص / ٣٧ برقم (٣١)، ص/ ٣٩ برقم (٣٣).

ومن هذا الشكل حديث عمر رضى الله عنه:

(٧) حدثني يونس بن عبد الأعلي، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس، عن ابن شهاب، قال: أخبرني عروة بن الزبير: أن المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن عبد القارى أخبراه: إنهما سمعا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ، فاستمعت لقراءته، فاذا هو يقرؤها على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ فكدت أساوره في الصلاة، فتصبرت حتى سلم، فلما سلم لببته بردائه، فقلت: من أقرأك هذه السورة التى سمعتك تقرؤها، قال: أقرنيها رسول الله ﷺ، فقلت كذبت، فوالله إن رسول الله ﷺ لهو أقرأنى هذه السورة التى سمعتك تقرؤها، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ فقلت يا رسول إنى سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها وأنت أقرأتنى سورة الفرقان.. قال: فقال: رسول الله ﷺ: أرسله يا عمر، اقرأ يا هشام، فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرؤها، فقال رسول الله ﷺ: هكذا أنزلت، ثم قال رسول الله ﷺ: اقرأ يا عمر فقرأت القراءة التى أقرأنى رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ هكذا أنزلت، ثم قال رسول الله ﷺ: (إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منها)[1].

ولابن عمر رضي الله عنه رواية من هذا الشكل أيضا هى:

(٨) حدثنا عبيد الله بن محمد الفريابى، قال: حدثنا عبد الله بن

(١) هذا الحديث برقم (١٥) في تفسير الطبرى جـ/ ١ ص/ ٢٤ قال محققه حديث صحيح أخرجه الستة.

ميمون، قال حدثنا عبيد الله بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب، عن نافع عن ابن عمر قال: سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلا يقرأ القرآن فسمع آية على غير ما سمع من النبى ﷺ، فأتي به عمر إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله إن هذا قرأ كذا وكذا، فقال: رسول الله ﷺ : (أنزل القرآن على سبعة أحرف، كلها شاف كاف)[1].

(٩) حدثنى أحمد بن منصور قال: حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال: حدثنا حرب بن ثابت من بنى سليم قال: حدثنا اسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة عن أبيه، عن جده قال: قرأ رجل عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه فغير عليه، فقال : لقد قرأت على رسول الله ﷺ فلم يغير على، قال: فاختصما عند النبى ﷺ فقال : يا رسول الله ألم تقرئنى آية كذا وكذا. . قال:بلى. . قال: فوقع في صدر عمر شىء، فعرف النبى ﷺ ذلك في وجهه، قال : فضرب صدره، وقال ابعد شيطانا ـ قالها ثلاثا ـ ثم قال : يا عمر: (إن القرآن كله صواب، ما لم تجعل رحمة عذابًا، أو عذابا رحمة)[2].

---

(١) هذا الحديث برقم (١٧) في تفسير الطبري جـ/ ١ص/ ٢٧ قال محققه: حديث اسناده ضعيف جدا من أجل عبد الله بن ميمون بن داود القداح. . قال البخارى: ذاهب الحديث، وقال أبو حاتم والترمذي، منكر الحديث، وقال أبو حاتم : لا يجوز الاحتجاج به اذا انفرد ، ومعني الحديث في ذاته صحيح.

(٢) هذا الحديث برقم (١٦) في تفسير الطبرى جـ/ ١ص/ ٢٥ قال محققه : بعد أن افاض في نقده، وقد صح الحديث والحمد لله.

(١٠) حدثنى يونس بن عبد الأعلي قال: أخبرنا ابن وهب قال: أخبرني سليمان بن بلال عن يزيد بن خصيفة عن بسر بن سعيد أن أبا جهيم الأنصارى أخبره : أن رجلين اختلفا في آية من القرآن، فقال هذا تلقيتها من رسول الله ﷺ، وقال الآخر تلقيتها من رسول الله ﷺ ، فسألا رسول الله ﷺ عنها فقال: رسول الله ﷺ : (إن القرآن أنزل على سبعة أحرف، فلا تماورا في القرآن فإن المراء فيه كفر)[١].

(١١) حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء قال : حدثنا أبو بكر بن عياش قال: حدثنا عاصم عن زر، عن عبد الله، قال: اختلف رجلان في سورة الأحقاف فقال هذا : أقرأنى النبى ﷺ، وقال هذا: أقرأنى النبي ﷺ، فأتي النبى ﷺ فأخبر بذلك قال: فتغير وجهه وعند رجل، قيل هو على بن أبي طالب فقال : اقرءوا كما علمتم ـ فلا أدري أبشيء أمر، أم شيء ابتدعه من قبل نفسه فإنما أهلك من كان قبلكم اختلافهم على أنبيائهم، قال: فقام كل رجل منا وهو لايقرأ على قراءة صاحبه، نحو هذا ومعناه[٢].

روايات الشكل الثالث:

(١) حدثنا محمد بن مرزوق قال: حدثنا أبو الوليد، قال : حدثنا

---

(١) هذا الحديث برقم (٤١) في تفسير الطبرى جـ/١ص/٤٣ قال محققه : صحيح الاسناد بعد أن أفاض في نقده..

(٢)هذا الحديث برقم (١٢) في تفسير جـ/ ١ص/ ٢٣ قال محققه : إسناده صحيح.

= ملحوظة : لأبن مسعود روايتان أخريان من هذا الشكل ويمكن الرجوع إليهما في تفسير الطبرى جـ/ ١ص/ ٢٣ برقم (١٣)، ص/ ٢٨ برقم (١٨).

ولزيد بن أرقم رواية من هذا الشكل، أغفلنا ذكرها، لقول المحقق عنها، حديث لا أصل له راجع تفسير الطبرى جـ/ ١ص/ ٢٤ برقم (١٤).

حماد بن سلمة عن حميد عن أنس بن مالك عن عبادة بن الصامت عن أبيّ بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ : (أنزل القرآن على سبعة أحرف)[1].

(٢) حدثني عبيد بن أسباط بن محمد، قال: حدثنا أبى عن محمد ابن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : (أنزل القرآن على سبعة أحرف عليم حكيم، غفور رحيم)[2].

(٣) حدثنا عمرو بن عثمان العثمانى قال: حدثنا ابن أبى أويس قال: حدثنا أخي، عن سليمان بن بلال عن محمد بن عجلان عن المقبري، عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرءوا ولا حرج ولكن لاتختموا ذكر رحمة بعذاب، ولا ذكر عذاب برحمة)[3].

(٤) حدثنا محمد بن حميد الرازي قال: حدثنا جرير بن عبد الحميد عن مغيرة عن واصل بن حيان عمن ذكره، عن أبى الأحوص، عن

---

(١) هذا الحديث برقم (٢٨) في تفسير الطبرى جـ/ ١ص/ ٣٤ قال محققه: إسناده صحيح.

(٢) هذا الحديث برقم (٨) في تفسير الطبرى جـ/ ١ص / ٢٢ قال محققه: صحيح الإسناد.

(٣) هذا الحديث برقم (٤٥) في تفسير الطبرى جـ/ ١ص/ ٤٥ قال محققه : إسناده صحيح.

= ملحوظة: لأبى هريرة رواية أخري من هذا الشكل برقم (٧) ص/ ٢١ فارجع إليه.

عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: (أنزل القران على سبعة أحرف لكل حرف منها ظهر وبطن، ولكل حرف حد، ولكل حد مُطَّلَع)[1].

(٥) حدثنا محمد بن عبد الله بن أبى مخلد الواسطي، ويونس بن عبد الأعلى الصدفي، قالا: حدثنا سفيان بن عيينه، عن عبيد الله، أخبره أبوه: أن أم أيوب أخبرته أن النبى ﷺ قال: (أنزل القرآن على سبعة أحرف أيها قرأت أصبت)[2].

(٦) حدثنا يونس قال: أخبرنا سفيان عن عمرو بن دينار قال: قال النبى ﷺ: (أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف)[3].

* * *

---

(١) هذا الحديث برقم (١٠) في تفسير الطبري جـ/ ١ص/ ٢٢ قال محققه: اسناده ضعيف.

(٢) هذا الحديث برقم (٢٠) في تفسير الطبرى جـ / ١ص / ٣٠ قال محققه: اسناده صحيح.

= ملحوظة: لأم أيوب روايتان في تفسير الطبري ص/ ٣١ برقم (٢٣)، ص/ ٣٢ برقم (٢٤).

(٣) هذا الحديث برقم(٤٢) في تفسير الطبري جـ / ١ص / ٤٤ قال محققه: حديث مرسل.

ملاحظات الأقدمين على هذه النصوص

أولا: ذكر السيوطى[1] أن عدد الصحابة الذين رووا هذا الحديث واحد وعشرون صـحابيا وفي جـملتهم أحد عشـر ممن ورد ذكرهم في الرويات التى أثبتناها وهم:

أبى بن كـعب، وأنس بن مـالك، وعـمـر بن الخطاب، وهشـام بن حكيم، وأبو طلحـة الأنصـارى، وأبو جهـيم الأنصـاري، وعبـد الله بن مسـعود، وعبـدا لله بن عباس، وسليـمان بن صرد، وأبو بـكرة نفيع بن الحارث، وأبو هريرة.

حذيفة بن اليمان، وزيد بن أرقم، وسمرة بن جندب، وعبد الرحمن ابن عوف، وعثمان بن عفان، وعـمروبن أبي سلمة، وعمرو بن العاص، ومعاذ بن جبل، وأبو سعيد الخدرى، وأبو أيوب الأنصارى.

وقد أغفل ذكر ثلاثة ممن أثبتنا روايتهم وهم:
عبادة بن الصامت، وعبد الله بن عمر، وأم أيوب..
وبذلك تكون عدتهم علي التحقيق أربعة وعشرين صحابيا.

ثانيا: روى الحافظ أبو يعلى في مسنده الكبيـر أن عثمان رضى الله عنه

(١) راجع الأتقان ١/١٣١ .

قال يوما وهو على المنبر أذكـر الله رجلا سمع النبى ﷺ قال : إن القرآن نزل على سبعة أحرف كلها شاف كـاف. لما قام،فقاموا حتي لم يحصوا، فشهدوا أن الرسـول ﷺ قال: أنزل القرآن على سبعة أحـرف كلها شاف كاف. فقال: عثمان رضي الله عنه وأنا أشهد معهم[١].

ثالثا: قال أبو عبيد القاسم بن سلام: قد تواترت هذه الأحاديث كلها على الأحرف الـسبعـة إلا حديثـا واحدًا يروى عن سمـرة بن جندب عن النبي ﷺ أنه قال: أنزل القرآن على ثلاثة أحرف.

قال أبو عبيد: ولا نرى المحفوظ إلا السبعة المشهورة[٢].

رابعًا: زعم السيـد أبو القاسم الموسـوى الخوئي الشيـعى المذهب في كتابه (البـيان في تفسير القـرآن) إن روايات هذا الحديث ـ وكلها من طرق أهل السنة ـ مخـالفة لصحيـحة زرارة عن أبى جعفـر ـ ع ـ قال: إن هذا القرآن واحد، نزل من عند واحد، ولكن الاختلاف يجيىء من قبل الرواة وأيضا إن الصادق عليـه السلام حكم بـكذب الرواية المشهـورة بين النـاس (نزل القرآن على سبعة أحرف)، ولكنه نزل على حرف واحد من عند الواحد[٣].

وهذا زعم باطل، ورأى مردود، لا ينهض بحجة صـاحبه أمام حديث متواتر، رواه أربعة وعشرون صحابيا من أجلاء الصحابة.

(١) الاتقان ١/ ١٣١.

(٢) المرشد الوجيز لأبى شامة ٨٧،٨٨.

(٣) تاريخ القران /د. عبد الصبور شاهين /٢٩، ٣٠ نقلا عن مصدره.

خامسًا: قال ابن الجزرى: وأما سبب وروده على سبعة أحرف، فللتخفيف على هذه الأمة وإرادة اليسر بها، والتهوين عليها شرفا لها، وتوسعة ورحمة، وخصوصية لفضلها وإجابة لقصد نبيها ﷺ. . . حيث أتاه جبريل عليه السلام فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف، فقال ﷺ: أسأل الله معافاته ومغفرته، فإن أمتى لا تطيق ذلك ولم يزل يردد المسألة حتى بلغ سبعة أحرف. . وذلك أن الأنبياء عليهم السلام كانوا يبعثون إلى قومهم الخاصين، والنبى ﷺ بعث إلى جميع الخلق أحمرهم وأسودهم، عربيهم وعجميهم، وكان العرب الذين نزل القرآن بلغتهم، لغاتهم مختلفة وألسنتهم شتى، ويعسر على أحدهم الانتقال من لغة إلى غيرها، أو من حرف إلى آخر، بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك ولو بالتعليم والعلاج ولا سيما الشيخ والمرأة ومن لم يقرأ كتابا كما أشار إليه ﷺ، فلو كلفوا العدول عن لغتهم والانتقال عن ألسنهم، لكان من التكليف بما لا يستطاع، وما عسى أن يتكلف المتكلف وتأبي الطباع[1].

سادسًا: إن مرات استزادة الرسول ﷺ للتيسير على امته كانت ستا، غير الحرف الذي اقرأه جبريل عليه أول مرة، فتلك سبعة كاملة بمنطوقها ومفهومها، وعليه فإن المراد بلفظ (سبعة) حقيقة العدد المعروف في الآحاد بين (الستة والثمانية) ونسب السيوطى في (إتقانه) إلى القاضى عياض بن عمرو اليحصبى: أن لفظ السبعة ليس مرادًا به حقيقة العدد، بل هو يطلق

(١) النشر١/ ٢٤.

على إرادة الكثرة في الآحاد، كما يطلق السبعــون في العشرات والسبعمائة في المئين؛ وعليه فإن المراد به السعة في التيسير والتسهيل ليس غبر[1].

سابعا: قال ابن جـرير الطبرى: إن تمارى المتــمارين في القرآن ـ كــما جاء في نصوص الأحاديث ـ واختــلاف المتحاكمين إلى النبى ﷺ كان في تلاوة النص القرآنى، وليس في معناه[2].

---

(١) مناهل العرفان /١٤٢ ١٤٣٠، الاتقان ١/ ١٣١.

(٢) تفسير الطبرى جـ/ ١ص/٤٨.

اتجاهات الاقدمين في تفسير الأحرف السبعة

اختلف العلماء في تحديد المراد من الأحرف السبعة اختلافا أثار عددا من الأقوال المتضاربة في حقيقة الذي أنزل، فرأى بعضهم فيه خمسة وثلاثين وجهًا[1]، وبلغ بها آخرون أربعين[2].

غير أن هذه الأقوال على كثرتها لم تخرج عن ثلاثة اتجاهات:

الاتجاه الأول:

الاتجاه القائل بأن هذه الأحرف تتعلق بالمعانى لا بالألفاظ، وتأولوها بالوعد والوعيد، والحلال والحرام، والمواعظ والأمثال، والمحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، والخصوص والعموم، والجدل والقصص، والفرض والندب، والمفسر والمجمل وما إلي ذلك مما لا تعين عليه روايات الحديث، وقد بلغ هذا الاتجاه من جملة الآراء قرابة العشرين.

وهي كما نقل السيوطي: أقاويل تشبه بعضها بعضا، وأكثرها متداخل ولا يعلم مستندها ولا يدري لم خص كل واحد منهم هذه الأحرف السبعة بما ذكر، وكلها معارض بحديث عمر بن الخطاب مع هشام بن حكيم رضى الله عنهما فان اختلافهما في ألفاظ القرآن لا في أمثال ذلك من المعاني[3].

---

(١) البرهان ١/ ٢١٢.

(٢) الاتقان ١/ ١٣١.

(٣) راجع البرهان ١/ ٢٢٤، والاتقان ١/١٣٨ ـ ١٤١، وتفسير الطبرى ١/ ٤٦ ـ ٥٧، وتأويل مشكل القرآن / ٢٦

الاتجاه الثاني:

الاتجاه القائل بأنها سبعة وجوه من الاختلاف:

(أولا) صنفها ابن قتيبة على النحو التالي:

= ١ = الاختلاف في إعـراب الكلمة أو في حركـة بنائها بما لا يزيلها عن صورتها في الكتـابة ولا يغير معناها كـقوله تعالي: ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾(١) بالضم والفتح.

= ٢ = الاختلاف في حروف الكلمة دون إعـرابها بما يغير معناها ولا يزيل صورتها كقوله تعالى: ﴿كَيْفَ نُنشِزها﴾(٢)، وقراءة ﴿كَيْفَ نُنْشِرُها﴾ بالراء المهملة.

= ٣ = الاختلاف في إعـراب الكلمة وحركات بنائها بما يغـير معناها ولا يزيلهـا عن صـورتهـا في الكتـابة كقـوله تعـالى : ﴿رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾(٣)، ﴿رَبُّنَا بَاعَدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾.

= ٤ = الاختـلاف في الكلمة بما يغـير صورتهـا في الكتابة ولا يغـير معناها، كقوله تعالي: ﴿إِنْ كَانَتْ إلا صَيْحة﴾(٤)، وقراءة ﴿إلا زَقْيَةً﴾.

---

(١) هود / ٧٨.

(٢) البقرة / ٢٥٩.

(٣) سبأ / ١٩.

(٤) يس / ٢٩.

= ٥ = الاختلاف في الكلمة بما يزيل صورتها ومعناها كقوله تعالى : ﴿وَطَلْحٍ منضود﴾[1]، وقراءة ﴿وَطَلْعٍ مَنْضُودٍ﴾.

= ٦ = الاختلاف بالتقديم والتأخير نحو قوله تعالى :
﴿وجَاءَتْ سَكْرَةُ المَوْت بـالْحَقِّ﴾[2]، وقراءة﴿وجَاءَتْ سَكْرَةُ الحَقِّ بالمَوْتِ﴾.

= ٧ = الاختلاف بالزيادة والنقصان نحو قوله تعالى :﴿لَهُ تِسْعٌ وتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾[3]، وقراءة ﴿نَعْجَةً أُنْثَى﴾.

(ثانيا) : صنفها الإمام أبو الفضل الرازى على النحو التالي :

١ ـ اختلاف الأسماء من إفراد وجمع وتذكير وتأنيث كقوله تعالى: (وَكُتُبِهِ)[4] وقراءة (وكِتَابِهِ) ـ (لا يُقْبَلُ)[5] وقراءة (لا تُقْبَلُ)

٢ ـ اختلاف تصريف الأفعال من ماض ومضارع وأمر من مثل قوله تعالى: (بَاعِدْ) [6]وقراءة (بَاعَدَ).

---

(١) الواقعة / ٢٩.
(٢) ق / ١٩.
(٣) ص / ٢٣.
(٤) البقرة / ٢٨٥.
(٥) البقرة / ٤٨.
(٦) سبأ / ١٩.

٣ ـ اختلاف وجوه الاعراب كقوله تعالى :
﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾[١] بالرفع ﴿وَهَنَّ أَطْهَرَ لَكُمْ﴾ بالنصب على الحال.

٤ ـ النقص والزيادة كقوله تعالى:
﴿لَهُ تِسْعٌ وتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾[٢] وقراءة (نَعْجةٌ أُنْثَى).

٥ ـ التقديم والتأخير كقوله تعالى :
﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الموْتِ بالحَقِّ﴾[٣] وقراءة ﴿وجَاءَتْ سَكْرَةُ الحَقِّ بالموْتِ﴾.

٦ ـ الإبدال ـ كقوله تعالى:
﴿فَاسْعَوْا إلَى ذِكْرِ الله﴾[٤] وقراءة ﴿فَامْضُوا﴾.

٧ ـ اختلاف اللغات. كالفتح والإمالة. كقوله تعالي:
﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسى﴾[٥] بإخلاص الفتح فى (موسى)وإمالته.

---

(١) هود /٧٨.
(٢) ص /٢٣.
(٣) ق /١٩.
(٤) الجمعة /٩.
(٥) طه /٩.

(ثالثا): صنفها ابن الجزرى على النحو التالى:

١ ـ اختلاف الحركات بلا تغير في المعنى والصورة كقوله تعالى:
﴿يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾[١] بضم فسكون وقراءة (بالبَخَل) بفتحتين.

٢ ـ اختلاف الحركات مع تغير في المعنى فقط كقوله تعالى:
﴿فتلقى آدَمُ مَن ربّه كَلِمَاتٍ﴾[٢] وقراءة (آدَمَ ـ كَلمَاتٌ).

٣ ـ اختلاف الحروف بتغير المعنى لا الصورة كقوله تعالى:
﴿هُنَالِكَ تَبْلُو﴾[٣] وقراءة (تتلو) بتاءين.

٤ ـ اختلاف الحروف بتغير الصور فقط كقوله تعالى:
﴿اهدِنا الصِّرَاطَ﴾[٤] وقراءة (السِّرَاطَ) بالسين.

٥ ـ الاختلاف فى المعنى والصورة كقوله تعالى:
﴿وامْضُوا﴾[٥] وقراءة (واسْعَوْا).

٦ ـ التقديم والتأخير كقوله تعالى:
﴿فَيَقْتُلُونَ ويُقْتَلُونَ﴾[٦] ببناء الأول للمعلوم وبناء الثانى للمجهول والعكس.

---

(١) النساء /٣٧.
(٢) البقرة /٣٧.
(٣) يونس/ ٣٠.
(٤) الفاتحة/٦.
(٥) الحجر/ ٦٥.
(٦) التوبة/ ١١١.

٧ ـ الزيادة والنقصان كقوله تعالى:
﴿وَصَّى﴾[١] و(أوصى).

وأمـا اختـلاف الإظهـار والإدغام، والروم والإشـمـام، والتـحقـيق والتسهيل وما إلي ذلك فليس من الاختلاف الذى يتنوع فيه اللفظ أو المعني، لأن هذه الصفات المتنوعة في أدائه لا تخرجه عن أن يكون لفظا واحدا.

(رابعا): صنفها القاضى أبو بكر بن الطيب على النحو التالى:

١ ـ منها ما تتغير حركته ولا يزول معناه ولا صورته كقوله تعالى:
﴿وَيَضِيقُ صَدْرِى﴾[٢] بالضم والفتح.

٢ ـ ومنها مـالا تتغير صـورته ويتغيـر معناه بالإعراب كقـوله تعالى:
﴿ربَّنا بَاعِد بين أسفارنا﴾ بصيغة الطلب، والماضى.

٣ ـ ومنها ما تبقي صورته ويتغير معناه باختلاف الحروف كقوله تعالى:
﴿ننشزها﴾ و (ننشرها) بالزاى، والراء.

٤ ـ ومنها ما تتغير صورته ويبقى معناه كقوله تعالى:
﴿كالعهن المنفوش﴾[٣] و (كالصوف).

٥ ـ ومنها ما تتغير صورته ومعناه كقوله تعالى:

---

(١) البقرة/ ١٣٢.
(٢) الشعراء/ ١٣.
(٣) القارعة /٥.

﴿وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾[1]، ﴿وَطَلْعٍ منضود﴾.

٦ ـ ومنها التقديم والتأخير كقوله تعالى:
﴿وجاءتْ سكْرةُ الموتِ بالحقِّ﴾ وقراءة ﴿وجاءتْ سكرةُ الحقِّ بالموتِ﴾.

٧ ـ ومنها الزيادة والنقصان كقوله تعالى:
﴿تسعٌ وتسعون نعجةً﴾، وقراءة ﴿تسعٌ وتسعون نعجةً أنثى﴾.

(خامسا): صنفها من المحدثين الدكتور صبحي الصالح علي النحوا لتالي:

١ ـ الاختلاف في وجوه الإعراب سواء أتغير المعنى أم لم يتغير كقوله تعالى: ﴿ فَتَلَقَّي آدمُ من ربه كلماتٍ﴾ [2] وكقوله تعالى: ﴿ولا يضارَّ كاتب﴾[3] بفتح (يضارَّ) وضمها.

٢ ـ الاختلاف في الحروف إما بتغير المعنى دون الصورة أو العكس كقوله تعالى:
﴿يَعْلَمون وتَعْلَمون﴾ بالياء والتاء.
(المُصَيْطِرون، والمُسَيْطِرون)[4]. بالصاد والسين.

---

(١) الواقعة / ٢٩.
(٢) البقرة / ٣٧.
(٣) البقرة / ٢٨٢.
(٤) الطور / ٣٧

٣ ـ اختلاف الأسماء في إفـرادها وجمعها، وتذكيرها وتأنيـثها كقوله تعالى: ﴿والذين هُمْ لأَمانَاتهم﴾[١] بالجمع والإفراد.

وكقوله تعالي:

﴿إنّ البقـرَ تَشَابَهَ علينا﴾[٢] ذكر في حـرف قصـدا للجنس فبنى فـعله للمـاضى، وأنّث في حرف قـصـدا للجماعة فـصـبغ صيـاغة المضـارع (تَشَابَهُ)وأصله (تَتَشَابَهُ).

٤ ـ الاختلاف بابدال كلمة بكلمة كقوله تعالى:

﴿كالعِهْن المنفوش﴾ وقراءة (كالصوف المنفوشِ) مع اتحاد المعني.

٥ ـ الاختلاف بالتقديم والتأخير كقوله تعالى:

﴿فيَقْتُلُونَ و يُقْتَلَونَ﴾[٣] بالتبادل بين البناء للمعلوم والمجهول.

٦ ـ الاختلاف بشيء يسير من الزيادة والنقص كقوله تعالى:

﴿تَجْرى تَحْتَها الأَنْهارُ﴾ وقراءة ﴿تَجْرى من تَحتِها الأَنْهارُ﴾[٤].

٧ ـ اختلاف الـلهجات في الفتح والامـالة، والترقيق والتفـخيم إلخ كقوله تعالى: ﴿وهل أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ﴾ بالفتح والإمالة في (موسى)[٥].

(١) المؤمنون/٨.
(٢) البقرة / ٧٠.
(٣) التوبة / ١١١.
(٤) التوبة / ١٠٠
(٥) طه / ٩.

ثم علق على الوجه الأخير فقال : وهو أهم الوجوه السبعة لأنه يبرز الحكمة الكبرى من إنزال القرآن على سبعة أحرف، ففيه تخفيف وتيسير على هذه الأمة التي تعددت قبائلها فاختلفت بذلك لهجاتها[1].

الاتجاه الثالث:

الاتجاه القائل بأنها سبع لغات من لغات العرب، وبه قال أبو عبيد القاسم بن سلام، وثعلب، والأزهرى، وآخرون واختاره ابن عطية، وصححه البيهقي في الشعب.

واختلف أصحاب هذا الاتجاه في تحديد هذه اللغات السبع، وفي كيفيتها في النص القرآنى.

فقال أبو عبيد القاسم بن سلام ـ فى تحديد اللغات السبع وكيفيتها هى سبع لغات من لغات العرب متفرقة في القرآن، فبعضه بلغة قريش، وبعضه بلغة هوازن، وبعضه بلغة هذيل، وبعضه بلغة أهل اليمن، وكذلك سائر اللغات ومعانيها في كل هذا واحدة.

وقال : ليس معنى تلك السبعة أن يكون الحرف الواحد يقرأ على سبعة أوجه، هذا شيء غير موجود، ولكنه عندنا أنه أنزل علي سبع لغات متفرقة في جميع القرآن من لغات العرب فيكون الحرف منها بلغة قبيلة،

---

(١) مباحث في علوم القرآن /١١٢، ١١٣.

والثاني بلغة أخـري سوي الأولى، والثالث بلغة أخرى سـواهما، كذلك إلى سبعة، وبعض الأحياء أسعد بها وأكثر حظا فيها من بعض[1].

وقال أبو حاتم السجستانى: هى سبع لغات من لغات العرب، وذلك أن القرآن نزل بلغة قريش، وهذيـل، وتميم، وأزد، وربيعة، وهوازان، وسعد بن بكر[2].

وقال الأهوازى: وقـالت طائفة: هى سبع لغات من قـريش حسب. وقال بعضهم: خمس منها بلغة هوازن، وحرفان لسائر لغات العرب، وقد كان رسول الله ﷺ ربى في هوازن ونشأ في هذيل[3].

وقال آخـرون: هذه اللغات السبـع كلها في مضـر، واحتجـوا بقول عثـمان رضى الله عنه: نزل القرآن بلســان مضر، وقـالوا: جائز أن يكون منها لقريش ومنها لكنانة، ومنها لأسد، ومنها لهذيل، ومنها لتميم، ومنها لضبـة، ومنها لقيس، فهـذه قبائل مـضر تستوعب سـبع لغات على هذه المراتب[4].

وقال أبو عـمر بن عبد البـر: وأنكر آخرون كون كل لغات مـضر في

(١) المرشد الوجيز ـ لأبى شامة / ١٩.
(٢) المرشد الوجيز / ٩٤.
(٣) المرشد الوجيز / ٩٦.
(٤) المرشد الوجيز / ١٠١.

القرآن لأن فيها شواذّ لا يقرأ بهـا مثل: كشكشة قيس، وعنعنة تميم، وهذه لغات يُرغب بالقرآن عنها.

وما نقل عن عثـمان رضى الله عنه معارض بما سـبق عنه أنه نزل بلغة قريش، وهذا أثبت عنه، لأنه من رواية ثقات أهل المدينة[1].

وقـال ابن جرير الطبـرى: هن سبـع لغات في حـرف واحد وكلمـة واحدة باختلاف الألفاظ واتفاق المعانى كقول القائل: هلم، وأقبل و تعال، وإليّ، وقـصدى، ونحـوى، وقربى، ونحـو ذلك مما تختلف فـيه الألفـاظ بضروب من الـنطق، وتتفق فـيه المعانى وإن اخـتلفت بالبيـان به الألسن، كـالذى روينا عن رسول الله ﷺ: أن ذلك بمنـزلة قولك: هلم وتعـال، وأقبل. واستدرك الطبرى قـائلا: وإنا لم ندع أن ذلك موجود اليوم، وإنما أخبرنا أن ذلك معنى قول النبى ﷺ (أنزل القرآن علي سبعة أحرف) على نحو ما جاءت به الأخبار التى تقدم ذكرنا لها[2]. وإن قراءة المسلمين اليوم على الحرف الواحد الذى اختاره لهم إمامهم الشفيق الناصح عثمان رضي الله عنه دون ما عداه من الأحرف الستة الباقية[3].

ونقل أبو شامـة عن بعض الشيوخ فـقال: الواضح من ذلك أن يكون

---

(١) البرهان ١/ ٢١٩، ٢٢٠ وانظر المرشد الوجيز / ١٠١، ١٣١.
(٢) تفسير الطبرى ١/ ٥٧، ٥٨.
(٣) المرجع السابق ١/ ٦٤.

الله تعالى أنزل القرآن بلغة قريش ومن جاورهم من فصحاء العرب، ثم أباح للعرب الآخرين أن يقرءوه بلغاتهم على اختلافهم في الألفاظ والاعراب، ولم يكلفهم الانتقال من لغة إلى غيرها لمشقة ذلك عليهم. وكان الأصل على ما عهد رسول الله ﷺ من الألفاظ و الإعراب جميعا من اتفاق المعنى، فمن أجل ذلك جاء في القرآن ألفاظ مخالفة ألفاظ المصحف المجمع عليه كالصوف وهو (العهن) وزقية وهى (صيحة) . وحططنا وهى (وضعنا) وحطب جهنم وهى (حصب). ونحو ذلك، فقبض رسول الله ﷺ وكل على ما أجازه له الرسول وإن كان مخالفا لقراءة صاحبه في اللفظ.

وأتم أبو شامة هذا الكلام فقال: أباح الله أن يقرأ على سبعة أحرف ما يحتمل ذلك من ألفاظ القرآن، وعلى دونها ما يحتمل ذلك من جهة اختلاف اللغات وترادف الألفاظ توسيعا على العباد، ولهذا كان النبى يقول لما أوحى إليه أن يقرأه على حرفين أو ثلاثة (هون على أمتي) على ما سبق في الأحاديث، فلما انتهى إلى سبع وقف، وكأنه ﷺ علم أنه لا يحتاج من ألفاظه إلى أكثر من ذلك غالبا... والله أعلم[1].

وقال أبو جعفر الطحاوى: كانت هذه السبعة للناس في الحروف لعجزهم عن أخذ القرآن على غيرها، لأنهم كانوا أميين، فوسع لهم في اختلاف الألفاظ إذا كان المعني متفقا، فكانوا كذلك حتى عادت لغاتهم

(١) المرشد الوجيز /٩٥،٩٦.

إلى لسان رسول الله ﷺ فقرءوا بذلك على تحفظ ألفاظه ولم يسعهم حينئذ أن يقرءوا بخلافها[1].

ويذهب أبو شامة إلى أبعد من ذلك فيرى أنه قد رخص للناس في إبدال اللفظ بما يؤدى معناه أو يقاربه من حرف إلى سبعة في لغة واحدة، ولم يلزموا المحافظة على حرف واحد.. وهذا في رأيه أولى من حمل جميع الأحرف السبعة على اللغات إذ قد اختلف عمر وهشام وكلاهما قرشى مكي، لغتهما واحدة[2].

وللقاسم بن ثابت رأى في هذا الاتجاه يعلل صحته فيقول ما ملخصه: إن الله تبارك وتعالى بعث نبيه ﷺ والعرب متباعدون في الديار، متباينون في كثير من الألفاظ واللغات، ولكل قبيلة خصائص لغوية طبعت عليها، وفيهم الكبير العاسى، والأعرابى القح ومَنْ لَوْرامَ نفى عادته وحمل لسانه على غير ذربته تكلف منه حملا ثقيلا، وعالج منه عبئا شديدا فأسقط الله عنهم هذه المحنة وأباح لهم القراءة على لغاتهم، وحمل حروفه على عادتهم، وكان الرسول يقرئهم بما يفقهون، ويخاطبهم بالذى يستعملون بما طوقه الله من ذلك وشرح به صدره وفتق به لسانه وفضله على جميع خلقه.

ثم ذكر من نصوص أحاديث الأحرف ما يؤيد به رأيه فذكر ما رواه

---

(١) المرجع السابق /١٠٦.

(٢) المرشد الوجيز ١٢٦ ـ ١٢٧.

أبيّ رضى الله عنه: (لقى النبى ﷺ جبريل عليـه السلام عند أحجار المراء فقـال: إنى بعثت إلى أمة أمـيين فيهم الـغلام والجارية والشـيخ العاسى، والعجوز فقال جبريل: فليقرءوا القرآن على سبعة أحرف).

ثم فسر هذا الحديث على أن المراد بالأحرف السبعة لغاتُ شعوب من العرب سبعة، أو من جماهيرها وَعَماَ يرِهَا.

وحاول تحـديدها فقـال: منها لقريـش، ومنها لكنانة، ومنهـا لأسد، ومنها لهذيل، ومنها لتميم، ومنها لضبة وألفافها، ومنها لقيس، وكلها من مضر، وإنها لتستوعب اللغات التى نزل بها القرآن[1].

ويقول أبو محمـد الحسين بن مسعود البغـوى - صاحب شرح السنة - أظهر الأقاويل وأصحها وأشـبهها بظاهر الحديث أن المراد من هذه الحروف (اللغات) وهو أن يقرأ كل قوم من العرب بلغتهم وما جرت عليه عاداتهم من الإدغـام والإظهار، والإمالـة، والتفـخيم والإشـمام والإتمام والهـمز والتليين وغـير ذلك من وجـوه اللغات إلى سـبعة أوجـه منها في الكـلمة الواحدة.

ويري أن كل ذلك بتوقيف من النبى ﷺ لا بما شاء القارىء مما يوافق لغته من غير توقيف[2].

* * *

(١) المرجع السابق /١٢٨ - ١٣١.
(٢) المرجع السابق /١٣٤.

مناقشة اتجاهات الأقدمين

هذه خلاصة وافية لاتجاهات الأقدمين في تفسير الأحرف السبعة وهي في جملتها ثلاثة اتجاهات مختلفة كما أشرنا.

غير أن الاتجاه الأول قد أجمع معظم العلماء على رفضه، فقد قال ابن عطية في مقدمة تفسيره. إن هذا القول ضعيف لأن هذه لا تسمى أحرفا، كما أن الإجماع على التوسعة لم يقع في تحريم حلال، وتحليل حرام. ولا في شيء من المعانى المذكورة[1].

وغلط ابن قتيبة من تأوّل الحديث على هذا النحو وقال: ليس شيء من هذه المذاهب لهذا الحديث بتأويل[2].

وقال آخرون: من أوّل الأحرف السبعة بهذا فهو فاسد، لأنه محال أن يكون الحرف منها حراما لاماسواه أو حلالا لا ما سواه، ولأنه يجوز أن يكون القرآن يقرأ على أنه حلال كله، أو حرام كله، أو أمثال كله[3].

وقد أفاض ابن جرير الطبرى في التعقيب على هذا الاتجاه فخطأه من عدة وجوه. وكان مما قاله: إن الذين تماروا في القرآن فخالف بعضهم بعضا في نفس التلاوة دون ما في ذلك من المعانى، وإنهم احتكموا إلى

---

(١) البرهان ١/ ٢١٦، الاتقان ١/ ١٣٧.

(٢) تأويل مشكل القرآن / ٢٦.

(٣) الاتقان ١/ ١٣٧.

النبى ﷺ فاستقرأ كل رجل منهم، ثم صوب جميعهم في قراءتهم على اختلافها ومعلوم أن تماريهم لو كان تماريا واختلافا فيما دلت عليه تلاوتهم من التحليل والتحريم، والوعد والوعيد، وما أشبه ذلك لكان مستحيلا أن يصوب النبى جميعهم، ويأمر كل قارىء أن يلزم قراءته في ذلك على النحو الذى هو عليه، لما يؤدى إليه ذلك من التناقض في كتاب الله[1]. هذا فضلا عما أشرنا إليه من قبل من نقل السيوطى عن كثير من العلماء فساد هذا القول[2].

وقد عد بعض الباحثين هذا الاتجاه جنوحا إلى مفهومات سقيمة ما أنزل الله بها من سلطان ظن أصحابها أنهم يفسرون بها الحديث تفسيرا باطنيا عميقا، ويرون في الأحرف السبعة مالا يراه الناس، فيزعمون أنها: علم الإنشاء والإيجاد، والتوحيد والتنزيه، أو سبعة أشياء: مطلق ومقيد، وعام وخاص، وناسخ ومنسوخ وما إلى ذلك[3].

أما الاتجاهان الآخران فلم يسلم واحد منهما أيضا من التعقيب والنقض، حتى إن بعض المؤيدين للاتجاه الثانى اختلفوا فيما بينهم على أى التصانيف الحاصرة لوجوه الاختلاف أفضل؟ وكان تفضيلهم لما اختاروه مبنيا على نقض ما خالفوه وتوهين ما تركوه.

---

(١) راجع تفسير الطبرى ٤٨/١ وما بعدها.

(٢) راجع الاتقان ١٤١/١.

(٣) مباحث في علوم القرآن د. صبحى الصالح /١٠٦ الطبعة الحادية عشرة ١٩٧٩.

فقـد ذهب الزرقانى في (مناهله) إلى تأييـد مذهب الرازى، ورأى أنه تميز عن المذاهب الأخرى بتمام الاستقراء واستيفاء وجوه القراءات، وأخذ علي مخالفيـه أنهم أهملوا (اللهجات) في حصرهم، واعتبـر ما اعتذر به ابن قتيـبة غير مسـوغ لذلك الإهمال، بل عده إهمالا لا يغـتفر إذ أن هذا الوجه هو الذى يبرز حكمـة التيسير من نزول القرآن على سـبعة أحرف، حيث أنه قد يسـهل على المرء أن ينطق بكلمة من غير لغـته في جوهرها، ولا يسهل عليه أن ينطق بكلمة من لغـته نفسها بلهجة غيـر لهجته وطريقة في الأداء غير طريقته..

واختـلاف الـقبائل العـربية فيمـا مـضى كان يـدور عـلى اللـهجات في كـثيـر من الحـالات، وكـذلـك اختـلاف الشعـوب الاسلامـية، وأقـاليم الشـعب الواحد منهـا الآن، يدور في كـثيـر من الحـالات أيضـا على اختـلاف اللهجات.

وقرر الزرقـانى أيضا ـ في لوم ابن قـتيـبة ـ أن بعض العلمـاء جعل الوجوه السبعـة منحصرة في اللهجات لا غيـر، لأنها هى الوجه الذى لا يتحقق التيـسير إلا بملاحظته. واستشهـد بما ساقه ابن قتيبة نفـسه في كتابه مشكل القرآن: مـن أن الله أذن لنبيه ﷺ أن يقرىء كل أمـة بلغتهم ومـا جرت به عادتهم من همز، أو تسهيل، وإمالة أو فتح إلى آخره رحمة ولطفا بهم. وبما اعترف به ابن الجزرى من وجوه الاختلاف بين اللهجات وقد اعتل بها في رخصة التيسير بالأحرف السبعة.

ثم يعجب الـزرقانى لهذين الإمـامين الجليلين اللذين اعتـرفا صـراحة باختلاف اللهجات وطرق الأداء على هذا الوجه ـ أن فاتهما أن ينظماه في سلك الوجوه السبعة التى نزل عليها القرآن تيسيرا على الأمة[1].

ورأى الدكتـور صبحى الصـالح نقصا في اسـتقراء السـابقين للأوجه السبـعة حمله على أن يسلك في طريقة اسـتقرائه لها سـبيلا مخـالفا لهم جميعـا فقال: لم أختر مذهب الـرازى الذى فضله (الزرقانى في مناهله) على مذهب ابن قتيبة، وابن الجزري، وأبى بكر بن الطيب، كما لم اختر مذهب واحد من هؤلاء. أما الرازى، فلأنـه لم يعرض لوجه (الاختلاف في الحـروف) نحو: يعـملون (بالياء) وتـعملون (بالتـاء) مع أنه لا يندرج تحت واحد من الأوجه السـتة الباقية التى ذكرها. ثم إنه جـعل (اختلاف تصريف الأفعال من ماض ومضارع وأمر) وجـها خاصا قائما برأسه مع أنه يندرج تحت وجه الاخـتلاف في الإعراب. وأما الـثلاثة الآخرون فحـسبنا تركا لمذاهبـهم أنهم أغفلوا وجه الاخـتلاف في اللهجات عـمليا وإن دافع بعضهم عنه نظريا[2].

هذا ما تعقب به أصحاب هذا الاتجاه بعضهم بعضا، وكيف وَهّن كل منهم مذهب مخالفيه.

(١) راجع مناهل العرفان ـ للزرقانى ١/ ١٥٥ ، ١٥٦.
(٢) راجع مباحث في علوم القرآن / ١١٥،١١٦.

كما أن هذا الاتجاه ـ بكل تصانيفه ـ لم يسلم من نقد أصحاب الاتجاه الثالث، فهاهو ذا القاسم بن ثابت يرى أن القائلين (بوجوه الاختلاف السبعة) اخترعوا معني لم يقل به أحد من السلف ولا أشار إليه، وليس للخلف الخروج عن السلف.. ثم قال: وكيف يزعمون أن الأحرف السبعة في صورة (الكتابة) وفي التقديم والتأخير، والزيادة والنقصان، والرخصة كانت من رسول الله ﷺ والعرب ليس لهم يومئذ كتاب يعتبرونه ولا رسم يتعارفونه ولا يقف أكثرهم من الحروف على (الكتابة) ولا يرجعون منها إلى صورة..

وإنما أخذت الرخصة في ذلك بالأمة الأمية، فلما كانت الرخصة وهم كانوا العلة قال الرسول ﷺ: (نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب وإن الشهر هكذا وهكذا) وجعل يشير بأصابعه عد العرب[1].

وحاول السيوطى دفع هذا النقد ـ باحتمال أن يكون الانحصار المذكور في ذلك قد وقع اتفاقا وإنما أطلع عليه بالاستقراء[2].

وسجل (الزرقاني في مناهله) اعتراضا آخر بقوله : إن طريق تتبع الرازى، وابن قتيبة، وابن الجزرى، وابن الطيب يخالف بعضها بعضا، وهذا يدل على أنه يمكن الزيادة على سبعة وجوه[3]. بمعنى أننا إذا أضفنا

---

(١) راجع المرشد الوجيز ١٢٨ ـ ١٣٢.

(٢) راجع الاتقان ١/١٣٣، ومناهل العرفان ١/١٥٩.

(٣) مناهل العرفان ١/١٥٨.

(وجه اختلاف اللهجات) عند من أهملوه إلى (وجوههم) السبعة التى ذكروها صارت الوجوه ثمانية مثلا.

وبرأ الزرقانى ساحة الرازي فقال: لا يضير ذلك مذهب الرازى القائم على الاستقراء التام في (نظره) - وإنما يلزم ذلك من كان استقراؤه ناقصا - يعنى مخالفيه[1].

وعلق (الخوئى) فيما نقله عنه أحد الباحثين على هذا الحصرللأحرف السبعة كما صنفه أصحاب هذا الاتجاه جميعا فقال: إن كثيرا من القرآن موضع اتفاق بين القراء، وليس موردا للاختلاف. فإذا أضفنا موضع االإتفاق إلى موارد الاختلاف بلغ (ثمانية) ومعني هذا أن القرآن نزل على ثمانية أحرف لا سبعة.

واعتبر الباحث هذا التعليق تعليقا منطقيا ذكيا فات الأقدمين ملاحظته[2].!!

مآخذنا على هذا الاتجاه

ولنا علي هذا الاتجاه مآخذ تتعلق بالتصنيف والأمثلة منها:

١ - عند ابن الجزرى

عدّ في تصنيفه تحت رقم (٣) (اختلاف الحركات مع تغير المعني فقط)

---

(١) المرجع السابق ١/١٥٨.

(٢) راجع تاريخ القرآن د. عبد الصبور شاهين /٣٨ نقلا عن تفسيرالبيان (للخوئى ١/ ١٣١).

ومثل له بقوله تعالى: ﴿فتلقى آدمُ من ربه كلماتٍ﴾.

برفع (آدمُ) على أنه فاعل، ونصب (كلماتٍ) على أنها مفعول.

والقراءة الأخرى بنصب (آدمَ) مفعول مقدم، ورفع (كلماتٌ) فاعل مؤخر. على حين عدّ في تصنيفه تحت رقم (٦) (الاختلاف بالتقديم والتأخير) ومثل له بقوله تعالى ﴿فيَقْتُلُون ويُقْتَلُون﴾.

ببناء الفعل الأول للفاعل، وبناء الثانى للمفعول.

والقراءة الأخري: ببناء الأول للمفعول، وبناء الثاني للفاعل.

ألا يمكن اعتبار (التصنيف الثانى والسادس) نوعا واحدا تحت أى بند منهما؟

٢ ـ عند الدكتور صبحى الصالح

عدّ في تصنيفه تحت رقم (١) (اختلاف وجوه الاعراب مع تغير المعني أو عدمه) ومثل له بقوله تعالى: ﴿فتلقى آدمُ من ربه كلماتٍ﴾.

برفع الأول ونصب الثانى، والعكس.

وعد في تصنيفه تحت رقم (٥) (الاختلاف بالتقديم والتأخير) ومثل له بقوله تعالى: ﴿فيَقتُلون ويُقْتَلون﴾.

بالتبادل بين المبنى للفاعل، والمبنى للمفعول كما تقدم.

ألا يمكن اعتبار الخامس داخلا في الأول وهو (اختلاف الاعراب مع تغير المعني).؟

٣ ـ بين الرازى وابن الجزرى

عدّ الرازى في تصنيفه تحت رقم (٦) (الإبدال) أى تغير الصورة واتحاد المعني. ومثل له بقوله تعالى:

﴿فاسعَوْا ـ فامضُوا﴾

وعدّ ابن الجزرى في تصنفيه تحت رقم (٥) الاختلاف في المعنى والصورة ومثل له بقوله تعالى: (وامضوا ـ واسعوا).

فكيف يتحدان معنى في الأول، ويختلفان معني في الثاني ـ والفعلان مترادفان؟

٤ ـ عند ابن قتيبة وابن الطيب

مثل كل منهما تحت رقم (٥) في تصنيفيهما (لما تتغير صورته ومعناه)بقوله تعالى: ﴿**طلح منضود، وطلع منضود**﴾.

مع أن أبا شامة قد ذكر عن بعض أهل التفسير أنهما شيء واحد[١]، وأن الاختلاف بين اللفظين من تباين اللهجات كما قال ابن سيده: والطلح لغة في الطلع[٢].

وكان الأولى بهما أن يمثلا بما هو موضع اتفاق، لا بما هو موضع اختلاف.

هذا ويورد الدكتور صبحى على أمثلة أصحاب هذا الاتجاه نقدا يهدم بعض الوجوه التى بنوا عليها تصانيفهم: من ذلك ما مثلوا به من مثل:

١ ـ تسع وتسعون نعجة (أنثى) بزيدة (أنثي).

٢ ـ وجاءت سكرة الحق بالموت ـ على التقديم والتأخير بين الحق والموت.

---

(١) المرشد / ١٢٢.

(٢) اللسان / ٥٣٣.

٣ ـ فاسعوا ـ فامضوا ـ علي البدل.

٤ ـ صيحة ـ زقية ـ على البدل.

٥ ـ عهن ـ صوف ـ على البدل.

فقال: وكل هذا شاذ، وقد ورد من طريق أحادى لم يبلغ درجة التواتر، ولا يثبت بمثلها قرآن، ولا سبيل إلى عدها من الأحرف السبعة، ولو ثبتت في مصاحف بعض الصحابة[1]. ومن العجيب أن يقع الدكتور نفسه تحت طائلة هذا النقد بما أورده في تصنيفه في الوجه الرابع من التمثيل للابدال: بكلمة صوف بدل (عهن) وهى من الآحاد[2] !!

* * *

أما الاتجاه الثالث: فقد اختلف القائلون به في كيفية وقوعه في القرآن، فقال ابن سلام: سبع لغات متفرقة في القرآن فيكون الحرف منها بلغة قريش والثاني بلغة أخرى سوى الأولى وهكذا إلى سبعة ، وبعض الأحياء أسعد بها وأكثر حظًا فيها من بعض. وتُعقِّب هذا القول:

فقال أبو عمر: وأنكر أكثر أهل العلم أن يكون معني الحديث سبع لغات، وقالوا هذا لا معني له، لأنه لو كان كذلك لم ينكر القوم بعضهم علي بعض في أول الأمر، لأن ذلك من لغته التى طُبع عليها. وأيضا فإن عمر وهشامًا كلاهما قرشى. وقد اختلفت قراءتهما ومحال أن ينكر عليه عمر لغته[3].

---

(١) مباحث في علوم القرآن / ١١١، ١١٢.

(٢) راجع المرجع السابق / ١١٠، الابانة لمكي /٣٨، ٣٩.

(٣) المرشد الوجيز / ١٠٢، ١٠٣، البرهان ١/ ٢١٩.

وقال الزرقانى: بأن ذلك يقضى أن يكون القرآن أبعاضا منه ما هو بلغة قريش ومنه ما هو بلغة هذيل وهكذا ولا شك أن ذلك غـير محقق لحكمة التيسير الملحوظة للشـارع الحكيم في نزول القرآن على سبعة أحرف ـ لأنه والحالـة هذه لا تخيـر في القراءة بل الكل ملزم بلفظ واحـد ـ أو أن كل شخص لا يمكنه أن يقرأ إلا البعض الذى نزل بلغته دون البعض الذى نزل بلغة غـيره وهذا باطل من ناحيـة، ومخالف للاختـلاف الذى صورته لنا روايات الحديث بين عمر وهشام وكلاهما قرشى ولغتهما واحدة[1].

وقال ابن جرير الطبـرى في كيفية وقوعه في القـرآن: هن سبع لغات في حرف واحـد وكلمة واحـدة باختـلاف الألفاظ واتفـاق المعاني كـقول القائل: هـلم وأقبل وتعال الخ واحـتج لهذا بما جـاءت به بعض روايات حديث الأحرف من مثل هذا القول.

وتُعُقِّب أيضا هذا القـول، فقيل إن ما جـاء في روايات الحديث ليس من قبيل حصر الأحرف السبعة فـيها وفى نوعها حتي يصح الاستدلال بها على هذا المذهب، بل هو ـ كمـا قال ابن عبد البر: من قـبيل ضرب المثل للحروف التى نزل عليـها القرآن من أنها مـعان متفق مـفهومها، مـختلف مسمـوعها، لا يكون في شيء منهـا معنى وضده ولا وجه يخـالف معني وجه خلافا ينافيه ويضاده كالرحمة التى هى خلاف العذاب وضده[2].

---

(١) مناهل العرفان ١/ ١٧٤، اللآلىء الحسان، للدكتور موسى لاشين /١١٨،١١٩، الاتقان ١/١٣٦.
(٢) راجع البرهان ١/ ٢٢١ والاتقان ١/١٦٨.

واتهم الزرقانى أصحاب هذا المذهب بالعجز عن إثبات ما ادعوه في ألفاظ القرآن، وقد أسلمهم هذا العجز إلى ادعائهم بأن الموجود الآن في أيدى الناس إنما هو حرف واحد من الأحرف السبعة، وأن الستة الأخري قد نسخت باختيار عثمان رضي الله عنه لهذا الحرف دون غيره. وشدد عليهم الزرقانى النكير في دعوى نسخ عثمان للأحرف الستة، وأفاض في القول وأغلظ فيه[1].

وأنكر الدكتور صبحى الصالح هذا المذهب بدعوي أنه يفتح الباب علي مصراعيه لشبهات المستشرقين وضعاف الإيمان أن يتشبثوا به ليؤكدوا أن نظرية القراءة بالمعنى كانت أخطر نظرية في الحياة الإسلامية، لأنها أسلمت النص القرآنى إلى هوى كل شخص يثبته على ما يهواه[2].

وكما اختلف أصحاب هذا المذهب فى الكيفية اختلفوا أيضا في تعيين القبائل السبع التى نزل القرآن على لغاتها على نحو ما أشرنا إليه حين عرضنا لهذا الاتجاه.

وربما كان أصحاب هذا الاتجاه أكثر تحررا من سابقيهم في مفهوم لفظ (السبعة). فبينما ألزم أصحاب الاتجاه الثانى أنفسهم بإرادة عدد السبعة ومفهومه تحرر بعض أصحاب الاتجاه الثالث من إرادته واتخذوه مثلا في

---

(١) راجع مناهل العرفان ١/١٦٨ ـ ١٧٢.

(٢) مباحث في علوم القرآن / ١٧٠.

التعبير عن الكثرة[1].

ومن ثم قال أبو بكر بن العربى شيخ السهيلى في كتاب شرح الموطأ: لم تتعين هذه السبعة بنص من الرسول ولا بإجماع من الصحابة، وقد اختلفت فيها الأقوال فقال ابن عباس: اللغات سبع ، والسموات سبع، والأرضون سبع، وعدد السبعات وكأن معناه أنه نزل بلغة العرب كلهم[2].

وجاء عن على وابن عباس رضي الله عنهما أنهما قالا: نزل القرآن بلغة كل حى من أحياء العرب، وفى رواية عن ابن عباس أن النبي كان يقرىء الناس بلغة واحدة فاشتد ذلك عليهم، فنزل جبريل فقال يا محمد أقرىء كل قوم بلغتهم[3].

ولعل هذا التحرر أعفى أصحاب هذا الاتجاه من تعيين القبائل السبع كما رد عنهم ما اعترض به عليهم من أن في القرآن من أربعين لغة عربية[4].

---

(١) المرشد / ٩٩.
(٢) المرشد / ٩٧.
(٣) المرجع السابق / ٩٦، ٩٧.
(٤) راجع مناهل العرفان ١/ ١٧٣، ١٧٤، مباحث في علوم القرآن / ١٥٠

مأخذنا على هذا الاتجاه

ولنا على هذا الاتجاه مأخذ وهو أنه لم يحدد كـيفية وقوع اللغات في النص القرآنى أهى نزول بعض القـرآن بلغة، وبعضه بلغـة أخرى وهكذا ـ بمعنى أن القرآن يشتـمل على جميع لغات العرب أو أكثـرها على نحو ما أورد السيوطي في النوع السابع والثلاثـين بعنوان (ما وقع في القرآن بغير لغة الحجاز)[1].

وهو فهم ـ إن صح ـ لا يسـتقيم مع حكمـة التيسيـر من نزول القرآن على سبعة أحرف كما قررنا من قبل.

أم المراد ترخيص النبى ﷺ باذن من ربه أن يقرأ كل قـارىء بلغته التى فطره الله عليها؟

وهنا نتساءل: ما المراد باللغة؟

أهى اللغة بمفـهومها الحـقيقى وخصـائصها من تباين في بنيـة الألفاظ ودلالتها؟

أم يراد بها اللهجة ـ على سبيل المجاز ـ وتعنى تنوع صفات الأداء في اللفظ الواحد فحسب؟

---

(١) راجع الاتقان ٢/ ٨٩.

أغلب الظن أن المفاهيم التى طرحت في هذا الاتجاه قد خلطت بين اللغة واللهجة ـ على ما بينهما من فروق ـ وقد أدى ذلك إلى الاضطراب في تفسير الأحرف السبعة على نحو ما رأينا.

ولن يكون لنا مفر أمام هذا الاضطراب إلاّ أن نحدد هذين المصطلحين خلال بحثنا عن تفسير مقبول للأحرف السبعة.

* * *

التفسير المقبول للأحرف السبعة

بعد أن كشفنا عن قصور الاتجاهات السالفة في تفسير الأحرف السبعة بما أوردناه عليها من نقود، وما سجلناه عليها من مآخذ جعلتنا لا نأخذ بأى منها، كان ضروريا أن يمضي البحث إلى غايته في التوصل إلى تفسير مقبول يعتمد على روايات الحديث وما تشير إليه بمنطوقها ومفهومها من دلالات وأن يحقق رخصة التيسير في الأداء، وأن يحفظ للنص القرآنى فصاحته وإعجازه. ولعلنا لا نعدو الصواب فيما نسجله من الدلالات الآتية:

١ ـ إن إعلام جبريل عليه السلام للنبي ﷺ على اختلاف رواياته حدث واحد، خلاصته: أن النبى ﷺ بُعث إلى أمة أمية من أفرادها من يعجز عن أداء النص القرآني على النحو المنزل، وأنه يسأل الله أن ييسر عليهم أداءه، فأجيب إلى طلبه على أوسع ما يكون التيسير، وإن هذا الحدث أسبق من أحداث الشكلين الآخرين بداهة.

٢ ـ أن هذا الحدث وقع بالمدينة فأحجار المراء، وأضاة بنى غفار كلاهما بالمدينة والمجتمع المدنى مجتمع غير متجانس بحكم تكوينه، وبسبب كثرة الوافدين إليه من الراغبين في الإسلام من أنحاء الجزيرة وخارجها[1].

(١) تاريخ القرآن د. عبد الصبور / ٤٢.

٣ ـ لم تحدد مواقف الاحتكام إلى النبى ﷺ صور الخلاف المحتكم إليه فيه، بل اكتفت الروايات بذكر موضعه العام كسورة الفرقان والنحل ومن ثم فلا سبيل إلى الاستدلال منها على شيء من صور الخلاف.

٤ ـ أشارت بعض روايات الحديث إلى إطار التيسير في أداء النص القرآنى وهو لا يعدو التباين في الأداء مع اتحاد المعنى على نحو ما مثل به من (هلم وتعال وأقبل) وكله صواب مالم يتضاد تضاد الرحمة والعذاب. وأنه لا يجوز لا حد أن يقدح في قراءة غيره أو ينكرها عليه، لتنافيه مع روح التيسير المستهدفة من هذا الحديث.

فإذا أضفنا إلى ذلك بعض الحقائق اللغوية كتلك التى تتعلق باللغة التى نزل بها القرآن الكريم أدركنا سر العجز عند هؤلاء العاجزين عن أداء النص القرآنى. لقد توحدت لغة العرب في لغة (مثالية) استصفتها قريش من لغات قبائل شتى، واصطنعها خاصتهم على اختلاف قبائلهم ـ لا عامتهم ـ أداة التعبير في محافلهم وأسواقهم ينشدون بها شعرهم، ويرسلون بها خطبهم. وتوافق الإسلام حين ظهوره مع تلك اللغة المصطفاة فنزل بها قرآنه فقوى من وحدتها، وزاد من شمولها. غير أن هذه الوحدة اللغوية لم تقض على ظاهرة تعدد اللهجات قبل الإسلام، ولا بقائها بعده، بل ظلت هذه اللهجات تؤدي دورها في القبائل أداة للتخاطب لمن لم يسعفه لسانه أن يتكلم بتلك اللغة المثالية.

وبازاء ظاهرة تعدد اللهجات التى لا يمكن دفعها ـ وقد عجز العامة

من الناس عن اصطناع لغة القرآن في تلاوة آياته لجأ النبى ﷺ إلى ربه يسأله التخفيف عنهم فكانت الرخصة أن يقرءوه على ما تيسر لهم ولم يكلفهم تلاوته بغير اللهجة التى جرت بها ألسنتهم[1].

وهذا ما لحظه جميع العلماء ـ على اختلاف اتجاهاتهم في تأويل الحديث ـ سببا في سنّ هذه الرخصة، قال أبو شامة: قد أبيح أن يُقْرأ بغير لسان قريش توسعة على العرب، فلا ينبغى أن يُوسع على قوم دون قوم، ولا يُكلف أحد إلا قدر استطاعته، فمن كانت لغته الإمالة، أو تخفيف الهمز، أو الإدغام أو ضم ميم الجمع، أو صلة هاء الكناية أو نحو ذلك، فكيف يكلف غيره؟ وكذا كل من كان من لغته أن ينطق بالشين التى كالجيم في نحو (أشدق) والصاد التى كالزاى في نحو (مصدر) والكاف التى كالجيم والجيم التي كالكاف ونحو ذلك، فهم في ذلك بمنزلة الألثغ والأرت، لايكلف ما ليس في وسعه، وعليه أن يتعلم ويجتهد[2].

غير أن العلماء حين يقررون ذلك لم يستخدموا المصطلحات اللغوية في حقيقتها، فنراهم يعبرون (باللغات) عن (اللهجات) وهو تعبير مضلل في هذا المقام، لأنه يخلط بين مفهومين لغويين هما (اللغة واللهجة) والأمر يقتضي أن يكون التعبير بلفظ (اللهجة) لا (اللغة) ذلك أن الرخصة راعت تيسير المشقة وهى مرتبطة باللهجات لا باللغات، إذ أن اللهجة:

---

(١) راجع فقه اللغة د. صبحى الصالح / ٥٠، ٥١ وفي الهجات العربية د. أنيس / ٤٣

(٢) المرشد الموجيز / ٩٧.

صفات صوتية تتعلق بطريقة أداء اللفظ وهى تختلف من قبيلة إلى قبيلة أخرى، كميل بعض القبائل إلى جهر الأصوات أو همسها، وشدتها أو رخاوتها، وفكها أو إدغامها، وتحقيق الهمزة أو تسهيلها، واختلاف الحركات سواء في بنية الكلمة أو إعرابها. وتلك الصفات هي التى يشق الانتقال منها إلى غيرها[1]. على حين تعنى (اللغة: اختلاف الألفاظ ودلالتها). وتلك لا موجب لمراعاتها، لأن القرآن قد اصطفى ما شاء منها بعد أن استوعبته لغة قريش التى تمثلت فيها لغات العرب قاطبة، لا لغات قبائل معينة ينتصر لها بعض العلماء بلا دليل[2].

ومن ثم فليس لنا إلا أن نقول في تفسير هذا الحديث ـ في ضوء طبيعة الاسلام في استنان الرخص حين يشق على الناس أمر من أمورهم (إن هذا القرآن أنزل مرخصا للقارىء، وموسعا عليه أن يقرأه على ما تيسر له من طريقته في الأداء دفعا للمشقة ونفيا للزهادة فيه).

فالمسلم أيا كانت لهجته وأيا كانت بيئته يستطيع أن يقرأ القرآن بالقدر الذى تعودته عضلات صوته في نطقه بلهجته دون نكير عليه، أو استهزاء به.

ويذهب الدكتور إبراهيم أنيس أبعد من ذلك في أن الحروف السبعة التى أجيز قراءة القرآن عليها ليست مقصورة علي اللهجات العربية

(١) راجع: في اللهجات العربية /١٦ ـ ١٩.
(٢) مباحث في علوم القرآن د. الصالح /١١٣ ـ ١١٥.

فحسب، بـل تشمل جميع لهـجات المسلمين في جميع بقـاع العالم إلى يومنا هذا. وليست عنده الناحية العددية في الحديث محصورة في السبعة، بل المراد مجرد التعدد والدلالة على الكثرة[1].

وهذا التفســير تعززه النقول التى أسلفناها من أقـوال العلماء السابقين بعد تصفيتها من شوائب الخلط بين المصطلحات اللغوية.

* * *

(١) راجع : في اللهجات العربية / ٥٥ ـ ٥٧.

التطبيق النبوي لرخصة الأحرف

١ ـ أجاز النبى ﷺ للناس القراءة بلهجتهم التى فطروا عليها.

٢ ـ راقب النبى ﷺ هذه اللهجات فاختار منها أفصحها، ورد بعضها مما يهبط بالنص القرآنى عن مستوى فصاحته كالكشكشة القيسية والعنعنة التميمية وما إلي ذلك من اللهجات المرذولة في اللسان العربى[1].

٣ ـ أقر الرسول ﷺ ما قرأ به العاجزون من شيوخ وعجائز وغلمان وخدم تيسيرا عليهم ودفعا للمشقة عنهم مع قصور أدائهم عن المستوى الأمثل، لعدم القدرة عليه.

٤ ـ صَوَّب الرسول ﷺ القراءات المتباينة الأداء بسبب ضعف القدرة أو أختلاف اللهجة فيما احتكم إليه فيه، نفيا للمماراة والجدل حول النص القرآى مذكرا في كل هذا برخصة التيسير.

٥ ـ ضبط الرسول ﷺ مدي التيسير بما لم يبلغ به العجز إلى اختلال المعني المنزل.

(١) المرشد الوجيز /١٠١،١٣١. والكشكشة : جعل كاف المؤنث شينا (جعل ريش تحتش سريا) في قوله تعالى ﴿جعل ربك تحتك سريا﴾. والعنعنة : جعل همزة (أن) عينا (عسى الله عن يأتي بالفتح) في قوله تعالى ﴿عسي الله أن يأتى بالفتح﴾.

٦ ـ أقرأ النبى ﷺ، وأجـاز للقراء من الصحـابة كابن مسـعود وعلى وأبىّ رضي الله عنهم أن يـقرئوا الـناس بما أقـره من لهـجـاتهم، فكانوا يعلمون كل من يفد إليهم بلهجته قرشـية كانت أم تميمية أم هذلية شأن كل معلم مقتدر ينتقل بلسانه من لهجـة إلى لهجة. وقد بدا ذلك واضحا فيما أثر عنهم من قراءات بلهجات مختلفة(١).

٧ ـ جعل الرسول هذه الرخصة مباحة في المشافهة، لا في التسجيل، فلم يسجل سوى النص القرآنى بلغته المثالية التي نزل بها، لا ستحالة ضم اللهجات في رمز خطى(٢).

٨ ـ كانت رخصـة أصحاب الأعذار من الشيوخ والعـجائز والغلمان والخدم إقرارًا من الرسـول ﷺ لا إقراء، وهى رخصة مـؤقتة تزول بزوال مقتضياتها، متى قدروا على الأداء الأمثل بالتعلم والمران(٣).

٩ ـ ما أقرأ به الرسول ﷺ، وما أجـاز للقراء من الصحابة أن يقرئوا به من اللهجات يستوى هو وما نزل عليه النص القرآنى من لغته المثالية في التلاوة بأى منهما، وكلاهما سنة متبعة.

---

(١) راجع : تاريخ القرآن : د. عبد الصبور شاهين / ١٣٩ ـ ١٧٨ .
(٢) المرجع السابق / ٥٤، ٥٥.
(٣) راجع مباحث في علوم القرآن : د. صبحى الصالح / ١٠٨.

ولعل هذا يقودنا إلى أمور أشار اليها علماء القراءات وهى:

أولا: إن القرآن والقـراءات حقيقتـان متغايرتان، فـالقرآن هو الوحى المنزل على النبى ﷺ للبـيان والإعجـاز. والقراءات هى اختـلاف كيفـية الأداء لألفاظ الوحى المنزل[1].

ثانيا: إذا تجاوز الاختـلاف في النص القرآنى كيفـية الأداء إلى الحذف والإثبات كقوله تعالى ﴿**تجرى تحتها الأنهار**﴾ ﴿**وتجـرى من تحتها الأنهار**﴾ بزيادة (من)[2]. أو اختلاف الحروف كـقوله تعالى ﴿**إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا**﴾ و (فتثبتوا)[3] وثبت بالتـواتر فهـو من القرآن لا من القـراءات، ويحـمل على أنه نزل بالأمـرين جـميـعا، وأمـر النبى ﷺ بكتـابتـه على الصورتين لشخصين، أو في مجلسين، أو أعلم بهـما شخصا واحدا وأمره باثباتهما[4]. ومن ثم كانت تسمية مثل هذا بالقراءات غير دقيق.

ثالثا : نسب إلى بعض الصـحـابة رضـوان الله عليـهم أنهم أباحـوا لأنفسهم، أو لقنوا غـيرهم استبدال لفظ بلفظ أخـذا برخصة التيسيـر كما فهموها من الأحـرف السبعة، فقد حكى الأعـمش قال: سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه يقرأ (لولوا إليه يجمزون) فقيل له: وما يجمزون. إنما

---

(١) البرهان / ١/٢١٨.

(٢) التوبة / ١٠٠.

(٣) الحجرات /٦.

(٤) المرشد الوجيز / ١٣٨.

هى (يجمحون) [1] فقال يجمحون: ويجمزون، ويشتدون واحد[2].

وحكى الأعمش عن أنس أيضا قال: قرأ أنس (وأقوم قيلا) [3]- وأصوب قيلا، فقيل له : يا أبا حمزة انما هي: (وأقوم قيلا) فقال: ان أقوم وأصوب وأهيأ واحد[4].

ونسب إلى أبي بن كعب رضى الله عنه أنه كان يقرأ ﴿**للذين آمنوا انظرونا**﴾[5]: أمهلونا أخرونا، ارجئونا. وكان يقرأ ﴿**كلما أضاء لهم مشوا فيه**﴾[6]: مروا فيه، سعوا فيه[7].

وذكر ابن وهب قال : قيل لمالك رضى الله عنه : أتري أن يقرأ بمثل ما قرأ به عمر بن الخطاب رضى الله عنه﴿**فامضوا إلى ذكر الله**﴾[8] قال : ذلك جائز، فإن الرسول ﷺ قال :« أنزل القرآن علي سبعة أحرف، فاقرءوا ما تيسر منه»[9].

---

(١) التوبة /٥٧.
(٢) المحتسب لابن جني / ٧٢.
(٣) المزمل /٦.
(٤) المحتسب /١٦٢.
(٥) الحديد /١٣.
(٦) البقرة / ٢٠.
(٧) المرشد / ١٤٠.
(٨) الجمعة /٩.
(٩) المرشد / ١٠٥.

وفى فضائل أبى عبيد من طريق عون بن عبد الله أن ابن مسعود رضي الله عنه أقـرأ رجلا ﴿إن شجرة الزقـوم طعام الأثيم﴾ [1] فقال الرجل : طعام اليتيم، فرددها فلم يستقم بها لسانه، فقال : أتستطيع أن تقول طعام الفاجر؟ قال : نعـم قال : فافعل[2]. وهذه الروايات في ضوء مـا قررناه ليست من الـقرآن لعدم ثبـوتها بالتـواتر، ولا من القراءات لأنهـا ليست اختلافا في كيفية الأداء وإنمـا يمكن حملها إن صحت روايتها على أنها من التفسير.

وبعد هذا فهل يكون وجـيها ما يثيره بعض الباحـثين من تضعيف هذا التفسير بسبب الاقتصار على اللهجات، على حين حفظت أوجه أخرى من الاختلاف وهي ليست من اللهجات في شيء؟ [3].

وفى رأينا أن ما أشـير إليه من وجـوه الخلاف الاخري إمـا أن تنتظمه اللهجـات إذا كان اختلافا فـي كيفية الأداء، كـاختلاف الحركـات في بنية الكلمـة أو بعض الإعراب. وإمـا أن يكون قـرآنا ثبت بالتـواتر فهـو من الوحي المنزل ابتـداء غيـر مرتبط بحـديث الأحرف السبـعة كـتنزيل بعض الأسماء بالإفـراد والجمع، أو بالتذكير والتـأنيث، أو إثبات بعض الحروف أو حذفها، أو استبدال حرف بحرف.. ولو كان مثل هذا مرتبطا بحديث

---

(١) الدخان / ٤٣، ٤٤.

(٢) الاتقان ١/ ١٣٥.

(٣) د.. صبحي الصالح في كتابه مباحث في علوم القرآن / ١٥٠.

الأحـرف السبـعة لوقع في القـرآن المدنى فـحسب بعـد اشتـراع رخصـة الأحرف حيث كـانت خلال الفترة المدنيـة والواقع أن هذا الاختلاف واقع في القرآن المكى والمدني على حد سواء، فمن القرآن المكي **﴿ والذين هم لأماناتهم وعـهدهم راعون﴾**[1] وقد نزل **﴿لأمـانتهم﴾** بالإفـراد، والرسم والعثمـاني يحتملها. ومن القـرآن المكى أيضا : **﴿وما أصابكم من مـصيبة فبما كسبت أيديكم﴾**[2] بالفاء في مـصاحف أهل العـراق، وقد نزل **﴿بما كسبت﴾** بدون فاء كـما رسمت في مصـاحف أهل المدينة والشام[3] ومن المكي أيضا: **﴿هنالك تبلـو كل نفس مـا أسلفت﴾**[4]، وقـد نزل **﴿تتلو﴾** بتاءين، والرسم العثماني يحتملهمـا، وغيره كثير .وأما ما لم يثبت تواتره فليس من القـرآن ولا من أحرفه في شـيء وإنما هو روايات تفسـيرية وهو أكثر ما مثلوا به لوجوه الاختلاف التى صنفوها.

ومن الغريب حقا أن يكون ذلك واقعا في القرآن المكي، ثم يدعون أن ذلك من الأحرف السبعة، وقـد علمت أن الرخصة بها لم تسن إلا في المدينة، وأن القرآن المكي قد نزل منه ما نزل وانتهى نزوله. وإليك بعض ما مثلوا به من القرآن المكى لنقفك على مدي التناقض وعدم التحرى للدقة فيما يقولون.

١ ـ في سورة القارعة / ٥ وهى مكية **﴿كالعهن المنفوش﴾**. كالصوف المنفوش.

٢ ـ في سـورة ق / ١٩ وهى مكيـة **﴿وجـاءت سكرة.الموت بالحق﴾**

---

(١) المؤمنون /٨.

(٢) الشورى / ٣٠.

(٣) راجع حاشية المرشد / ص ١٢٤.

(٤) يونس / ٣٠.

وجاءت سكرة الحق بالموت.

٣ ـ في سورة يس / ٥٣ وهي مكية **﴿إن كانت إلا صيحة﴾**. إن كانت إلا زقية.

٤ ـ في سورة الليل /٣ وهي مكية **﴿وما خلق الذكر والأنثى﴾**. والذكر والأنثى.

٥ ـ في سورة الدخان / ٤٤ وهى مكية **﴿طعام الأثيم﴾**. طعام الفاجر.

هذا. وقد يذهب الخيال، أو تستبد المغالطة ببعض الناس فيدعى أن القرآن المكي قد تكرر نزوله بالمدينة، فقد ذكر السيوطى شيئا من ذلك بدعوي أن حديث مسلم عن أبىّ رضى الله عنه (إن ربي أمرنى أن أقرأ القرآن على حرف، فرددت إليه ان هون على أمتى فأرسل إلىّ أن أقرأه على حرفين.. إلى أن قال: فأرسل الى أن أقرأه على سبعة أحرف) ـ يدل على أن القرآن لم ينزل من أول وهلة، بل مرة بعد أخرى... ونقل عن (جمال القراء للسخاوى) بعد أن حكى القول بنزول (الفاتحة) مرتين: ان قيل فما فائدة نزولها مرة ثانية؟ قلت يجوز أن يكون نزلت أول مرة على حرف واحد،و نزلت في الثانية ببعض وجوهها.

ولكن السيوطى لم يغفل الحقيقة بل أنصفها حين ذكر أن من العلماء من أنكر تكرار نزول القرآن وعلله بأن تحصيل ما هو حاصل لافائدة منه،

وذهب آخرون بأنه عبث تعالى الله عنه علوا كبيراً[1].

وقـصارى مـا يقال في ذلك : إن تـكرار نزول النص القراني دعـوي تحتاج إلى دليل قطعى وهو ما لم يأت به أحد نصا في ذلك، وإن من أنكر التكرار لايطالب بدليل، لأن الأصل هو عدم التكرار، ولا يحتاج الأصل إلى دليل.

وليكن على ذُكْر منك أننا فرقنا بين القـرآن والقراءات، واقتصـر فهمنا للقراءات على أنها: اخـتلاف كيفيـة الأداء لألفاظ الوحى المنزل، ومن ثم فلا بأس أن يُقْرأ النص برخـصة التيـسير أداء حـسب اختلاف اللهـجات، وهذا ما أثبتته كتب القراءات ورواه أئمتها الثقات، وهو ما يمكن أن يحمل عليـه كلام السـخاوى، وان كنا نخـتلف مـعه في دعـوى تكرار النزول، وبخاصة إذا علمنا أنه قد مثل لذلك (بالسراط والصراط)[2]، وهو اختلاف أداء بين اللهجات على ما هو مقرر في كتب اللهجات [3] ومعاجم اللغة: فقد جاء في لسان العرب: والسراط: السبيل الواضح، والصراط لغة فيه، والصـاد أعلى لـمكان المضـارعـة ـ أى مع الطاء ـ وان كـانت السين هى الأصل، وقرأها يعقوب بالسين، وذكر الفراء: أن بنى العنبر يصيرون السين صادا مع الطاء[4].

---

(١) راجع الاتقان ١/ ١٠٢،١٠٣، ومناهل العرفان ١/ ١١٤.
(٢) الاتقان / ١٠٣.
(٣) راجع : في اللهجات العربية د. أنيس / ١٢٨،١٢٩.
(٤) لسان العرب ٩/ ١٨٥.

قضية الرسم والقراءات

النص القرآنى في حياة الرسول.

النص القرآني في خلافة أبى بكر وعمر وعثمان.

مفهوم الرسم العثماني.

مفهوم القراءات.

حركة الاقراء واختيار القراءات.

ظهور القراءات السبع.

أضواء علي الأئمة السبعة.

الآراء حول تواتر القراءات.

دور ابن الجزرى في ضابط القراءات وتطبيقه.

نتائج تطبيق ابن الجزرى لضابط القراءات.

حركة الاحتجاج للقراءات.

مفهوم الاحتجاج ودوافعه.

القراءات

تمهيد

لقد ثبت بما لا يدع مكانا للشك في أن القراءات أثر من آثار الأحرف السبعة، بل هـي على الحد الذي عرفناها به (اختلاف كيفية الأداء لألفاظ الوحى المنزل باختلاف اللهجات) التفسيرُ المقبول لحديث الأحرف السبعة علي النحو الذي أكدناه آنفا.

وقبل أن نأخذ في الحديث عن تاريخ نشأتها وتطورها وانقسامها إلى صحيحة وشاذة، وعن أئمتها الذين عرفوا بضبطها واتقانها ـ لا بد من أن نقدم بين يدي كل ذلك نبذة يسيرة عن تاريخ انتقال النص القرآني وتدوينه من لدن رسول الله ﷺ، ومرورا بخلافة أبى بكر وعمر، وانتهاء بخلافة عثمان رضى الله عنهم أجمعين، حيث ارتبط شذوذها عند علماء القراءات بمخالفة خط المصحف العثماني.

النص القرآنى في حياة الرسول

لقد جمع الله تعـالي لنبيه ﷺ القرآن في صـدره حفظا، وأجراه علي لسانه تلاوة فقال تعالى ﴿إنا علينا جمعه﴾ أى حفظه (وقـرآنه) أي قراءته وتلاوته، ﴿فإذا قرأناه، فاتبع قرآنه، ثم إنّ علينا بيانه [1]﴾.

وكان اعتماد النبي ﷺ في نقل النص القرآنى إلى أصحابه على التلقين والمشافهـة، وحفظه في القلوب والصدور، ثم ظاهر الحفـظ وأكده بكتابة النص القرآني على مـا أنزل إليه بلغـته المثاليـة فاتخذ كتـابا للوحى بلغت عدتهم على ما جاءت به الروايات ـ ثلاثة وأربعين[2]. ودلتنا الروايات أيضا على أن أول من كتب للرسـول بمكة هو عبـد الله بن أبى سرح، ثم ارتد، ثم عاد إلي الإسلام يوم فتح مكة[3].وكان من جملة كتّابه الخلفاء الأربعة، والزبير بن العوام، وخالد وأبان ابنا سعيد بن العاص بن أمية وغيرهم.

وأول من كتب له بالمدينة أبى بن كعب، ثم زيد بن ثابت، وكان زيد ألزم كتّاب الوحى للنبى ﷺ فقد روى البـخارى عن البراء قال: لما نزلت (لا يَسْتَوِى القَاعِدُون مِنْ المؤْمنين.. والمجاهدون في سبيل الله) قال النبى؛ ادع لى زيدا ولـيـجـىء باللوح والدواة والـكتف أو الكتـف والدواة ـ ثم قال:اكتب : (لا يستوى القاعدون..) وخلف ظهر النبي ﷺ عمرو بن أم

(١) القيامة / ١٧ ـ ١٩.

(٢) تاريخ القرآن : للزنجانى / ٤٢.

(٣) هامش المرجع السابق / ٤٢ نقلا عن مصدره:

مكتوم الأعمى[1]، فقال يا رسول الله فما تأمرني: فإني رجل ضرير البصر؟ فنزلت مكانها (غيرُ أُولي الضَّررِ) [2].

وفي كتب السنة كثير من الأحاديث تشير إلى أن الرسول ﷺ كان يملي القرآن على كتاب الوحي ويوقفهم على ترتيب الآيات ومكان كل آية من سورتها وأختها، ففي جامع الترمذي وغيره عن ابن عباس عن عثمان رضى الله عنهم قال: كان رسول الله ﷺ مما يأتى عليه الزمان وهو تنزل عليه السورة ذوات العدد، فكان إذ أنزل عليه الشيء منه دعا بعض مَنْ كان يكتب فيقول : (ضعوا هذه الآيات فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا) واذا نزلت عليه الآية يقول (ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا)[3]. وكان رسول الله ﷺ يراجع كتبة الوحى فيما يكتبونه عنده من القرآن ، فيروى عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قال : كنت اكتب الوحي عند رسول الله ﷺ وهو يملى عليه فإذا فرغت، قال اقرأه على فأقرأه فإن كان فيه سقط أقامه ثم أخرج به إلى الناس.

وكان أمرا طبيعيا أن تكون آيات كل سورة معروفة مميزة عن آيات سورة أخرى حتى يسهل علي كتبة الوحى تنفيذ أمر النبي عندما تنزل آيات

---

(١) ويقال اسمه عبد الله (الإصابة ٢/ ٢٣٥).

(٢) البخارى / ١٨٣نقلا عن المرشد / ٣٤،٣٥.

(٣) الترمذى ١١/ ٢٢٥ ويراجع في مثله صحيح البخارى الباب الثامن عشر، ومسند أحمد ٣/ ١٢٠ ، ٤/ ٣٨١ وقد ذكره أبو شامة في وجيزه / ٣٣.

الوحى لتوضع في مكانها المحدد من سورتها[1].

ولعنا ندرك صعوبة هذا العمل إذا عرفنا أن أدوات الكتابة المستعملة آنذاك ـ علي ما تشير إليه الروايات ـ هى الرقاع ـ من جلد أو ورق ـ واللخاف، والعسب، والأكتاف، قال زيد بن ثابت: كنا عند رسول الله نؤلف القرآن من الرقاع[2].

ويعنينا في هذه الموحلة أن نؤكد على جملة من الحقائق هى:

١ ـ أن تسجيل النص القرآنى لم يتضمن وجوها مختلفة مما فسر بها العلماء حديث الأحرف السبعة لدليلين ذكرهما بعض الباحثين[3] وملخصهما بتصرف: أن تسجيل نصين مختلفين مثل (عليما حكيما) في تسجيل . و (غفورا رحيما) في تسجيل آخر، أو (صيحة) و (زقية) أو (عهن) و (صوف) يعنى تواتر النصين كتابة ومشافهة، وليس أحدهما أولى من الآخر في الإثبات عند جمع زيد للمصحف وقد جاء المصحف الذى بين أيدينا بنص واحد، ولم ترو لنا المصادر سبب تفضيل النص المثبت على الآخر المتروك، إن كان قد حدث تفضيل في ذلك، مع ما هو معلوم من حرص المصادر على تسجيل أنباء أي اختلاف من ذلك، فقد روت

---

(١) راجع : مدخل إلى القرآن الكريم د. عبد الله دراز / ٣٥، وكتاب تاريخ القرآن شاهين / ٧٩.

(٢) العسب : جريد النخيل، واللخاف؛ حجارة رقيقة، والأكتاف : عظام الكتف من بعير أو شاه (الاتقان ١/١٦٨)، المرشد / ٤٤.

(٣) د. عبد الصبور شاهين: تاريخ القرآن / ٥٧.

جميع مصادر القراءات نبأ اختلاف الصحابة ـ على يسره ـ في عهد عثمان رضى الله عنه حول كتـابة كلمة (التابوت) بتاء مبسـوطة، أو (التابوه) بتاء مربوطة ومـارجحة عثـمان رضي الله عنه في كتـابتها بالتاء المبـسوطة على طريقة أهل مكة لأنهم من قريش وقد نزل القرآن بلغتهم.

أما ادعـاء أن أحد النصين قـد نسخ في العرضة الأخـيرة، فـهو عندنا ادعاء لا دليل عليـه من نص قطعى، وإنما سيقت دعـوى النسخ في كتب المؤلفين على أنها احتمال لتفسير ورود أحد النصين دون الآخر.

وهذه الحقيقة ـ مع اختـلاف مصدرها ـ تتفق مع ما نذهب إليه من أن النص القـرآنى الذى نزل به الوحى ليست لـه وجوه مخـتلفة سـوي أدائه باختلاف الـلهجات، ولم يسجل سـوى النص لا ستحالة تسـجيل وجوه أدائه.

وأما مثل (ننشرها) بالراء، و(ننشزها) بالزاى، و (من تحـتها) و(تحتها) بدون (من) في آية التـوبة، فليـست وجوها لـلنص ـ في نظرنا ـ وإنما هى تنزيل آخر، يقرأ كل منهما على التخيـير من صاحبه، وقد سجل كل نص على هيئته[1]، ولما كان على التخـيير سجل أحدهما في مـصحف والآخر في مصحف آخر عند تعدد المصاحف العثمانية على ما سيجىء بيانه[2].

---

(١) راجع المرشد /١٣٨.

(٢) راجع المرشد /١٤٨.

٢ ـ اصطلح على أن (الإعـجام) هو تمييـز الحروف المتشـابهة رسـما (ب، ح، د، ص) بوضع نقط عليها لمنع اللبس في نطق الأول: باء أو تاء أو ثاء، ونطق الثانى: جيما، أو حاء ، أو خاء، وهكذا الباقي مما يشترك معه في الرسم.

وأريد (بالنقط أو الشكل) وضع علامة تدل علـى حركة الحروف وهي (الفتحة والكسرة والضمة).

ومن المقطوع به لدي كثير من الباحثين أن الخط الذى وصل إلى العرب لم يكن مضبوطا بالحركات والسكنات لا عتمادهم على السليقة في الأداء[1].

وأما الإعجـام فقد تضاربت حوله الأقـوال، واختلفت به الروايات، فينقل ابن النديم عن ابن عـباس تفصيل دور الـطائيين الثلاثة الذين ينسب إليهم وضع الخط فـيقول: أمـا مرامر فـوضع الصور، وأما أسلم فـفصل ووصل، وأما عامر بن جدرة فوضع الإعجام[٣].

ولعل هذه الرواية هى مسـتند القائل بقدم الإعجـام، فنرى أبا عمرو الداني يكرر مضمونها، ويستبعد القلقشندى أن الحروف ـ مع تشابه صورها ـ كانت عرية عن النقط إلى حين نقط المصـحف، ويذكر (صاحب كشف الظنون) أن النقـط والإعجـام مـوضـوعـان مع الحـروف، وهكذا تراءى

(١) حياة اللغة العربية ـ لحفنى ناصف / ٦٦.
(٣) تاريخ القرآن: د. شاهين / ٧٠ ـ ٧٣.

للزجاج من قبل أنهم جعلوا بعض الحروف على صورة واحدة في الخط.. ؛ لأنهم فرقوا بينها بالنقط، كما استبعد حفنى ناصف أن تكون الحروف موضوعة في أول أمرها علي هذا اللبس المنافى لحكمة الواضعين، الذاهب بحسن الاختراع.

هذا على حين يرى آخرون أن الكتابة العربية كانت خالية من الإعجام ويشير ـ الداني ـ على خلاف ما ذكرناه عنه آنفا ـ في (المحكم) أن العرب لم تكن أصحاب شكل ونقط.

وأنها لم تعرف الإعجام إلا على يد نصر بن عاصم (ت ٩٠هـ)، ويحيي بن يعمر (ت٩٠هـ) زمن ولاية الحجاج بن يوسف على العراق (٧٥ · ٩٥)هـ في خلافة عبد الملك ابن مروان (٦٥ ـ ٨٦هـ) حين قاما بإعجام المصاحف العثمانية لما كثر التصحيف في آيات القرآن الكريم.

وأمام هذا الاختلاف في بداية الإعجام، ونسبته إلي عامر بن جدرة، أو إلى نصر بن عاصم، ويحيى بن يعمر، كان من المأمول أن يُحسم هذا الاختلاف بالبرديات والنقوش التي تم العثور عليها ويرجع تاريخها إلى ما قبل خلافة عبد الملك بن مروان، ولكن الأمر كان على غير ذلك فقد ظهر بعض نقط الإعجام في بردية يرجع تاريخها إلى سنة٢٢هـ زمن عمر رضى الله عنه، ونقش يعرف بنقش الطائف يعود إلى سنة٥٨هـ، وآخر يعود إلى سنة٦٤هـ، واستدل من خلالها على أن نقط الإعجام كان معروفا منذ أيام الرسول ﷺ ، وأن ما يقال من أن نصر بن عاصم،

ويحيي بن يعمر هما اللذان اخترعاه غير صحيح.

ويعترض هذه النتيجة نقش ثالث يعرف بنقش القاهرة يرجع تاريخه إلي سنة ٣١هـ أي في زمن الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه ليس به نقط إعجام هذا بالإضافة إلى ما عثر عليه من كتب النبى ﷺ إلى كل من هرقل ملك الروم، وكسرى ملك الفرس، والنجاشي ملك الحبشة؛ والمنذر بن ساوى العبدى ملك البحرين وكلها غير معجمة مع قيام الضرورة إلي إعجامها ـ لو كان الإعجام معروفا ـ لتكون أسهل قراءة وأدق تعبيرا.

كما أن الوثائق التى بدا فيها نقط الإعجام لم تسلم من شكوك بعض الباحثين حول نقطها بدعوي أن هذا النقط قد أضيف إليها فيما بعد عندما أصبح أمرًا شائعا في كتابة النصوص والوثائق. بل تذهب باحثة أخرى إلى أبعد من ذلك فتأكد حداثة هذا النقط بدعوى أن غور هذه النقط أقل من غور الكتابة نفسها..

ومن ثم لا يستطيع باحث أن يقطع برأى في وجود (الإعجام) أو عدمه عند تدوين القرآن لأول مرة زمن الرسول ﷺ.

ويبقى السؤال: هل كان تجريد المصاحف العثمانية من الإعجام أمرا محتوما بحكم الخط الذى كان مستعملا آنذاك، أو كان اختيارا من الصحابة لحكمة أرادوها على ما تحدثنا به الروايات؟

جازف كثير من الباحثين بالقول بأن الإعجام قديم عرفته الكتابة

العربية، وأن القرآن كان معجما حين دونه الرسول ﷺ، وحين جمعه أبو بكر رضى الله عنه، وأن الصحابة رضي الله عنهم جردوا المصاحف العثمانية منه قصدا ـ كما قال ابن الجزري ـ لتكون دلالة الخط الواحد على كلا اللفظين المنقولين المسموعين المتلوين شبيهة بدلالة اللفظ الواحد على كلا المعنيين المعقولين المفهومين[1].

٣ ـ أن بعض الصحابة رضوان الله عليهم ممن كانت لهم قدرة علي الكتابة، كانوا يهتمون بتسجيل النص القرآنى في مخطوطات شخصية لاستعمالهم الخاص، يدل لذلك ما كان من إسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه ـ بسبب قراءة آيات من أول سورة (طه) وجدها عند ختنه زوج أخته.

وكان من أخصاء الصحابة الذين كانت لهم تلك المخطوطات الشخصية: ابن مسعود، وأبيّ بن كعب، وعمر، وعلى، وابن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وهذه المخطوطات الشخصية قد تختلف فيما بينها في النص القرآنى باختلاف ما تلقوه من النبى ﷺ على التخيير من نصوص الوحى المتباينة. أو بسبب حريتهم في إضافات إلى تلك المخطوطات تفسيرا للنص القرآنى مع أمن اللبس لديهم لتحققهم مما تلقوه قرآنا[2].

٤ ـ أن ما أملاه النبى ﷺ من نصوص الوحى على كتّابه قد أودعت

(١) النشر لابن الجزرى ١/ ٣٣.
(٢) المرجع السابق ١/ ٢٢.

صحفـه بيت النبى ﷺ على ما هى عليه مفـرقة الآيات والسور، انتظاراً لبلوغ الوحى تمامـه ليخـرج القرآن في شكل وحـدة كاملة مسـجلة، وهو مالم يدركـه الرسول ﷺ لقرب وفاتـه من ختام ما أوحى إليـه، وإن كان ذلك لم يحل دون تمامه على هيئته تـلك في صدور أصحابه الذين حفظوه عنه تلقيا، وعرضـوه عليه سماعا[1]، وهم كثير، قـال القرطبى: وقد قتل منهم يوم اليمامة سبعون[2]ولعل في هذه الاشارة ما يرد شبهات المستشرقين حول تواتر النص القرآنى فيما استندوا إليه من نصوص تشير إلى قلة عدد حفاظه، وللعلماء إزاء هذه النصوص ردود مفحمة[3] لكل أفاك أثيم.

* * *

---

(١) مباحث في علوم القرآن: د. صبحى الصالح /٧٣، وقارن بكتاب: مدخل إلى القرآن الكريم د .دراز /٣٥.

(٢) الاتقان ١/ ٢٠٠.

(٣) راجع كتـاب الأنتصـار للقاضى ابى بكر مـحمـد بن الطيب ١/ ٤٣ ـ٥٦، الاتـقان ١/ ٢٠٠، المرشد /٣٨.

النص القرآنى في خلافة أبى بكر

لحق رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلى ورقاع الوحى المسجل لم تأخذ شكلها النهائي في وحدة مرتبة الآيات والسور على هيئتها المحفوظة في صدور الصحابة رضوان الله عليهم، ولم تكن الحاجة ملحة آنذاك إلى نشر النص المكتوب، إذ كان جل اعتمادهم على استظهارهم، حتي وقع ما لم يكن في الحسبان، فقد شهدت الجزيرة حركة ارتداد عن الإسلام عارمة مع بداية خلافة أبى بكر رضي الله عنه ودارت رحي الحرب بين المسلمين والمرتدين من أتباع مسيلمة في معركة فاصلة علي أرض اليمامة أبلى فيها حملة القرآن وحفاظه بلاء حسنا، فكلما نادي منادٍ ياأهل القرآن لبوا سراعا لا يبالون بالموت يقع عليهم أو يقعون عليه، وإنما همهم النصر أو الشهادة، وما كان للنصر أن يتحقق إلا بدمائهم فسقطوا بالعشرات شهداء.

وكان من أجلّهم سالم مولى أبى حذيفة. وترامت أنباء هؤلاء الشهداء من حفظة القرآن إلى المدينة فهال عمرَ رضى الله عنه النبأ لما أدرك من خطورة موتهم على القرآن، إذْ هم الشهود العدول على وثاقة النص المكتوب الذى لم ينته بعدُ إلى شكله المطلوب، ففزع إلى أبى بكر رضي الله عنه يطلب إليه جمع القرآن وتوثيقه عن طريق حفظته الباقين علي قيد الحياة، قبل أن يستحرّ القتل بهم في مواطن أخرى، فيذهب بذهابهم كثير من القرآن.

فقال ابو بكر رضى الله عنـه: وكيف نفعل شيئـا لـم يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال عمر رضى الله عنه: هذا والله خير.

وما زال بأبى بكر يراجعه حتى شرح الله صدره، ورأى في ذلك الذى رآه عمر. وانتـدب أبو بكر لذلك زيد بن ثابت رضى الله عنه وقال :إنك شاب عاقل لا نتـهمك، وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله ﷺ. فـتتبع القرآن فاجمعه.

قال زيد: فوالله لـو كلفونى نقل جبل ما كـان أثقل علىّ مما أمرنى به من جمع القـرآن. وراجع زيد أبا بكر فيمـا عزم عليه من فـعل لـم يفعله رسول الله ﷺ، ولـم يزل أبو بكر يراجعه حتي شـرح الله صدره، فحمد له أبو بكر ذلك وأعانه على مـهمته بعـمر رضي الله عنه[1]، ورسم لهما منهجا للعمل يتمثل فيما يأتى:

١ ـ أن تكون الصـحف المودعـة في بيت الرسـول ﷺ ركـيـزة هذا العمل. يدل لذلك ما قاله الإمام أبو عـبد الله الحارث بن أسد المحاسبى: كتابة القـرآن ليست محدثة، فـإن النبى ﷺ كان يأمر بكتابتـه، ولكنه كان مفرقا في الرقـاع والأكتاف والعسب، وإنما أمر الصديق بنسـخها من مكان إلى مكان، وكان ذلك بمنزلة أوراق وجـدت في بيت رسول الله ﷺ فيـها

(١) راجع النص في صحيح البخارى ٣/١٩٦ طبعة المطبعة البهية ١٢٩٩هـ.

القرآن منتشر، فجمعها جامع وربطها بخيط حتى لا يضيع منها شيء[1].

٢ ـ أن يطلب القرآن ممن عندهم ليعارض المتفرق بالمجتمع وليشترك الجميع في علم ما جمع فلا يغيب عن جمع القرآن أحد عنده منه شيء ولا يرتاب أحد فيما يودع المصحف، ولا يشك في أنه جمع عن ملء منهم[2].

قال عمر رضي الله عنه فناديت في الناس: من كان تلقى من رسول الله ﷺ شيئا من القرآن فليأت به، وأرسلت إلى أبى بن كعب فجاء فوجدنا مع أبى كتبا مثل ما وجدنا عند جميع الناس[3].

٣ ـ من جاء بشيء من القرآن مخالفا لتلك الصحف أو مفقودا منها، فاطلبا على ما تنكرانه شاهدين، بأنه كتب بإملاء الرسول وبين يديه[4].

وقد أدى اشتراط شاهدين إلى استبعاد آية جاء بها عمر عن رجم الزانية لم يشهد عليها أحد معه[5].

---

(١) راجع البرهان ١/٢٣٨.

(٢) المرجع السابق.

(٣) راجع المرشد /٦٢،٦٣، والاتقان ١/١٦٦.

(٤) المرشد /٦٣، الاتقان ١/١٦٧.

(٥) رواية الاتقان ١/١٦٨ عن الليث بن سعد.

وأثبت زيد آخر (براءة) وقد فقدها فطلبها فلم يجدها مكتوبة إلا عند أبى خزيمة الأنصارى وحده، لكن كان زيد يحفظها، وشهد عليها أبى معه، قال ابن أبى داود عن أبى العالية: جمع القرآن في مصحف في خلافة أبي بكر، وكان رجال يكتبون، ويملى عليهم أبى بن كعب. فلما انتهوا إلى هذه الآية من سورة (براءة): ﴿ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون﴾ فظنوا أنها آخر ما نزل من القرآن، فقال أبى : إن رسول الله ﷺ أقرأنى بعدهن آيتين : ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم..﴾ إلى قوله ﴿وهو رب العرش العظيم﴾. فهذا آخر ما نزل من القرآن فختم الأمر بما فتح به يعنى بكلمة التوحيد[1].

ومضي زيد ينفذ هذا المنهج على وجهه كأدق ما يكون التنفيذ، وكأحسن ما يكون التحرى، وكأسلم ما يكون التثبت، فلم يجامل في حق، ولم يترك صوابا لأى اعتبار، وحسبنا دليلا على دقة التنفيذ وأمانة التحرى ما رواه أبو حيان قال: روى عمر في قوله تعالى: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم باحسان﴾[2] ﴿والأنصار الذين اتبعوهم﴾ بغير واو صفة للأنصار، فقال له زيد : إنها بالواو عطفا على ما قبلها، فقال عمر أئتونى بأبىّ فقال أبىّ: هى بالواو كما أقرأنيه رسول الله ﷺ وتصديق ذلك في كتاب الله في أول الجمعة ﴿وآخرين منهم لما يلحقوا بهم﴾ وأوسط الحشر ﴿والذين جاءوا منْ بعدهم﴾، وآخر

(١) المرشد / ٥٥ ـ ٥٦ عن كتاب المصاحف / ٩ رواه أحمد في مسنده ٥/ ١٣٤.
(٢) التوبة / ١٠٠.

الأنفال ﴿والذين أمنوا مِنْ بَعْدُ﴾ فقال عمر: لقد كنت أرانا وقعنا وقعة لا يبلغها أحد بعدنا[1]. فالخلاف بينه وبين عمر حول (واو) ذو دلالة علي استمساكه بالحق ومدي تحريه، ودقته في العمل كله[2].

وجمع بهذا المنهج، وتنفيذ بهذا الأسلوب حريّ بأن يحظى بإجماع الأمة، وأن يظفر بتأييد الصحابة دون نكير، قال على رضى الله عنه : رحم الله أبا بكر هو أول من جمع كتاب الله بين اللوحين[3].

واختير لهذا القرآن المجموع بين اللوحين اسم (المصحف) بضم الميم لغة قيس، وبكسرها لغة تميم، والفتح فيها رواية لم تثبت [4].

واحتفظ الصديق بهذا المصحف عنده إماما، ولم يفارقه حياته، ثم استودعه عمر حين رشحه للخلافة من بعده، فبقى عنده أيامه، ثم سلمه لابنته حفصة أم المؤمنين في آخر لحظة في حياته، لأن الخليفة الثالث لم يكن قد بويع بعد[5].

---

(١) البحر ٥/ ٦٢ جمعا بين روايتين.
(٢) تاريخ القرآن: د. شاهين /١٠٦.
(٣) البرهان ١/ ٢٣٩.
(٤) اللسان ٩/ ١٨٦.
(٥) البرهان ١/ ٢٣٩.

وعلى الرغم من تلك الوقائع المسجلة في تاريخ القرآن لدي علماء المسلمين دون اختلاف حول الإجماع عليها يأبى بعض المستشرقين الا أن يفسروا تلك الوقائع على أهوائهم، فيزعمون أن دوافع جمع القرآن لدى أبي بكر بمشورة عمر كانت رغبة في تملك نسخة من القرآن حتي لا يكون رئيس الجماعة في وضع أقل من بعض الصحابة الذين يملكون نسخا منه، فكلفا أحد كتاب الوحى ممن سبق أن استخدمهم محمد في هذه الوظيفة بأن يهيئه لهما. وكانت هذه الصحف ملكا خاصا لأبى بكر وعمر بصفتهما الشخصية لا للخليفة رئيس الجماعة، وأن حفصةبنت عمر ورثته عن أبيها على أنها ذمة مالية شخصية[1].

ولم تكن نوايا المستشرقين بخافية من وراء هذه المغالطة المفضوحة، فبإضفاء طابع الشخصية على هذا العمل يجرد هذا المصحف من كل ميزة له على غيره من المخطوطات الموجودة لدى الآخرين من الصحابة، وبالتالى فليس هو بأولى منها بالالتزام والمتابعة.

ولو كان الأمر على ما زعم هؤلاء المستشرقون، ففيم كان تردد أبى بكر في جمعه حين أشار عليه عمر رضى الله عنهما ؟ وفيم كان منهج الجمع الذى رسمه على ملأ من الصحابة ودعاهم أن يشاركوا فيه؟. وكان يحسبه أن يقوم بنفسه أو يستعين بمن يرى في استنساخه من الصحف

(١) المدخل إلى القرآن : بلا شير / ٢٣ ـ ٢٤.

المودعة في بيت الرسول وعند ابنتـه. ولو كان ملكا خاصا به ففـيم انتقاله إلى عمر من بعـده دون أن يورثه أهله من بعده؟. ثم ما القـيمة الحقيـقية لنسـخة من الـقرآن لدى رجل جـمـعه حـفظا على عـهد الرسـول ﷺ والمحفوظ أوثـق من المكتوب، وأعظم حياة في وجـدانه وعلى لسانه ـ إن لم يكن ذلك من أجل الأمة بأسرها [1] !!

* * *

(١) د. عبد الصبور شاهين ـ تاريخ القرآن /١٠٨ ـ ١٠٩، ١١٠ بتصرف .

النص القرآني في خلافة عمر وعثمان

لقـد حقق جـمع القـرآن فى عهـد أبى بكر رضى الله عنه هدفـه من توثيق النص القرآنى وصيانته من التحريف والتبديل، وإخراجه كلا متكاملا على الهيئة المحفوظة في الصدور، ليكون مرجعا للناس عند الحاجة إليه.. ومن ثم كان النسخ لمصحف واحد حـفظه أبو بكر رضى الله عنه لديه فترة بقـائه في الخلافـة، ولم يكن الناس خلال خـلافتـه في حاجـة إلى نص مكتوب ليـقرءوا منه، بل كانوا على مثل مـا كانوا عليه في حيـاة الرسول ﷺ أناجيلهم في صدورهم، يعتمدون في تلاوة القرآن على استظهارهم، ويتناقلون نصوص الوحى الكريم فـيما بينهم بالتلقين والمشـافهة، فيـحفظ منهم من لم يكن قد حـفظ، ويزيد من حفظِ بعضَه إلى محـفوظِه مابقى منه.. وتميـز عدد من الصحـابة بجودة الحـفظ والإتقان فاتخـذهم الناس معلمين لهم، يأخذون عنهم ويقرءون عليهم، والناس في سعة من أمرهم بمتـقـضى ما رخص لـهم من قراءة الـقرآن بلهـجـاتهم، ولا حـرج على العاجزين منهم أن يقرءوا بما وسعتهم قدرتهم..

ولم تطل الحياة بأبى بكر رضي الله عنه بعد أن أتم هذا العمل الجليل سوى بضـعة أشهـر، انتقلت بعدها الخـلافة إلى عمـر رضى الله عنه وقد استودعه النسـخة الوحيدة للمصحف لتكون تحت تصرفـه إذا ما احتاجت الأمة إليه، ولم يطرأ علـى حياة الناس تغييـر يذكر فيما اعـتادوا من حفظ القرآن وتحفيظه سوى ما أبدى عـمر رضى الله عنه من رغبة في نشر النص القرآنى بلهجة قريش، فـقد روى أبو داود في سننه أن عمر رضى الله عنه

كتب إلى عبد الله بن مسعـود رضي الله عنه (أما بعد: فإن الله تعالى أنزل القرآن بلغـة قريش، فـإذا أتاك كتابى هذا فـأقرىء الناس بلغـة قريش ولا تقرئهم بلغة هذيل)[1]. ولا يحمل هذا من عـمر رضى الله عنه إلاّ على أنه اختيار للأفضل، وليس على أن ما يقرأ به ابن مـسعود لا يجوز، فما كان عمر يجهل الرخصة فـي ذلك لكنه يرى أن يتمرس الناس على لغة قريش حتى تلين ألسنتهم بها.

كما اقـتضاه ما طرأ على الرقعـة الاسلامية من اتساع إبان خـلافته أن يضاعف مـن نشاطه في تعليم الناس القـرآن، وقد اسـتعانه ولاة الأقـاليم المفتوحة على ذلك. فيروى ابن سعد في طبقاته: كتب يزيد بن أبى سفيان إلى عمـر رضى الله عنه: ان أهل الشام قـد كثروا وربوا، ومـلئوا المدائن واحتاجـوا إلى من يعلمهم القرآن ويفقـههم فأعني يا أميـر المؤمنين برجال يعلمونهم، فـدعا عمـر خمسة من حـفظة القرآن وهم : معـاذ بن جبل، وعبادة بن الصـامت، وأبى بن كعب، وأبو أيوب، وأبو الدرداء وقال لهم إن إخوانكم من أهل الشام قد استعانونى بمن يعلمهم القرآن، ويفقههم في الدين، فأعـينونى رحمكم الله بثلاثة مـنكم. إن أحببتم فـاستهـموا، وإن انتـدب ثلاثة منكم فليـخـرجوا فـاسـتثنوا فـيـما بـينهم اثنين : أبا أيوب لكبره، وأبيّ بن كعب لمرضه، وخـرج الآخرون وقدموا إلى حمص فكانوا بها، حتي إذا رضـوا من الناس قراءتهم أقام بها عـبادة وخرج أبو الدرداء

---

(١) المرشد / ١٠١.

إلى دمشق، ومعاذ إلى فلسطين، وما زالوا في سياحتهم حتى ماتوا[1]. رضي الله عنهم أجمعين.

وزاد اتساع الرقعة الإسلامية في أخريات حياته وكثر عدد المسلمين الجدد الراغبين في تعلم القرآن، ولم يعد في الإمكان ـ والحالة هذه ـ ضبط الرقابة على كيفية أداء المسلمين الجدد لحروف القرآن إلى أن كانت خلافة عثمان رضي الله..

لقد اتسعت في عهد عثمان الفتوحات الإسلامية وتضاعف اتساع الرقعة الإسلامية وانساح المسلمون من جزيرتهم مع الجيوش الفاتحة، وتلاوة القرآن عبادتهم الميسرة آناء الليل وأطراف النهار، كل يقرأ على ما حفظ بقدرته الذاتية، مصطحبا معه رخصة التيسير، فبدت في قراءتهم أخطاء العجز الذاتي، ولهجات الألسنة، ونسيان الذاكرة، والخلط بين التنزيل والتأويل فيما وقفوا عليه من مخطوطات الصحابة دون تمييز لغيبة النص المكتوب المجمع عليه.

وطبيعي مع هذه الكثرة والبعد عن مركز التنزيل، وقلة الضابطين من الحفاظ أن يتفاقم الخلاف حول النص القرآني لدي العامة من أهل البلاد المفتوحة وأن يبلغ مداه إلى حد التكفير والتأثيم بسبب اعتزاز كلٍ بما

---

(١) من الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/٣٥٦ بتصرف.

حفظ، وظن أنه الصواب وحده فهذا يقول قراءتى وما أخذت به، وذاك يقول بل قراءتى وما أنا عليه حتى كان الرجل يقرأ فيقول له صاحبه : كفرت بما تقول(١).

ووقف حذيفة بن اليمان على هذه الحال حين تجمعت جيوش المسلمين الوافدة من سوريا، والعراق في معارك أرمينية وأذربيجان وأبدى لصاحبه سعيد بن العاص تخوفه من تفاقم هذا الخلاف قائلا : لئن ترك الناس ليختلفن في القرآن ثم لا يقومون عليه أبدا، ولما وصلا إلى الكوفة أخبر حذيفة الناس بذلك وحذرهم ما يخاف، فلاحاه مَنْ زعم أنه يقرأ بقراءة ابن مسعود، فغضب حذيفة وسار إلى عثمان رضى الله عنه فأخبره بالذى رأى وقال : أنا النذير العريان، فأدرك الأمة قبل أن يختلف الناس في القرآن اختلاف اليهود والنصارى(٢).

وربما كان عثمان رضى الله عنه قد وقف على مثل هذا الخلاف بين جماهير المسلمين في المدينة، ففى كتاب المصاحف: أن المعلم يعلم قراءة الرجل، والمعلم يعلم قراءة الرجل فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون حتي ارتفع ذلك إلى المعلمين، حيث كفر بعضهم بقراءة بعض، فبلغ ذلك عثمان رضى الله عنه فقام خطيبا فقال : أنتم عندى تختلفون فيه فتلحنون،

---

(١) راجع اعجاز القرآن لمصطفى الرافعى / ٣٥،٣٤، تاريخ القرآن: د. شاهين/ ١٣٣.
(٢) راجع النص في صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن : الباب الثانى والثالث. والكامل لا بن الأثير ٣/ حوادث سنة/ ٣٠هـ.

فمن نأى عنى مـن الأمصار أشـد فيه اخـتلافا، واشـد لحنا، اجتمـعوا يا أصحـاب محمد واكـتبوا للناس إمـاما[1]. وكـــان ذلـك سنة ثلاثـين من الهجرة.

ولعل هذا ومـا أكـده حـذيفـة رضى الله عـنه له من خـلافـات أهل الأمصـار النائية كان الباعث القـوى على أن يعمل عثـمان رضي الله عنه على نشر النص المكـتوب من القرآن، فقـد أصبحت الحـاجة إليه مـاسة. والضرورة ملحة، فـأرسل إلي حفصة زوج النبى أمينة المصـحف المجموع والمودع لديها منذ وفـاة أبيها عمر رضى الله عنه يطلب إلـيها أن ترسل به إليه، فأرسلته حفـصة رضـى الله عنها، فأمـر زيد بن ثابت، وعبـد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوه في المصاحف. . وقال عـثمان للرهط القرشيين الثـلاثـة إذا اختلفتم أنتم وزيد في شىء من الـقـرآن (في الرسـم) فـاكـتـبـوه بلسـان قـريش (أي بطريـقتهم)[2]. فإنه إنما نزل بلسـانهم ـ فـفعلوا ـ حتي إذا نسخـوا المصحف في المصـاحف رد عـثـمـان الصـحف إلى حـفـصـة وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق[3].

(١) المصاحف / ٢٠.

(٢) وهكذا احتفظت كلمة (التابوت) التى تكتب (التابوه) في المدينة بشكلها المكى.

(٣) من رواية البخارى في كتاب فضائل القرآن.

وبجانب هذه الرواية رواية أخري تجعل عدد القائمين بأمر النسخ اثنين: هما زيد بن ثابت، وسعيد بن العاص، وأخرى تجعل عدد القائمن به اثنى عشر رجلا منهم مالك بن عامر، وكثير بن أفلح، وأنس بن مالك وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص[1]، ومنطق الأشياء قد يحمل على قبول كل هذه الروايات، فاللجنة الرباعية التى شكلها عثمان رضى هى التى أنيطت بها مسئولية إنجاز هذه المهمة ، واللجنة الثنائية هى التي تولت الكتابة والإملاء ـ ربما للنسخة الأولى فقط ـ فكتب زيد وأملى سعيد، يدل لذلك ما أخرجه الحافظ البيهقى في كتاب المدخل : من أن عثمان رضى الله عنه بعد أن عزم الأمر على نسخ المصحف قال : من أعرب الناس ؟ قالوا سعيد بن العاص ـ وأنه لأشبه لهجة برسول الله ﷺ قال : فمن أكتب الناس ؟ قالوا: زيد بن ثابت كاتب رسول الله ﷺ قال : فليمل سعيد، وليكتب زيد[2].

أما اللجنة الموسعة والتى قيل عدتها اثنا عشر رجلا فأدنى ما يحمل عليه قبولها أنها هي التى تولت نسخ بقية المصاحف، فقد يشق على اثنين أو أربعة القيام بنسخ عدد من المصاحف [3]ـ وإن اختلف في عددها ما بين

(١) كتاب المصاحف ١/ ٢٢ ـ ٢٥.
(٢) المرشد ٥٩ ـ ٦٥.
(٣) المرشد / ٦٤.

أربعة إلى سبعة، فإن المجمع عليه في أكثر الأقوال أنها خمسة ـ سوى ما احتفظ به عثمان لنفسه ـ وقد بعث بها إلى كل من مكة والمدينة، والكوفة والبصرة، والشام وأنفذ مع كل مصحف مقرئا له، فكان زيد بن ثابت مقرىء المدنى، وعبد الله بن السائب مقرىء المكى، والمغيرة بن شهاب مقرىء الشامى وأبو عبد الرحمن السلمى مقرىء الكوفى، وعامر بن عبد القيس مقرىء البصرى[1].

* * *

(١) راجع مناهل العرفان ـ للزرقانى ١/٣٩٦ ـ ٣٩٧.

ولقد اتبعت هذه اللجان في استنساخ المصاحف ماكان متعارفا عليه في الكتابة العربية آنذاك من قواعد هجائها، وأصول رسمها، ومن ثم جاءت رسوم المصاحف العثمانية تمثيلا صحيحا لواقع الكتابة العربية ومصطلحاتها، ولم يكن للناس سوى هذه الطريقة فيما يكتبون من نصوص القرآن، أو غيره من شئون حياتهم.

وقد أمكن للدارسين أن يحددوا بعض خصائص هذه الكتابة من خلال البرديات والنقوش التى ترجع بتاريخها إلي ما قبل استنساخ المصاحف على النحو الآتى:

١ ـ وجود ثمانية وعشرين حرفا تمثل واحدا وثلاثين صوتا، هى الأصوات الثمانية والعشرون ذات المخارج المحددة في أعضاء النطق، إضافة إلى ثلاثة أصوات أخرى ذات طبيعة هوائية، هى الفتحة الطويلة، والكسرة الطويلة، والضمة الطويلة.

٢ ـ استخدمت العربية القديمة رمز (الياء الصامتة) للدلالة على الكسرة الطويلة، ورمز (الواو الصامتة) للدلالة على الضمة الطويلة، ورمز (الألف) للدلالة على الفتحة الطويلة.

وكان استخدامها للياء والواو للدلالة على الحركتين الطويلتين الكسرة،

والضمة أسبق من استخدامها للألف دالة على الفتحة الطويلة.

٣ ـ كما استخدمت (اليـاء والواو) كذلك للدلالة على الفتحة الطويلة في مرحلة ما قبل استـخدام الألف للدلالة عليها، فاستـخدمت الواو للدلالة على الفتحة الطويلة في وسط الكلمة، وقد بقى من آثار هذه المرحلة بضع كلمـات هى (الصلـوة، والزكـوة، والحـيوة، ومـنوه: مناة، ومـشكوة : مشكاة، والنجوة : النجاة)، وربما كان هذا استعمال أهل الحيرة الذين أخذ أهل الحجاز الكتابة عنهم.

٤ ـ كما استعملت (الياء) للدلالة على الفتحة الطويلة كذلك في آخر الكلمة وقد بقى من آثار تلك المرحلة كثـير من الكلمات سواء أكانت من ذوات اليـاء أم من ذوات الواو من الثـلاثى أو من غيـره ويكفى أن تقـرأ سورة (الأعلى).

وحتى بعد استخدام الألف لـلدلالة على الفتحة الطويلة لم تستطع أن تنتزع من هذه الظاهرة إلا القليل.

وربما كان قـدم استخـدام رمز الياء، وحـداثة استخـدام الألف رمزاً للفتحة الطويلة سببا في اطراد إثبـات الفتحة الطويلة المرسومة ياء في حالة اتصال الضمائر بها في الرسم العثمانى، ويكفى أن تقرأ سورة **﴿والشمس وضحيـها ، والقمر إذا تليـها﴾** وهو على عكس ما عليـه الإملاء الحديث من رسمها بالألف في مثل هذه الحال.

٥ ـ كما كان لحداثة استخدام الألف رمزا للفتحة الطويلة أثر في إثباتها حينا في وسط الكلمة، وتركها حينا آخر، حيث لم تكن قد استقرت الإشارة إليها في الكتابة العربية.

٦ ـ كتابة الصوت المكرر الذى لا يفصل بين الأول والثانى منهما حركة ـ وهو ما يعرف بالمدغم ـ برمز واحد، من حيث هو في النطق صوت واحد.

٧ ـ استعملت الكتابة العربية (التاء المبسوطة) علامة للتأنيث في الأسماء المؤنثة في عدد من آثارها القديمة، فجاءت (خلت): خالة، (سنت) سنة، (غزلت): عزالة، (حرثت) حارثة، (جذيمت) جذيمة.

كما عَرفت أيضا تطورها إلى هاء مربوطة، فجاءت كلمة (رحمه) في بعض الآثار النبطية بالتاء المربوطة.

٨ ـ لم تعرف الكتابة العربية القديمة سوى (الألف) رمزًا للهمزة أياكان موقعها من الكلمة..

تلك هى خصائص الكتابة العربية، ولا معدى لمستخدميها عن تمثيل تلك الخصائص بإزدواج ظواهرها في تمثيل الحركات الطويلة، وبعض الصوامت.

ولو أنها جمدت على هذه الحال، وتناقلتها الأجيال على هذا النحو، حتى عصرنا هذا؛ لكان استخدمها أمرا مقبولا، وشيئا مألوفا، وليس أدل على ذلك من إلفنا لكلمات تناهت إلينا منها ـ دون أن تمسها يد الإصلاح ـ فاستخدمنا ها كما هى عليه من حذف أو زيادة؛ كحذف الألف من أسماء الإشارة، وزيادة الألف في لفظ (مائة)، والواو في (أولئك) إلى غير ذلك من كلمات أقرها الإملاء الحديث.

ولكن هذا الازدواج في تمثيل الأصوات، وعدم الاطراد قد آثار قلق العلماء من أهل المدينتين البصرة والكوفة عند تدوين العلوم واتساع حركة الكتابة في منتصف القرن الثانى الهجرى، فمالوا إلى توحيد قواعد الهجاء، وتقديم أسلوب أيسر للكتابة شعارهم في ذلك؛ أن الأصل في الكتابة مطابقة الخط للفظ بتقدير الابتداء به، والوقوف عليه.

غير أن هذا الشعار لم يكن مرعيا وحده لدى كتّاب المصاحف فقد كانوا يكتبون حينا على قاعدة الأصل والقطع، وحينا على قاعدة اللفظ والوصل. من ثَمّ بدت رسوم المصاحف ـ في ضوء هذا الشعار ـ خطأ حمل وزرَه الصحابة الكاتبون، واتُّهموا بسوء الهجاء ظلما وعدوانا؛ إذ ليس من الإنصاف أن نحاكم ظواهر رسوم المصاحف إلى أصول وقواعد جاءت لاحقة لتاريخ وجود هذه الظواهر.

ومنذ تقعيد الهجاء على مبدأ مطابقة الخط للفظ، بتقدير الابتداء به والوقوف عليه، وميل الناس إلى تطبيقه، حدثت ردود فعل حول رسم

المصحف، أيخضع لهذا المبدأ، ويجـرى إصلاح ما بدا منه مخالفا له، أم يظل بمنجاة من الخضوع لهذا المبدأ؟

وسـأل الناس الإمام مـالك بن أنس إمـام أهل المدينة (ت ١٧٩هـ) : أرأيت من استكتب مصحفـا اليوم، أترى أن يكتب على ما أحدث الناس من الهجاء اليوم؟ فقال : لا أرى ذلك، ولكن يكتب على الكتبة الأولى. وكان لهذه الفتوى صدى طيب، فقـد تناقلها الناس، وأكدها العلماء جيلا بعد جيل صيانة للنص القرآنى من التحريف.

ومن ثم تضافرت جـهود العلماء على صيانة هذا الرسم فـاتجهوا إلى حصـر الكلمـات التي جاءت في المصـاحف مكتوبة بصـورة تخالـف ما اصطلح عليـه الناس في الفتـرات اللاحقـة؛ لتكون بين أيديهم عند كـتابة المصحف، وكان من حصيلة هذا الاتجاه المؤلفات الكثيرة في موضوع رسم المصحف، ومن أشهرها كتاب (المقـنع في رسم مصاحف الأمصار) للإمام أبى عمر و عثمان بن سعيد الدانى (ت ٤٤٤هـ).

* * *

وتميز من ذلك الحين رسمان، أحدهما (الرسم الإملائى) ويعني ما اصطلح عليه علماء اللغة من قواعد الكتابة المستحدثة، والآخر(الرسم العثمانى) ويعنى الطريقة التى استخدمها كتبة المصاحف العثمانية وفق المتعارف عليه من مصطلحات الكتابة العربية القديمة. . .

ونظراً لما بين الرسمين من فروق في الحذف والزيادة، والقطع والوصل، وقد عجز الناس عن تفسير ظواهرها في الرسم العثمانى في غيبة البعد التاريخى لهذه الظواهر ـ ظن بعض الناس أن ما زيد أو حذف، أو قطع أو وصل ـ على غير اطراد ـ ما هو إلا أمر توقيفى عن النبى ﷺ علمه أصحابه، حتى انتهى إلى كتبة المصاحف فاتبعوه كما عُلّموه، وأن به أسراراً باطنية لا تدرك إلا بالفتح الرباني.

وقنع بهذا الظن أبو العباس أحمد بن محمد العدوى ـ الشهير بابن البناء المراكشي ـ (ت ٧٢١هـ) فأخذ يبحث عن تلك الأسرار، وقد ضمنها كتابه (عنوان الدليل في مرسوم خط التنزيل) جاء فيه تعليلا لزيادة الألف في قوله تعالى (لأعذبنه عذابا شديداً أو لأاذبحنه) أنه تنبيه على أن المؤخر أشد وأثقل في الوجود من المتقدم عليه لفظا، فالذبح أشد من العذب. . وعلل زيادة الياء في قوله تعالى (والسماء بنيانها بأييد) بأنها جاءت للفرق بين (الأيد) الذي هو القوة، وبين (الأيدى) جمع يد، ولا شك أن القوة التي بني الله بها السماء هى أحق بالثبوت في الوجود من الأيدى، فزيدت الياء

لاختصاص اللفظ بالمعنى الأظهر في الإدراك الملكوتى في الوجود. ويعلل حذف الواو في قوله تعالى (ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير) بأنه للتنبيه على سرعة وقوع الفعل وسهولتـه على الفاعل، وشدة قبول المنفعل به المتأثر به في الوجود، فدعـاء الإنسان بالشر سهل عليه ويسـارع فيه كما يسارع في الخير بل إثبات الشر إليه من جهة ذاته أقرب إليه من الخير..

ويعلل حذفها كـذلك في قوله تعالى **﴿ويمح الله الباطل﴾** بأنه أشارة إلى سرعة ذهاب الباطل واضمحلاله.

وقـد ترك هذا الاتجاه أثـرا في الخالفين بعـده، فـقد ذهـب بعضـهم مـذهبه، وردد قـوله، منهم عبد الـعزيز الدباغ (ت١١٣٢هـ) الذى قال ـ فيما نقله عنه تلميذه أحمد بن المبارك (ت١١٥٥هـ) في كتاب (الإبريز): ما للصحابة ولا لغـيرهم في رسم القرآن ولا شعرة واحـدة وإنما هو بتوقيف من النبى ﷺ، وهو الذى أمـرهم أن يكتبـوه على الهيـئة المعروفـة بزيادة الألف ونقصاتها؛ لأسرار لا تهتدى إليها العقول.. كما للحروف المقطعة التى في أوائل السور؛ فإن لها أسرارًا عظيمة لم تدرك.

أدلة القائلين بالتوقيف:

وراح أصحاب هذا الاتجاه يلتمسون أدلة لقولهم بالتوقيف منها:

١ ـ أن النبى ﷺ كان له كتاب يكتبون الوحى، وقد كتبوا القرآن فعلا بهذا الرسم، وأقرهم الرسول على كتـابتهم، ومضي عهده ﷺ على هذه الكتـبة، لم يـحدث فـيه تغـيـير ولا تبـديل، بل ورد أنه ﷺ كـان يضع

الدستور لكتاب الروحى في رسم القرآن وكـتابته، ومن ذلك قوله لمعاوية ـوهو من كتبة الوحي ـ ألقِ الـدواة، وحرّف القلم، وانصب الباء، وفرّق السين، ولا تعوّرالميم، وحسن (الله)، ومد (الرحمن)، وجود (الرحيم)، وضع قلمك على أذنك اليسرى، فإنه أذكرلك.

وانتهى مـا كتبـه كتـاب الوحى للنبى ﷺ إلى أبى بكر رضي الله عنه فنقله ـ يعنى برسمه ـ ولم يغير فيه شـيئا من كتابته، ثم صار من بعده إلى عثمان رضى الله عنه، فنقل عنه ولم يغير فيه شيئا من رسمه، وأجمع عليه الصحابة مـن بعدهم، والتابعون، وتابعـوهم ولم ينقل أن أحد منهم فكر أن يستبدل به رسما آخـر من الرسوم التى حدثت في عهد ازدهار التأليف ونشاط التدوين، وتقدم العلوم، بل بقى الرسم العثماني محترما متبعا في كتابة المصاحف لا يمس استقلاله، ولا يستباح حماه.

٢ ـ ومنهـا قول زيد بن ثابت رضى الله عنه كنت اكـتب الوحى عند رسول الله ﷺ ـ وهو يملى على ـ فـإذا فرغت قال : اقرأ، فـأقرؤه، فإذا كان فيه سقط أقامه، ثم أخرج به إلى الناس.

٣ ـ ومنها قـول الإمام مالك حين سئل عـن كتابة المصحف بالهـجاء الحديـث فقال : لا أري ذلك.. وقـول الإمام أحـمد بن حنبـل : تحرم مخالفة خط المصـحف، في (واو) أو (ياء) أو (ألف) أو غير ذلك. وقول البيهقى : مَنْ كتب مصحفـا ينبغى عليه أن يحافظ على الهجاء الذى كتب به.

أدلة القائلين بالاصطلاح

هذا.. على حين يذهب فريق آخر من العلماء إلى أن رسم المصحف اصطلاح لا توقيف منهم القاضى أبو بكر الباقلانى (ت٤٠٣هـ) فقد قال في كتابه (الانتصار) : وأما الكتابة فلم يفرض الله على الأمة فيها شيئا، إذ لم يأخذ على كتاب القرآن، وخطاط المصاحف رسما بعينه دون غيره أو جبه عليهم، وترك ما عداه، إذ وجوب ذلك لا يدرك إلا بالسمع والتوقيف، وليس في نصوص الكتاب ولا مفهومه أن رسم القرآن وضبطه لا يجوز إلا على وجه مخصوص، وحد محدود، لا يجوز تجاوزه، ولا في نص السنة ما يوجب ذلك ويدل عليه، ولا في إجماع الأمة ما يوجب ذلك، ولا دلت عليه القياسات الشرعية. بل السنة دلت على جواز رسمه بأى وجه سهل، لأن الرسول ﷺ كان يأمر برسمه ولم يبين لهم وجها معينا، ولا نهى أحدا عن كتابته، ولذلك اختلفت خطوط المصاحف، فمنهم من كان يكتب الكلمة على مخرج اللفظ، ومنهم من كانت يزيد وينقص لعلمه بأن ذلك اصطلاح وأن الناس لا يخفى عليهم الحال. ولأجل هذا بعينه جاز أن يكتب المصحف بالخط والهجاء القديمين، وجاز أن يكتب بالخطوط والهجاء المحدثة، وجاز أن يكتب بين ذلك..

ثم قال : وبالجملة فكل من ادعى أنه يجب على الناس رسم مخصوص وجب عليه أن يقيم الحجة على دعواه، وأنىّ له ذلك؟

رأى وترجيح:

ونحن أمـام هذين الاتجـاهين أمـيل إلى القـول بأن رسم المصـاحف اصطلاح من الصحابة رضـوان الله عليهم مشوا فيه على مـا كانت قريش تكتب عليه في الجاهلية.

ولنا فيمـا نميل إليه أدلة تنقض دعوى (التوقيف)، وتؤكد أنه اصطلاح، منها:

١ ـ أن القـول (بالاصطلاح) أقـوى منطقا، وأظهـر حـجة، أحـسن الباقلاني التعبير عنهما فيما نقلناه من كلامه.

٢ ـ ما استدل به القائلون بالتوقـيف من أن النبى ﷺ أمر كتبة الوحى أن يكتبوه بهذا الرسم، وأقرهم عليه، ووضع لهم دستوره واتبعه الصحابة من بعده..

نقول هذا ادعاء ينقضه الواقع:

أولا: لو كان هذا صحيحا لجاءت نسخ المصاحف العثمانية على رسم واحد لا اخـتلاف فيـه، ولكن الواقع أن نُسَخَ المصاحف جـاءت مخـتلفة الرسم، يقول الدانى في كتابه (المقنع / ٢٤) : رأيت التـثنية المرفوعة كلها بغير ألف، ولكن المصاحف التي بأيدينا كلها بالألف.

ـ جاء في قوله تعالى ﴿**قل سبحان ربى**﴾ أن لفظ (سبحان) في هذه الآية مختلف فيه بين المصاحف بألف وبدون ألف.

ـ وجاء لفظ (قرآن) بدون ألف وكتب بـألف في مصاحف أهل العراق في الموضع نفسه من الآية.

ـ وجاء لفظ (هاروت، ومـاروت، وهامان، وقارون) مـختلف الرسم بين المصاحف بألف وبدون ألف.

ـ وجاء لفظ (كاتب) بألف وبدون ألف في موضع واحد.

ـ وجاء لفظ (عبادى) (في الزخرف / ٦٨) بياء وبغير ياء.

ـ وجاء لفظ (قوارير) ولفظ (ولا أوضعوا) مختلف رسمهما كذلك بين المصاحف.

ـ وقال أبو عبـيد القاسم بن سلام رأيت في مصاحف الناس اخـتلافا عما في رسم مصحف الإمام وعدد أربعة عشر موضعا..

وإذا كان ذلك واقعا فأى ذلك توقيف عن النبى ﷺ ؟

ثانيـا : ينقـض دعوى التـوقيف عن النبى ﷺ ما كان مـن قول عثمان رضى الله عنه للـرهط القـرشيين : إذا اخـتلفـتم أنتـم وزيد في شىء من القـرآن فاكـتبوه بلسـان قريـش فإنما نزل بلغـتهم . . . قـال زيـد فـجعلنا نختـلف في الشىء ثم نجمع أمـرنا على رأى واحـد، حتى اخـتلـفنا في لفـظ (التابوت) فقلت (التـابوه) وقال القرشيون(التـابوت) قال فأبيت أن أرجع إليهم وأبوا أن يرجعوا إلىّ، فرفعنا ذلك إلى عثمان رضى الله عنه، فقـال اكتـبوه (التـابوت) بالتاء المفـتوحة، فـإنما نزل القرآن علـى لسان قريش.

فلو كان توقيـفا لما كان هناك اختيار، ولا اخـتلاف ، ولم يكن لهذا النص مجل. .

٣ ـ ما استدل به القائلون بالتوقيف ـ مما نسبوه إلى النبى ﷺ من قوله لمعاوية (ألق الدواة، وحرف القلم، وانصب الباء. .).إلخ

نقول هذا القول ـ إن صـحت نسبته إلي النبى ﷺ فـهو تعليم تجويد الخط والكتابة، لا دستورًا لرسم الكلمات وهجائها ـ كما يدّعون .

٤ ـ ما استدلوا به على التوقيف من قول زيد بن ثابت رضى الله عنه: (كنت أكتب الوحى عند رسول الله ﷺ ـ وهو يملى علىّ. .).

نقول هذا الشاهد لا يفيد مراجـعة الرسم، وإنما هو نص في مراجعة النص القرآنى من حيث الزيادة فيه أو النقص مما يخل به فيقومه. .

وفرق بين مراجعة النص، ومراجعة الرسم.

٥ ـ ما اسـتدلوا به علي التوقـيف من قول الأئمـة مالك، وابن حنبل وغيـرهما من الالتـزام والمحافظة على الهجـاء الذى كتـبت به المصاحف العثمانية.

نقول : إن ما استدلوا به إنما هو دعوة لالتزام الرسم ووجوب اتباعه، ووجوب الالتزام لا يستوجب بالضرورة كونـه توقيفيا، إذ التوقيف شىء، والدعوة إلى التزامه شىء آخر.

وقد عقب (الزرقـانى في مناهله) على هذا القول، فقـال: إن ماسبق من أدلة لا تدل على تحريم كـتابة القرآن بغـير هذا الرسم، إذ ليس فيـها زجر الإثم ووعيده، ولا نهى الحرام وتهديده،و إنما قصاراها الدلالة على جواز الـكتابة بالرسم العـثمـانى ووجاهتـه، ودقتـه، وذلك محل اتـفاق وتسليم.

٦ ـ ما استـدلوا به من قول الدباغ، وابن المبارك على التـوقيف من أن في حـذف الحروف، وزيادتهـا أسرارًا إلهـيـة من نحو مـا أشار إليـه المراكشي ـ ينبغى حفظ أوعيتها في حروفها من حذف أو زيادة.

نقول: لو كـان هذا لسر، لعلم منه الصحابة شـيئا، كمـا علموا من تفسيره، ولم ينقل عن صحابى ـ فيـما نعلم ـ أنه حدّث بشىء من أسرار الرسم ولا علله.. وأن ما ذهب إليه المراكشي، والـدباغ من أنها أسرار باطنية لا تدرك إلا بالفتح الربانى، فكلام لا يقبله العقل العلمى، وهو منهج مرفوض في كل أمور الدين..

ويقول ابن خلدون ـ في معـرض التعليق علي هذا الزعم ـ ولا تلتفتن إلي ما يزعـمه بعض المغفلين من أن مـخالفة الخط لأصـول الرسم لوجه يريدونه، كـمثل زيادة (الألف) في (لا أذبحنـه) للتنبيـه على أن الذبح لم يقع، وزيادة (الياء) في (بأييد) تنبيه على كـمال القدرة، وأمثال ذلك مما لا أصل له إلا التحكم المحض.

وقال بعض العلماء: لو كانت زيادة (الياء) في (بأييد) لكمال قدرة الله تعالى، لكان أولى بزيادتها كذلك كلمة (يد) في قوله تعالى (يد الله فوق أيديهم)، ولو كان نقص حرف من كل ما يدل على سرعة وقوع الفعل وسهولته على الفاعل كما حذف من (يدع) لحذفت الواو من كلمة (يكون) في قوله تعالى **﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون﴾**..

ويعقب الدكتور صبحى الصالح على هذا الاتجاه بقوله: إن هذا غلو في تقديس الرسم العثماني، وتكلف في الفهم ما بعده تكلف، فليس من المنطق في شيء أن يكون أمر الرسم توقيفيا، ولا أن يكون له من الأسرار مالفواتح السوره فما صح في هذا التوقيف حديث عن رسول الله ﷺ، ولا مجال لمقارنة هذا بالحروف المقطعة في أوائل السور التى تواترت قرآنيتها.

٧ ـ ما نقل عن العز بن عبد السلام (ت٦٦٠هـ) من قوله: لا تجوز كتابة المصحف الآن على الرسم الأول باصطلاح الأئمة، لئلا يوقع في تغيير من الجهال. فهذا القول ـ فضلا عن نفيه التوقيف ـ يذهب إلى عدم وجوب الالتزام به..

وربما كان تفرد العز بن عبد السلام بهذا الرأى راجعا إلى ما أداه إليه اجتهاده من أن في كتابة القرآن بالمصطلحات الشائعة عند الناس مصلحة وتيسيراً على الأمة، فالشريعة عنده قائمة على رعاية المصالح.

وعقب الزركشى على هذا الرأى بقوله: ولكن لا ينبغى إجراء هذا على إطلاقه، لئلا يؤدى إلى دروس العلم وذهابه، وشىء أحكمه القدماء لا يترك مراعاة لجهل الجاهلين، ولن تخلو الأرض من قائم لله بالحجة.

وعلق الزرقانى على رأى العز، وتعقيب الزركشى فقال: وهذا الرأى يقوم على رعاية الاحتياط للقرآن من ناحيتين : ناحية كتابته في كل عصر بالرسم المعروف فيه، إبعادًا لعوام الناس عن اللبس والخلط في القرآن، وناحية إبقاء رسمه الأول المأثور يقرؤه العارفون ومن لا يُخشى عليهم الالتباس، ولا شك أن الاحتياط مطلب دينى جليل خصوصا في جانب حماية التنزيل

٨ ـ ما مربك من خصائص الكتابة العربية ينفى القول بالتوقيف، ويشير إلى أن ما جاء في الرسم العثمانى من حذف وزيادة هو واقع كتابى تميزت به الكتابة العربية في تلك الفترة ـ لا عملا إراديا من كتبة المصاحف لوجوه قصدوها.

استحسان الالتزام بالرسم العثماني:

واذا كان قد استبان لك رجحان القول بأن الرسم العثمانى اصطلاحى لا توقيفى فإن الالتزام به في كتابة المصاحف أمر استحسنه العلماء.

ـ لا لأنه توقيفى ـ بل لعدة أسباب أخرى منها:

١ ـ الالتزام بالرسم العثمانى ضرورة دينية لصيانة القرآن الكريم

وحمايته من التبديل والتحريف.

٢ ـ الالتزام بالرسم ضرورة اجتماعيـة لتوحيد كلمة الأمة حول رسم القرآن، ينفى عنها كل شقاق، ويقيها فتنة الاختلاف .

٣ ـ الالتزام بالرسم العـثمانى اعتـصام برسم عام يجـمع الأمة على كتابة كـتاب ربها، كاللغـة العربية لسانهـا العام الذى يجمعـها على قراءة كتاب ربها في سائر الأعصار والأمصار.

٤ ـ الالتـزام بالرسم العـثمـانى احـترام لرمـز ديني، وإجـلال لأثر إسلامى، واعتزاز بأرث كريم، نصافح فيـه أيدى راسميه، ونتنسم فيه عبق أنفاس كاتبيه.

ظواهر الرسم العثماني: و صف وتفسير

إذا كنا قد انتهينا إلى أن الرسم العثمانـى تمثيل دقيق لمصطلحات كتابية تميزت بخصائص عدة، أجملناها فيـما سبق، فماذا تركت هذه الخصائص من ظواهر في الرسم العثمانى؟

درج السابقون من علمـاء الرسم على تـصنيف هذه الظواهر على النحـو التالى:

١ ـ الحذف.
٢ ـ الزيادة.
٣ ـ البدل.

٤ ـ الفصل والوصل.
٥ ـ رسم الهمزة.

ولا بأس علينا من استخدام هذا التصنيف لشيوعه، مع مالنا من تحفظ على كلمة (حذف) إذ هى تشعر بأن المحـذوف كان موجودا، ثم حذف، والحق أنه كان متروكا ابتداء، ولم يكتب. وكذلك ما نتحفظ به على كلمة (البدل) إذ هى تشـعر أيضا بأن هناك تبادلا بين حـرفين، والحق أن الحرف المكتوب غـير منظور فيه إلـى أنه بدل عن حرف آخر، وبعبـارة أخرى أن الحرف الأسبق كان يمثل مرحلة كتابية، ثم تلتها مرحلة أخرى فمثلها حرف آخر، ولم يقع تبادل بينهما في مرحلة واحدة.

إلا أن يكون مصطلحا (الحـذف، والبدل) عند القدماء منظورا فيـهما إلى قواعد الهجاء التى استحدثهـا علماء العربية في فترات لاحقة لظواهر الرسم العثمانى، فـبدا الحرف مرسوما في الهجاء الحـديث، محذوفا، أو مبدلا من غيره في الرسم العثمانى.

غـيـر أن المنهج الأمـثل في دراسـة هذه الظـواهر يقـوم على وصف الظاهرة وتفسيرها بغض النظر عن علاقتها بقواعد الهجاء الحديث اللاحقة عليـها؛ إذ أن هذه الظواهر ـ في واقع الأمـر ـ مؤثرة في قـواعد الهـجاء الحديث، لا متأثرة هى بتلك القواعد.

أولا: حذف واثبات الحركات الطويلة إذا وقعن طرفا:

ظواهر الحذف:

حذف الياء، والواو، والألف.

اطرد إثبات الحركات الطويلة (الياء، والواو، والألف) في أواخر الكلم، وأمثلته في القرآن أكثر من أن تحصى.

غير أن هذه الحركات قد تحذف لفظا في حالتين:

الأولى: عند الوقف على الياء بالسكون وهو لغة هذيل - إذا وقعت طرفا في اسم منقوص، أو فعل معتل، أو كانت ضميراً للمتكلم في اسم أو فعل.

والثانية: إذا اتصلت الياء أو الواو، أو الألف بساكن بعدها في درج الكلام فإنهن يسقطن لفظا.

وفي هاتين الحالتين جرى الرسم العثمانى على اللفظ فحذف هذه الحركات خطا كما حذفن لفظا.

مثال ذلك في الحالة الأولى:

- حذفها في الاسم المنقوص: الكبير المتعال، يوم التلاق، يوم التناد، مهطعين إلى الداع.

- حذفها في الفعل المعتل: يوم يأت لا تكلم. ماكنا نبغ، والليل إذا يسر.

ـ حذفـها فـي الاسم ضمـيرا للمـتكلم : وإليه مـتاب، فكيـف كان عقاب، وخاف وعيد، ياقوم مالى، رب إنهن أضللن، يا عباد فاتقون.

ـ حذفها في الفـعل ضميرا للمتكلم: وإياى فـارهبون، إذا دعان،وقد هدان، ثم كيدون فلا تنظرون.

مثال ذلك في الحالة الثانية:

ـ حذف الياء (في الأسمـاء): إن الله لهاد الذين آمنوا، رب اغفرلى، فبشر عباد الذين، وله الجوار المنشآت، على واد النمل.

ـ حـذف اليـاء(في الأفـعـال): وسـوف يؤت الله، واخـشـون اليوم.وكذلك ننج المؤمنين، إن يردن الرحمن، فما تغن النذر.

ـ حذف الواو (في الأفـعال): ويدع الإنسـان، ويمح الله الباطل، يوم يدع الداع، سندع الزبانية.

ـ حذف الألف في : أيه المؤمنون، يا إيه الساحر، أيه الثقلان

ظواهر الإثبات:

ولكن هذا الميل لم يطرد؛ فقد جـاءت هذه الحركات ثابتة في الرسم على أصل هجاء الكلمة بتقدير الابتداء بها، وقطعها عما بعدها، والوقف عليها بالحركة الطويلة، وهو لغة أهل الحجاز

مثال ذلك:

ـ فسوف ترانى، استـضعفونى وكادوا يقتلوننى، فهـو المهتدى، يدعو ربه، يرجو رحمة ربه، إلى المسجد الأقصا.

وقد يصلها بما بعدها فتسقط لفظا للساكن بعدها، وتثبت خطا على ما كان للكلمة قبل الوصل.

مثال ذلك:

يؤتى الحكمة، أنى أوفى الكيل، بهادى العمى، أيدى الناس، لمن كان يرجو الله واليوم الآخر، يمحو الله ما يشاء، الآقصا الذى، يأيها الإنسان.

ثانيا: إثبات وحذف الحركات الطوال في وسط الكلمة:

ـ وكذلك اطرد إثبات (الياء) الكسرة الطويلة، (والواو) الضمة الطويلة في وسط الكلمة في الفعل والاسم كما في قوله تعالى: (كمثل غيث أعجب الكفار نباته، ثم يهيج فتراه مصفرا، ثم يكون حطاما، وفى الآخرة عذاب شديد، ومغفرة من الله ورضوان، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور).

ولكن هذا الاطراد قد ينتقض عندما يأتى رمز الياء، والكسرة الطويلة، أو عندما يأتى رمز الواو، والضمة الطويلة متتابعين في كلمة واحدة، فقد يُكتفى بأحد الرمزين عن الآخر في الرسم، ومن ثم جاءت المصاحف متفقة على حذف الياء من نحو (النبين، الأمين، ربانين، والحوارين) وما كان على مثله من كل جمع مذكر سالم عند نصبه أوجره، وقد يأتى بالرمزين على الأصل واللفظ كما في قوله تعالى (لفى

عليين) ١٨/٨٣، لا غـير، وفى الأفـعال جـاء على الأصل واللفظ قـوله (أفعيـينا) ١٥/٥٠ وكـذلك اجتـمعت المصـاحف على رسم (يحيـيكم، وحييتم، ويحييها، ويحيين)وما كان مثله إذا اتصل به ضمير، فإن لم يتصل به ضميـر، ووقعت الياء فيه طرفا نحـو (نحى ونميت، ان الله لا يستحى، أنت ولى) فقد رسمت بياء واحدة.

كذلك جاءت المصاحف متـفقة على حذف الواو من نحو (ولا تلون، لا يستون، والغاون) وشبه ذلك من حيث كانت الثانية علامة للجمع، أو دخلت للبناء للمجهول نحو (وُرى) أو فى بعض الأسماء مثل (داود).

وعلل علماء الرسم حذف الياء، والواو في مثل هذه المواضع بكراهة اجتماع صورتين متفقتين في الخط.

وقد جَرَّتْ كراهة اجتماع مثلين في الخط إلي حذف ألف التنوين حين تلتقى بألف أخرى في آخر الكلمة عندمـا يكون آخر الكلمة همزة منصوبة قبلها ألف نحو (غثاءً، ماءً، جفاءً، سواءً).

وكذلك حذف إحدى اللامين في الأسماء الموصولة (الذى، التى) في الإفراد، والتثنية، والجمع، ولفظ (اليل) إذا دخلت عليه (أل)المعرفة.

ولكن قد يسيغ الكاتب اجـتماع المثلين فيأتى بالـكلمة على أصلها من ذلك (اللغو، اللعنة، اللهو، اللطيف) ولفظ الجلالة (الله، اللهم).

وقد يرجع سبب الحذف إلى ما ألفته الكتابة العربية القديمة من كتابة الحرفين المدغمين حرفا واحداً مشددا، اتساقا مع المبدأ الصوتى على نحو ما أشرنا إليه فى خصائص الكتابة العربية من قبل.

اثبات وحذف الفتحة الطويلة وسطا

أما اثبات وحذف الألف (الفتحة الطويلة) في وسط الكلمة فقد جاءت ثابتة أحيانا، ومتروكة أحيانا كثيرة، ولم يكن لإثباتها أو تركها سبب ظاهر يمكن الاعتلال به، ومن ثَمّ عجز علماء الرسم عن ضبط هذه الظاهرة، حتي إن الإمام ابن وثيق الأندلسى يصرح في الفصل الذى عقده لحذف الألف بقوله: اعلم أن هذا الباب كثير الاضطراب، متشعب، لا يرجع إلى قياس فيحصر.

ولعل هذا الاضطراب راجع إلى عدم استقرار الإشارة إلى الفتحة الطويلة في الكتابة العربية القديمة، من حيث حداثة استخدام (الألف) رمزًا لها، ومن ثم لم يكن مألوفًا لدى كتبة المصاحف الإشارة إليها، فظلوا مترددين بين الاستجابة للواقع الملفوظ، وبين الهجاء المحفوظ الذي خلا من الإشارة إليها، وقد احتفظ الهجاء الحديث من تلك المرحلة ببضع كلمات ظلت على رسمها القديم من ترك الألف؛ من ذلك (الله، اللهم، إله ، هذا، هذه ،هؤلاء، لكن).

وعليه فقد جاء الرسم العثمانى يحمل خصائص الكتابة العربية في تلك المرحلة، ولم يكن أمام علماء الرسم سوى وصف الظاهرة وحصر

ما جاء من الكلمــات بالألف، وما جاء بدونها ليـتبع في رسم المصاحف بموجب الالتزام بالرسم العثمانى. .

ومع التسليم بعدم انضباط الظاهرة فقد حاول بعض الباحثين لمح معيار يمكن أن يحكم مـيل الكاتب إلى اثبـات الألف أو تركـها؛ هو قلة عـدد حروف الكلمة وكثرتها، فمع القلة يميل إلى إثبات الألف في مثل (عام ، الجار، الغار، قـاع، خال، باغ، عاد) ومن الأفعـال (زاد، كان، قال، قام، تاب، كـاد)ولم تأت الألف محذوفة إلا في الفـعل (قال) في بعض المواضع وربما كان الحـذف بسبب ما ورد فيه من القـراءاة علي الأمر (قل) فجاء الرسم ليتسع للقراءتين.

ومع كثرة الحروف يميل الكاتب غالبـا إلى ترك الألف لاختصار رموز الكلمة كما في قوله تعالى **﴿وأرسلنا الريـح لوقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقينكموه وما أنتم له بخزنين﴾**١٥/ ٢٢.

وبين القلة والكثـرة يراوح الكاتب بين المألوف قديما من صـور هجاء الكلمة، وبين واقع نطقها.

وأيما كان الأمر فليس هذا بمعيار يُعَّول عليه، وإلافبم تعلل اقتران فعلين متشابهين في الصـيغة وعدد الحروف في أكثر من موضع وقـد جاء أولهما بالألف، والآخـر بدون ألف فـي نحـو قـوله تعـالى **﴿والذين هاجروا، وجهدوا﴾** ٢/٢١٨، أو ما جاء من لفظ واحد بالألف في موضع وبدونها

في موضـع آخر مثل لفظ (ترابا) بـالألف في سورة ق/٣، وبدون الألف (تربا) في سورة النمل /١٧.

الحروف الزوائد :

ـ زيادة الألف

اطرد في الرسم العـثمـانى زيادة ألف بعـد الواو مطلقا نحـو (آمنوا، ندعوا نسـوا الله، لا تدعوا، اشتروا، ترجـوا، فلا يربوا، إنما أشكوا لن ندعوا، أولوا الألباب، أولوا العلم، بنوا إسرائيل، ملاقوا ربهم، مرسلوا الناقة، كـاشفوا الـعذاب، يعبـؤا، تفتؤا، امـرؤا، الربوا، العلمؤا)وشـبه ذلك. .إلا في أصلين مطـردين، وأربعـة أحـرف، أمـا الأصلان فـهـمـا الفعلان (جاءو، وباءو) متصلين بواو الجمـاعة حيث وقعا في القرآن، وأما الأربعة أحرف فهى (فإن فاءو)٢/ ٢٢٦، (عتو عتو اكبيرا)٢٥/ ٢١، (الذين سـعـو في آياتنا) ٣٤/ ٥، (الذين تبـوءو الدار)٥٩/ ٩ ومـا عـداها فكله بالألف.

وكـذلك بعد الـواو الأصلية في مـوضع واحـد (عـسى الله أن يعفـو عنهم)٤/ ٩٩.

وحـاول علماء الرسـم والعـربيـة تفسـير هذه الظـاهرة على أنحـاء شتى، ولم يكـن من بينها ما هو أدنى قبولا إلا قولهـم أنهـا كانـت للفرق بين (واو) المعني كالحال والعطـف، ومـاسواها من كل (واو) وقعت طرفا بعـد حـرف يتعـذر اتصـالهـا به مـثل قولك [سـارو وراءه] فإذا وجـدت

الألف بعد الواو الأولى كـانت الواو فاعلا، وإذا عدمت علم أنهـا ليست بفاعل، وحمل مـا لا لبس فيه على ما فيـه لبس، وطردًا للباب على وتيرة واحدة.

ولا شك أنها كانت ظاهرة عامة في الكتابة العربية القديمة راعاها كتبة المصاحف إرثا عنها، ومـا جاء منها بدون ألف فى كلمات مـعدودة، فربما كان بداية تحرر من ظاهرة موروثة لا يجـد الكاتب مسوغا لها في الخط، حيث لا يجد لها أثرا في اللفظ.

وتكفى هذه الكلمات بدلالتها على أن عدم التزامها جائز.
ومـن ثـم لم يجد علماء العـربية حـرجا في إتمـام عملية التحـرر مـن هـذه الـظاهرة تـماما فـي الهـجاء الحـديث، ولـم يسـتبقوا منـها سـوى حـالة خـاصة قـد يكون لها ما يسوغـها وهـى أن تكـون فـارقـة بـين واو الجـماعة وواو الـفعل في نـحو قولك (لن يعفـو عنهم ولـن يعفـوا عنه).

وكذلك رسـمت الألف زائدة في بضع كلمـات لتناسب الوقف على رءوس الآيات من ذلك قوله تعالى **﴿وتظنون بالله الظنونا﴾** ٣٣/ ١٠ وقوله تعالى **﴿يا ليـتنا أطعـنا الله وأطعنا الرســولا﴾**٣٣/٦٦، وقـوله تعـالى **﴿فأضلونا السبيلا﴾** ٣٣/ ٦٧، فقـد جاءت كلـمة **﴿الظنونا، والرسولا، والسبيلا﴾** بالألف رغم اقتـرانها بالألف واللام التى لا تجتمع مع التنوين في اسم واحـد، وماذلك إلا حـرصا على التناسب الصـوتى عند

الوقف على رءوس آيات سورة الأحزاب التى تنتهي آياتها ـ وعدتها ثلاث وسبعـون آية ـ بالألف التى تخلف التنوين عند الوقف.. إلا الآية الرابعة فقـد انتهت بكلمـة (السبيل) من غـير ألف، مما يدل على أن الألف غـير لازمة في الكلمة المعـرفة (بأل)، وإنما هى مزيدة فيمـا زيدت فيه للتناسب الصوتى عند الوقف.

رسم الفتحة الطويلة (الألف) واوا.

درج علما السلف علي تسميـة ظاهرة وقوع الواو أو الياء موقع الألف (بالإبدال)، وقد تحفظنا على هذه التسمـية بسبب ما أشرنا إليه هناك من أن هذه الظاهرة في الكتابة العـربية القديمة لم تكن تبادلا بين رمـزين بقدر ما هى اسـتعـمـال مرحلى في تاريـخ استـخدام هـذه الرموز للإشـارة إلى الحركات الطويلة، فقد استـعملت (الواو) للدلالة على الفتحة الطويلة في وسط الكلمة في مرحلة سابقة على استخدام الألف رمزا لها، وقد أوقفتنا النـقوش العربية القديمة على شيء من ذلك، واحـتفظ لنا الرسم العثمانى بهـذه الظاهرة في ثلاثة أصـول مطردة، وأربـعـة حـروف متـفـرقة، أمـا الأصول الثلاثة فـهى كلمة (الصلوة، والزكوة، الحيـوة) حيث ،وقعن. وأما الأحـرف الأربعة فهى: الأول (الغدوة) في قـوله تعالى ﴿ **بالغدوة والعشى** ﴾٦/ ٥٢ وفي قوله تعالى ﴿ **بالغدوة والعشى** ﴾١٨/ ٢٨. والثانى (مشكوة) في قوله تعالى ﴿ **كمشكوة فيـها مصباح** ﴾ ٢٤/ ٣٥، والثالث (النجـوة) في قوله تعـالى ﴿**مـالى أدعـوكم إلى النـجـوة وتدعـوننى إلى النار**﴾٤٠/ ٤١، والرابع (مـنوة) في قـــوله تعــــالى ﴿**ومنوة الثـالثـة الأخرى**﴾٥٣/ ٢٠ .

ومع التطور الذى طرأ على هذه الظاهرة من استـخدام (الألف) رمزا للفتحة الطويلة فإن كـتبـة المصاحف قد حـافظوا على رسم هذه الكلمات في صـورتها القديمة دون أن يجدوا ضرورة لتـغييرها، إلا عندما تتغير صورة هذه الكلمات كلفظ (الصلاة) في بعض أحوال إضافتها فقد يستـجيب الكاتب للنطق ويتخلى عن الشكل القـديم، ومن ثم جـاءت (الصلاة) بالألف في مـثل قوله تعـالى ﴿**قل إن صلاتى ونسكى**﴾٦/ ١٦٢، ولفظ (الحياة) في قـوله تعالى ﴿**حياتنا الدنيا**﴾ حيث وقع.

ولعل استـجابة الكاتب إلى تغيـير رسم كلمتي (الصلاة والحـياة) في بعض أحوال الإضافة ينفى ما ذهب إليه بعض علماء السلف من أن الألف رسمت (واوا) للتفـخيم، إذ لو كان ذلك صحيـحا لظلت بالواو في كل أحوالها، ومن ثم أنكـر بعضهم الاعتلال بالتفـخيم وقال: «لم أعلل به لعدمـه في القرآن العظيم وكلام فصحاء العرب» وذهب إلى أن العلة في ذلك هو الدلالة على أصلها، وهو تفسير يقترب بالظاهرة من أصلهـا التـاريخى من استـخدام الواو رمـزا للفتـحة الطويلة قبل استخدام الألف رمزًا لها، لا أن أصل هذه الألف هو (الواو) إذ لا عـلاقة بـينهمـا على المسـتـوى الصوتى تجـعل الواو أصـلا للألف.

رسم الفتحة الطويلة ياء

وكما استعملت الواو رمزا للفتحة الطويلة في وسط الكلمة في مرحلة

من مراحل الكتابة العربيـة القديمة، استخدمت كذلك (الياء) رمـزًا للفتحة الطويلة في آخر الكلمة مرحليا، وكانت أشيع في الاستعمال من استعمال الواو رمزا لها، ومن ثم لم تجد الكتابة العربية الحديثة غضاضة في استبقاء هذه الظاهرة وفق قانون أكثر تحديدا واطرادًا مما جرى عليه كتبة المصاحف، حيث كانت صورة الكلمة في هجائها القديم أشيع على أقلامهم، ولكنهم لم يغفلوا تطور هـذه الظاهرة في استخـدام الألف رمزا للفتـحة الطويلة فجاء الرسم العـثماني بهذه، وتلك، على غيـر قانون مطرد، سوى أنهم كانوا أكثر ميلا في رسم ما كان من الأسماء والأفعال من ذوات الواو على ثلاثة أحرف (بالألـف) نحو (الصفـا، سنا، خلا، عـفا، دعا) إلا سـتة أحـرف منها فـإنهـا رسمت باليـاء وهي (الضـحى، زكى، دحى،تلى، سجى، طحى).

كـما مـالوا إلى رسم مـاكـان من ذوات اليـاء (بالياء) فـي الأسمـاء والأفعـال وما كان رباعيـا مطلقا سواء اتصلت الكلمـة بضمـير أم لم تتصل، لقـيت ساكنا أو مـتحركـا وذلك نحو (الهدى، الهـوى، سعى، رمى، الأسرى، مـوسى، يخفـى، عيسى، يُتـلى، بشريكم، مـرسيـها، يصليها)..

هذا ما لم تجتـمع في آخر الكلمة ياءان نحو (الدنيـا، العليا،الحوايا) وما كان مثله فإنه رسم بالألف إسما كان أو فعلا في جميع القرآن، وعللوا ذلك بكراهة اجتماع ياءين في الرسم، ولم يأت بياءين سوى كلمة (يحيى).

ولم يطرد هذا الميل كذلك في ذوات الياء، بل رسم منها سبع كلمات بالألف هي (عصانى، الأقصا، تولاه، أقصا (مرتين)، سيماهم، طغا).

ورسم بالياء أيضا (على - إلى - حتى - متى - بلى) حيث وقعن، واختلف في (لدى) فجاءت بالياء في قوله تعالى ﴿لدي الحناجر﴾ ٤٠/١٨، وبالألف في قوله تعالى ﴿لدا الباب﴾١٢/ ٢٥.

وقد علل بعض علماء الرسم كتابة الفتحة الطويلة (ياء) في ذوات الياء على مراد الإمالة، وتغليب الأصل، وما رسم بالألف من ذوات الواو إنما كان لامتناع الإمالة فيه.

ولكن هذا التعليل لا يستقيم من ناحيتين: الأولى أن بعض ما رسم بالياء مفتوح بالإجماع - أى لا إمالة فيه - والثانية أن بعض ما رسم بالألف جاءت الإمالة فيه، وهذا يشير إلى أن الإمالة لم تكن أساسا فيما كتب بالياء ولم يمل، أو فيما كتب بالألف مما أميل ومن ثم عدل بعضهم عن هذا التعليل، ورأى أن ما كتب بالياء جاء على الأصل، وما كتب بالألف جاء على اللفظ، وهو تفسير يقترب بالظاهرة من أصلها التاريخي من استخدام الياء رمزا للفتحة الطويلة قبل استخدام الألف رمزًا لها، لا أن أصل هذه الألف هو (الياء) إذ لا علاقة بينهما على المستوى الصوتى تجعل الياء أصلا للألف.

رسم تاء التأنيث في الأسماء هاء:

يُدرج الأقدمون هذه الظاهرة في باب (البدل) في الرسم العثماني،

ولكن تاريخ الظاهرة يجعل (الهاء) تطورا لحق ظاهرة التأنيث في الأسماء وقد بحث النحاة في أصل هذه الظاهرة فذهب بعض الكوفيين إلى أن الأصل هو (الهـاء) تنقلب إلى تاء، في وصل الكلام، وذهب البـصريون إلى أن الأصل هو التـاء وينتصـر الصوتيـون لرأى البصـريين، ويذهبون في تعليل الظاهرة إلى القول بأنهـا تنطق (تاء) في حال الوصل، وتحذف في حال الوقف، وأن الهاء الموقوف عليـها ليست (فونيـما) من (فونيمـات) اللغة، لا عوضا عن التـاء، ولا بدلا منها، إنما هى (هاء) اجتلبـها الناطق بعد حذف التـاء لإقفال المقطع المفتـوح المنتهي بحركة . .

وأيما كان الأمر فإن قريشـا تقف بالهاء على تاء التأنيث، وتقف طيء عليها بالتاء فتقول قـريش: (كلا إنها تذكره . . في صحف مكرمه، بأيدى سفره) وتقول طى (تذكرت، مكرمت، سفرت) . .

وقـد اتسع الرسم العـثمـانى لكلا المذهبين فـرسم بعـضـها بالهـاء، وبعضها بالتاء، وعلله ابن الأنبارى بأن ماكتب في المصحف بالهاء فقد بنى على الوقف، ومـا كـتب في المصـحف بالتـاء فقـد بنى الخط فـيـه على الوصل.

وقد حصرت كـتب الرسم ما جـاء من الكلمات مـرسومـا بالتاء، وقد تكـرر بعضه في مواضع عـدة منها (رحـمت، نعمت، سنت، امـرأت، بقيت، قـرت، فطرت، شجـرت، لعنت، جنت، ابنت

عمران، معصيت، كلمت، آيت، بينت، ثمرت).

واختلف القراء في الوقف عليها فكان أكثرهم يقف بالتاء على ما رسم بالتاء، وبالهاء على ما رسم بالهاء إتباعا لرسم المصحف، وأجاز آخرون الوقف على الجميع إما بالهاء، أو بالتاء، والوقف بالتاء - كما مر - لغة طيء.

ومع صحة تعليل ابن الأنبارى لهذه الظاهرة؛ فإن من المحتمل أيضا أن رسم ما جاء بالتاء المفتوحة إنما هو ميراث عن الكتابة النبطية التى انحدرت منها الكتابة العربية - على نحوما أشرنا إليه من قبل - وقد بقى فى طباع كتبة المصاحف منها شيء..

و صل الكلمات وقطعها

نص علماء الرسم على أن الأصل في الخط أن تكتب كل كلمة على حرفين فصاعدا منفصلة عما بعدها - مالم تكن ضميرا متصلا - ولكن بعض الكلمات من ذوات الحرفين جاءت في الرسم العثمانى على هذا الأصل، بالقطع حينا، وحينا بالوصل،و من ثم قال ابن الأنبارى: فالمواضع التى كتبت فيها مقطوعة كتبت على الأصل، والمواضع التى كتبت فيها موصولة بنى الخط فيها على الوصل، والكلمات هى: (أن لا، من ما، عن ما، وأن ما، فإن لم، أن لن، عن من، أم من).

قال الداني : جميع ما في القرآن من قوله (ألا) فهو بغير نون لفظا وخطا مثل (ألا تتخذوا من دوني وكيلا) ٢/١٧، وقد جاء منها عشرة أحرف (أن لا) بالنون خطا لا لفظا مثل (أن لا ملجأ من الله) ١١٨/٩ .

وقال : وجميع ما في القرآن من قوله (ممّا) فهو موصول بغير نون لفظا وخطا مثل (فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك) ١٠/١١٤، وقد جاء منها مقطوعا ثلاثة أحرف (من ما) بالنون خطا لا لفظا مثل: (فمن ما ملكت أيمانكم) ٤/٢٥، فإذا دخلت على (مَنْ) نحو قوله تعالى ﴿**وعلى أمم ممن معك**﴾١١/٤٨ فلا خلاف في وصله.

وقال: وكل ما جاء في القرآن من قوله (عمّا) فهو بغير نون مثل: (وما الله بغافل عما تعملون)٢/ ٧٤، إلا حرفا واحد قوله (عن ما نهوا عنه) ٧/ ١٦٦ فهو مقطوع.

وقال: كل ما جاء في القرآن من قوله (إمّا فهو بغير نون مثل: قوله تعالى (فإما ترين)١٩/٢٦، إلا حرفا واحداقوله ﴿**وان ما نرينك**﴾١٣/ ٤٠ فهو مقطوع.

وقال: كل ما جاء في القرآن من قوله (إن لم) فهو بالنون مثل قوله تعالى ﴿إن لم يؤمنوا﴾ ١٨/٦، وكقوله ﴿**فإن لم يستجيبوا لك**﴾ ٢٨/ ٥٠، إلا حرفا واحدا قوله ﴿**فإلم يستجيبوا لكم**﴾١١/ ١٤، فهو بغير نون.

وقال : كل مـا جاء في القـرآن من قوله ﴿إن لن﴾ فهـو بالنون خطا مثل ﴿أن لن نقدر عـليه﴾٢١/٨٧، إلا حرفين ﴿ألن نجعل لكم مـوعدا﴾ ١٨/٤٨، وقوله ﴿ألن نجمع عظامه﴾ ٧٥/٣ فهما بغير نون.

وقال: وكـتبوا في المصاحف (ويصـرفه عن من يشاء) ٢٤/٤٣،وقوله (عن من تولى) ٥٣/٢٩ بالنون، وليس في القرآن غيرهما.

وقال: كل ما جـاء في القرآن من قوله (أمّن) فهو موصـول مثل قوله (أمـن يمشي سـويا) ٦٧/٢٢، إلا أربعـة أحـرف هي قـوله (أم من يكون)٤/١٠٩ (أم من أسس)٩/١٠٩، (أم مـن خلقنا)٣٧/١١، (أم من يأتى)٤١/٤٠ فهى مقطوعة يعنى كتبت بميمين.

من خلال هذا العرض يبدو ميل الكتاب إلى وصل الكلمتين خطا بسبب ما أدى إليه وصلهما لفظا من إدغام الأول في الثانى، فخف عليه كتابتهما حرفا واحدا، كما خف عليـه نطقهما صوتا واحدا، وما جاء منها مقطوعا فقد أجراه على أصله دون التفات إلى هذا التأثر الصوتى في نطـقه، ولكن استجابته للأول أكثر.

وكلما عدم التـأثر الصوتى بين الحرفين، الأخيـر من الكلمة الأولى، والأول من الكلمة الثانية، قل ميل الـكاتب إلى وصلهما، وأجراهما على أصلهما لفظا وخطا، وحينا يخف عليه وصلهما خطا.

ومن ذلك قوله ﴿أين ما تكونوا﴾ ٢/١٤٨، ﴿أينما يوجهه﴾١٧/ ٧٦ ومنه قوله تعالى ﴿فبئس ما يشترون﴾٣/١٨٧، ﴿بئسما خلفتمونى﴾٧/ ١٥٠ومنه قوله تعالى ﴿في ما فعلن﴾٢/ ٢٤٠، ومنهم من يصلهـا ﴿فيما فعلن﴾ ومنه قوله تعالى ﴿كل ما ردوا ﴾٤/ ٩١، ﴿كلما أضاءلهم﴾٢/ ١٠ ومنه قوله تعالى ﴿إن ما توعدون﴾٦/ ١٣٤، ﴿إنما حرم عليكم﴾٢/ ١٧٣ ومنه قوله تعالى ﴿وأن ما يـدعون﴾٣١/ ٣٠، ﴿أنما غنمـتم من شىء﴾٨/ ٤١ ومنه قوله تعالى﴿لكـى لا يكـون علـي المؤمـنين﴾ ٣٣/ ٣٧، ﴿لكيــلا يكون عليك﴾ ٣٣/ ٥٠ ومنه قولـه تعالى ﴿فمال الذين كفروا﴾٧٠/ ٣٦، ﴿ما للظالمين من حميم﴾٤٠/١٨ ومنه قولـه تعالى ﴿قـال ابن أم﴾ ٧/ ١٥٠ ﴿قال يبنؤم﴾٢٠/ ٩٤.

وأمـام هذا الازدواج في رسم الكـلمـة الواحـدة دون سـبب سـوى جوازهما في عرف الكاتب قال عـاصم الجحدرى حين سئل عن المقطوع والموصـول من ذلك قال: سـواء، لا أبالى أقطع ذا، أم وُصل ذا إنما هو هجاء.

رسم الهمزة:

كانت الألف رمزًا للهمزة في الكتابة العربية القديمة أيا كان موقعها من الكلمة، ولم تكن ثمـة مشكلة في كتابتـها أو نطقها، حـيث كانت تنطق محققة، ويرمز لها برمزها وهو الألف.

غير أن تطورًا لحق نطق الهمـزة، فقد استثقلت بعض القـبائل العربية نطقـها والتلفـظ بها؛ فـمالوا إلى الـتخلص منهـا بإسـقاطهـا في الكلام وتعويض موقعـها، وحينا بإسقاطها دون تعـويض، على حين ظلت قبائل أخرى تحـققها، وكـان ذلك مألوفا لدي القـبائل العربية قـبل نزول القرآن ورسمه، وحين نزل القرآن رخص النبى ﷺ لأمته ـ بإذن من ربه ـ أن تقرأ كل قبيلة على ما ألفت من تحـقيق الهمزة، أو تسهيلها، وكان تحقـيقها لغة أهل البادية كتمـيم وقيس وأسد، وتسهيلها لغة أهل الحـجاز كقريش ومن جاورها من قبائل أهل الحضر.

وحين ولى رسم المصاحف العثمانية فتيان من قريش كان أمرًا طبعيا أن يكتبوه بلغتهم على تسهيل الهمزة، تلك اللغة التى أقرها عثمان رضي الله عنه عندما رفع إليه أمـر الخلاف الذى وقع بين زيد بن ثابت، والكتبة القـرشيين في كلمة (التابوت) فقال : اكتبوه بلغة قريش فإن القرآن نزل بلغتهم.

ومن ثم جاء ا لرسم العثمانى على ما كـان مألوفا لدي جميع العرب من تحقيق الهمزة في أول الكلمـة، ورمزها الألف بأى حركة تحركت مثل (أمر، أحمد، إسحاق، أ ا

أما إذا وقـعت الهمـزة طرفا أو وسطا فـقد تسـقط عند تسهـيلها ولا يعـوض موقعـها بشـىء، أو يعوض مـوقعـها بإحـدى الحركات الـثلاث الطويلة،أو بأحد أصوات اللين (الواو، أوالياء) ويتوقف نوع رمز التعويض على حركة الهمزة، أو الحركة السابقة عليها.

الهمزة المتطرفة

ترسم الهمزة المتطرفة إذا تحرك مـا قبلها بصورة الحرف الذى منه تلك الحركة، بأى حركة تحركت هى، لأنها به تخفف لقوته.

أ ـ فإن كانت الحركة فتحة رسمت ألفا مثل (بدا، من سبا، الملا).

ب ـ وإن كانت الحـركة كسرة رسمت ياء مثل (قـرى، يستـهزى، من شاطى).

جـ ـ وإن كانت الحركة ضمة رسمت واوا مثل (إن امرو، اللولو).

واذا كان مـا قبل المتطرفة سـاكنا (صحيـحا أو معـتلا) لم ترسم خطا لسـقوطهـا لفظا إذا خـففت وذلك مـثل (الخب،بين المر، شى، السـو، السى، برى، قرو، شا، جا، يشا، الما، سوا).

الهمزة المتوسطة

أولا: ترسم الهمـزة المتوسطة إذا تحـركت وتحرك ما قـبلها بحـركتين متماثلتين، فـإن كانتا فتحتين رسمت ألفا مـثل (سالتم) (بداكم) وإن كانتا كسرتين رسمت ياء مثل (إلى باريكم) وإن كـانتا ضمتين رسمت واوا مثل (رووس) وتحذف إحدى الواوين لكراهة اجتماعهما فتصير (روس).

وإذا اختلفت الحركتان بين الفـتح، والكسر أو الضم، رسمت بصورة أقوى الحركتين (والكسرة والضمة أقوى من الفتحة).

أ ـ فإن كانت مكسورة وقبلها فتحة رسمت ياء مثل (مطمينة).

ب ـ وإن كانت مضمومة وقبلها فتحة رسمت واوا مثل (يذروكم).

ج ـ وإن كانت مفتوحة وقبلها كسرة رسمت ياء مثل (الخاطية).

د ـ وان كانت مفتوحة وقبلها ضمة رسمت واوا مثل (موجلا).

وإذا اختلفت الحركتان بين الكسر والضم رسمت بصورة أخف الحركتين وهى (الياء) رمز الكسرة مثل (سُيل، وسنقريك). (خاسيون)وتحذف الياء لثقلها مع الواو فتصير (خاسون).

ثانيا : وإذا كانت الهمزة ساكنة وقبلها متحرك رسمت بصورة الحرف الذى منه حركة ما قبلها:

أ ـ فإذا كانت ساكنة وقبلها فتحة رسمت ألفا مثل (الباس، الباسا).

ب ـ وإذا كانت ساكنة وقبلها كسرة رسمت ياء مثل (أنبيهم، جيت).

ج ـ وإذا كانت ساكنة وقبلها ضمة رسمت واوا مثل « المومنون، يوفكون»

ثالثا: وإذا كانت الهمزة متحركة وقبلها ساكن ألقيت حركتها على الساكن قبلها سواء أكان صحيحا أو معتلا ثم تحذف ولا تعوض رسما.

مثال الساكن الصحيح :(تجأرون ـ تجرون، مذءوما ـ مذوما، القرءان القران).

ومثال الساكن المعتل ياء مثل: (هيئة ـ هية).

ومثال الساكن المعتل واوا مثل : (سوءة ـ سوة).

هذا مع ملاحظة أن رسمها على التخفيف إذا أدى إلي وجود رمزين متماثلين متجاورين يحذف أحد الرمزين ويكتفى بالآخر مثل (تؤوي ـ تووى توى) ومثل (خطيئة ـ خطييه ـ خطية) ومثل (تبوءاا ـ تبوا).

التوسط العارض:

وقد تتعرض الهمزة المبتدأة للتوسط بسبب اتصالها ببعض الزوائد، وقد تتعرض المتطرفة للتوسط بسبب اتصال الضمائر بها، وقد تتعرضان للتوسط بسبب نطق الكلام متصلا؛ فيؤدى هذا التوسط العارض إلي تغيير رسم الهمزة المبتدأة بسبب تغير النطق بها من التحقيق إلى التخفيف، أو لتغير طريقة التخفيف في توسط المتطرفة. مثال ذلك في الفعل (أكد) فهى مبتدأة محققة فإذا اتصل بها حرف المضارعة مثل (يؤكد) تصير متوسطة فتخفف تخفيف المتوسطة فترسم واوا (يوكد).

ومثال المتطرفة في كلمة (أولياء) فتخفيفها متطرفة (أوليا) فإذا اتصل بها ضمير فقلت (أولياؤهم) فتخفف تخفيف المتوسطة المضمومة فتقول (أولياوهم) فترسم واوا، وإذا قلت (إلى أوليائهم) فتخفف تخفيف المكسورة (أوليايهم) فترسم ياء.

ومثال المتطرفة المتغير تخفيفها بسبب وصل الكلام (نبؤا الخصم، من عباده العلمؤا إن الله عزيز حكيم، إن هذا لهو البلؤا المبين).

وقد لا يراعي هذا التوسط العارض فتظل المبتدأة محققة على ماهى عليه بحكم الابتداء بها مع اتصالها بالزوائد مثل (سأصرف، فبأى، بإيمان، فلأمه).

كما تظل المتطرفة ـ كـذلك ـ على ما كانت عليه من تخفيفـها متطرفة بغض النـظر عن اتصـالهـا بما بعـدها فـي النطق مـثل (قـال الملأ من قومه)مخففة بالألف. .

وقد يراعى الأصل واللفظ معًا؛ فترسم الهمـزة المبتدأة برمزين أحدهما رمزها محققة، والآخر رمزها مخففة.

وكذلك المتطرفة قد يراعى أصلها مع الوقف عليها، ولفظها مع وصلها بكلام بعدها فترسم برمزين كذلك.

ومن ثم جـاء رسم الهمـزة في بعض الكلمات في الرسم الـعثمـانى بطريقة مزدوجـة مرة بألف وواو، وأخرى بألف وياء جمـعا بين الصورتين باعتبار الانفصال والاتصال.

مثـال ذلك كلمة (سأوريكم) في الأعراف / ١٤٥، وفى الأنبياء / ٣٧ وكلمة (بنيناها بأييـد) الذاريات / ٤٧، وكلمـة (بأييكم المفتـون) القلم / ٦ وكلمـة (بأيـيم الله) ابراهيم / ٥، فـالأولى بالألـف والواو، والأخـريات بالألف والياء، فـالألف رمزها محقـقة قبل دخول الزوائد عليـها، والواو والياء رمزها مخففة بحكم التوسط العارض بدخول الزوائد عليها.

ومثـال المبتدأة والمتطرفة اللتـين رسمتا رسـما مزدوجا بسـبب التوسط العارض لهما في الكلام المتصل لفظ (أولئك، أولوا أولات) حيث وقعت

فهى بالألف على التحقيق منفصلة، وبالواو على التخفيف متصلة. وكلمة (نبأ) في قوله تعالى (ولقد جاءك من نبأى المرسلين) الأنعام/ ٣٤ فهى مخففة بالألف متطرفة منفصلة، وبالياء على التخفيف متوسطة متصلة.

أما كلمة (ملأ) في قوله تعالى ﴿إلى فرعون وملأيه﴾ الأعراف / ١٠٣ فهى مخففة بالألف متطرفة غير متصلة بالضمير، ومخففة بالياء متوسطة لاتصالها بالضمير.

ومن أمثلة رسم الهمزة بألف زائدة قوله تعالى ﴿أولا اذبحنه﴾ النمل/ ٢١ ومثلها﴿ولا اوضعوا﴾ التوبة/ ٤٧ في بعض المصاحف، وقد حار علماء الرسم والعربية في تعليل زيادة هذه الألف فقالوا: هي رمز الفتحة القصيرة قديما، أو هى بسبب إشباع فتحة الهمزة، وكلا الأمرين لا يجد دليلا من واقع الكتابة العربية أو اللغة العربية.

ولكن أحد الباحثين حاول تعليل ذلك فقال: إن من رموز الأبجدية العربية رمز (لا) لام ألف وقد اكتسب صفة الثبوت في الشكل حتى أصبح الكتاب حين يريدون إلحاق اللام في أول كلمة مبتدأة بألف يرسمون هذا الشكل دون أن يحذفوا رمز الألف الذى كان في أول الكلمة، والذي صار أحد طرفى شكل (اللام ألف) ومن هنا استقر رمز الألف بعد اللام ألف في بعض الكلمات دون أن يكون لحركة الهمزة أى دخل في هذه الظاهرة.

وأيا كان الأمر فهو احتمال ينقصه الدليل على صحة التعليل به.

ومن أمثلة رسم الهمزة رسما مـزدوجا بألف وياء كلمة (مائة ومائتين) حيث جاءت، فـالألف رمزها محقـقة لدى أهل التحقـيق، والياء رمزها مخففة لدى أهل التخفـيف وجمع الكاتب بين الرسمين، واحتفظ الإملاء الحديث بهذا الرسم القديم دون تغيير.

الرسم والأداء وحركة التكميل:

بهذا نكون قـد أنهينا عرض ظواهر الرسم العثـمانى وصفا وتفـسيرا، ومن الملاحظ من خلال تلك الظواهر عدم مطابقة الخط للفظ في كثير من الحالات، ففى الخط رموز زائدة لا تلفظ، ورموز تلفظ على غير ما يدل عليه رسمها، وأصوات تنطق وليس لها في الخط رمز.

ومن ثم أثار هذا الرسم مشكلة في الأداء، الأمر الذى حـمل عثمان رضى الله عنه أن يـرسل مع كل مـصـــحف من المصـاحف المـرسلة إلى الأمصار قارئا له لينبه علي وجوب اتباع النطق المروى المعروف دون التفات إلى المكتوب، حتى لا ينشىء الرسم وجوها من الأداء غير مرادة.

ولكن مع امـتداد الزمـان واتساع حـركة الفـتح الاسلامى، ودخـول الإسلام إلى بيئات غير عربيـة، عجز الناس عن تحرى النطق المروى ففشا فيهم اللحن، والتـصحيف، وأصبحت الحـاجة ملحة لدرء هذا الخطر عن القرآن الكريم، فهب ولاة المسلمين في هذه الأمصار لدرء هذا الخطر بسد منافذ الخطـأ الناشىء عن اللحن، والتصـحيف فأعـربوا الرسم بالشكل،

وأعجموا حروفه بالنقط فتميز لكل صوت رمز من الرموز المتشابهة الرسم (كالباء والتاء، والجيم والحاء) إلى آخره وتتابعت حركة التكميل والإصلاح جيلا بعد جيل، فما إن وضع الخليل بن أحمد (رأس عين صغيرة) رمزا للهمزة حتى سارع نساخ المصاحف بوضع هذا الرمز علي الحروف المرسومة عوضا عن الهمزة المخففة وهى الألف، والياء، والواو وما كان منها مخففا بدون تعويض خطى وضعت الهمزة على السطر، أو على متسع بين الحرفين الموصولين، واستكملوا الإشارة إلى الفتحة الطويلة بوضع ألف صغيرة في مكانها من الكلمة، وما حذف من الرسم من الرموز بسبب كراهة اجتماعهما أعيد إلي الرسم فوضعت واو صغيرة، أوياء صغيرة مكان المحذوف منهما، وما كان من الحروف زائدا في الخط ولا ينطق وضعت عليه (دائرة صغيرة) لتشير إلى عدم نطقه.

وهكذا تم إصلاح الرسم بشكل جعله أدق تمثيلا للنطق مع المحافظة على الصورة المرسومة لهجاء كلماته، ومن ثم لم يعد الرسم العثماني مشكلة تواجه القارىء، أو تستوجب التنادى بكتابة القرآن على الرسم الإملائى بعد أن قربت حركة الإصلاح بين الرسمين، فظل للمصحف رسمه، وصار على الإملائى نطقه..

ويعنينا أيضا في هذه المرحلة أن نؤكد على جملة من الحقائق هى:

١ ـ لا خلاف بين علماء المسلمين، على السبب الذى من أجله قام عثمان رضى الله عنه بنسخ عدد من المصاحف أنفذها إلى مختلف العواصم الإسلامية وهو ما كان من اختلاف الناس حول النص القرآنى،

وإن كانت معظم الروايات لاتوضح نوع هذا الخلاف إلا أنها بنيت مداه فقد بلغ حد التكفير، ولن يكون كذلك إلا إذا كان مبايناميابنة فاحشة للنص المنزل، ولن يكون مجرد اختلاف في كيفية الآداء مهما اختلفت به الألسن يبلغ بالناس ان يكفر بعضهم بعضا. وقد أعثرنا البحث على صورة من هذا الخلاف نقلها أحد الباحثين عن كتاب المصاحف: يقول يزيد بن معاوية إنى لفى المسجد زمن الوليد بن عقبة في حلقة فيها حذيفة... إذ هتف هاتف: من كان يقرأ على قراءة أبى موسى فليأت الزاوية التي عند أبواب كندة، ومن كان يقرأ على قراءة ابن مسعود فيأت هذه الزواية التي عند دار عبد الله، واختلفا في آية من سورة البقرة قرأ هذا (وأتموا الحج والعمرة لله)[1]. وقرأ هذا: (وأتموا الحج والعمرة للبيت) فغضب حذيفة واحمرت عيناه[2].

فهذا النص أكثر النصوص دلالة على نوع الخلاف ـ وهو كما ترى ـ يدور حول النص القرآنى المنزل لا في وجوه أدائه كما يزعم كثير من المحدثين والأقدمين. ومثل هذا إذا تفاحش كان كفيلا باغتيال اللفظ المنزل ومحقه فيضيع به بيان القرآن وإعجازه.

وعذر الباحثين في ذلك أنهم يعتبرون هذا الخلاف وأمثاله، من وجوه الخلاف التى نزلت بها الأحرف السبعة، وهو على ما بينا ليس منها في

---

(١) البقرة / ١٩٦.

(٢) عن كتاب المصاحف ١/ ١١، ١٢ ولمكى بن أبى طالب في الابانة ص / ٧٩، ٨٠ كلام يؤكد هذا المعنى.

شيء. وإنما هى إضافات زادها أصحاب المخطوطات الخاصة بجانب النص القرآنى لبيان مجمل، أو تقدير محذوف أو تفسير لفظ بمقتضى فهمهم لأسباب النزول مقاصد التشريع(١).

واعتبر بعض الباحثين هذا العمل اللبنات الأولى في صرح التفسير وفقه الأحكام(٢). غير أن هذا العمل - على نبل مقصده - قد ترك آثارا سلبية على النص القرآنى حين توهم ورثة هذه المخطوطات أو الآخذون عنها أن كل ما فيها هو من ألفاظ الوحى المنزل.

وكم كان مسيئا إلى تاريخ القرآن أن تشيع نسبه هذه الإضافات إلى الوحى في كتب الأقدمين على أنها من الأحرف السبعة، ويتناقلها المحدثون دون تمحيص..

٢ - يكاد يكون من المجمع عليه أيضا أن عمل عثمان رضى الله عنه في المصاحف لم يزد عن نشر النص المجموع في عهد أبى بكر رضى الله عنه المأخوذ مما كتب بين يدى النبى ﷺ بإملائه كما بينا - حين دعت الحاجة إلى نص مكتوب يكون للناس إماما. ولا التفات إلى الروايات التي صورت هذا العمل على أنه جمع جديد(٣).

---

(١) راجع المدخل د. دراز / ٤٨، والبحر المحيط لأبى حيان عند تفسير هذه الآية.
(٢) تاريخ القرآن د. شاهين / ٨٢.
(٣) راجع هذه الروايات والرد عليها في كتاب المرشد / ٦٥، ٧٥.

ومعنى ذلك أن عثمان رضى الله عنه لم يستهدف من عمله إلا أن ينشر على الناس ألفاظ الوحى المنزل ليحسم الخلاف حول ما اعترى القرآن على ألسنتهم من تحريف بالزيادة والنقص واستبدال لفظ بلفظ، وليمتاز به التنزيل عما اختلط به من التأويل في المخطوطات المتداولة، وما جري على ألسنة العامة توهما أنه من الوحى المنزل.

وليس من المستساغ إذًا أن يقبل من بعض الباحثين أن عثمان رضى الله عنه جمع مصحفه على حرف واحد ليحسم الخلاف حول الأحرف السبعة التي أشاعت هذا الاضطراب في النص القرآنى، ولم يبق منها إلا ما احتمله رسم هذا المصحف ـ ذلك لأن المصحف المجموع في عهد أبى بكر باستناد إلى صحف النبى ﷺ لا أثر فيه لهذه الأحرف المدعاة، فإن رخصتها ـ على ما بينا ـ كانت مشافهة لا تسجيلا. ولا يرد علينا توهم بعض الناس أن التنزلات المتعددة لبعض الآيات والتى أذن النبى ﷺ بتسجيلها على هيئاتها المتباينة، وخير في تلاوتها على البدل من نظائرها في السياق القرآنى مثل:

قوله تعالى ﴿هنالك تبلو، وتتلو﴾[1]. وقوله تعالى ﴿يسيركم في البحر، وينشركم﴾[2]، وقوله تعالى ﴿وما عملته أيديهم . وما عملت﴾[3] وقوله تعالى ﴿فبما كسبت، بما كسبت﴾[4] وقوله تعالى

---

(١) يونس / ٣٠ راجع حجة أبى زرعة / ٣٣١.
(٢) يونس / ٢٢ ـ حجة أبى زرعة / ٣٢٩.
(٣) يس / ٣٥ ـ حجة أبى زرعة / ٥٩٨.
(٤) الشورى / ٣٠ ـ حجة أبى زرعة / ٦٤٢.

﴿بوالديه إحسانا، حسنا﴾ [1] وقوله تعالى ﴿إن الله هو الغنى، إن الله الغنى﴾[2]. لا يرد علينا توهمهم أن ذلك وأمثاله هو من وجوه القراءات المرتبطة بالأحرف السبعة التى أبقى عليها عثمان رضي الله عنه في مصاحفه لتواترها، وترك ما عداها من نظائرها لعدم تواترها أو لنسخها. . والحق ما قلناه في شأنها من أنها من القرآن، لا من القراءات المرتبطة بالأحرف السبعة وهما أى القرآن و القراءات حقيقتان متغايرتان على نحو ما قدمنا.

٣ ـ سواء كان عدم إعجام المصاحف العثمانية أمرا محتوما، أو اختيارا من الصحابة فإن خلوه من الإعجام أتاح لهم اختصار إثبات التنزلات المتعددة للنص القرآنى في لفظ واحد إذا احتملها رسم واحد، وربما كان ذلك واضحا في مثل (تبلو وتتلو)، (يسيركم وينشركم) إذا تصورت الرسم بدون نقط. وما لم يحتمله رسم واحد فرقه على المصاحف فأثبت في بعضها على صورة، وفي بعضها الآخر على صورة أخرى وإليك البيان:

(١) الأحقاف / ١٥ حجة أبى زرعة / ٦٦٣.
(٢) الحديد / ٢٤ حجة أبى زرعة / ٧٠٢.

	النص السورة ـ الآية	أهل الحجاز	أهل العراق	أهل الشام
١	البقرة / ١١٦	وقالوا اتخذ	وقالوا اتخذ	قالوا اتخذ
٢	البقرة / ١٣٢	وأوصى	ووصى	وأوصى
٣	آل عمران / ١٣٣	سارعوا	وسارعوا	سارعوا
٤	آل عمران / ١٨٤	والزبر والكتاب	والزبر والكتاب	وبالزبر وبالكتاب
٥	النساء / ٦٦	إلا قليل	إلا قليل	إلا قليلا
٦	المائدة / ٥٣	يقول	ويقول	يقول
٧	المائدة / ٥٤	من يرتدد	من يرتد	من يرتدد
٨	الأنفال / ٦٧	ما كان لنبى	ما كان لنبى	ما كان للنبى
٩	التوبة / ١٠٠	من تحتها : مكى	تجري تحتها	تجرى تحتها
١٠	التوبة / ١٠٧	الذين	والذين	الذين
١١	الأنعام / ٣٢	وللدار الآخرة	وللدار الآخرة	ولدار الآخرة
١٢	الأنعام / ٦٣	لئن أنجيتنا	لئن أنجانا: كوفى	لئن أنجيتنا
١٣	الأنعام / ١٣٧	شركاؤهم	شركاؤهم	شركائهم
١٤	الأعرف / ٣	ما تذكرون	ما تذكرون	ما تتذكرون
١٥	الأعرف / ٤٣	وما كنا لنهتدى	وما كنا لنهتدى	ما كنا لنهتدى
١٦	الأعرف / ١٤١	وإذ أنجيناكم	وإذ أنجيناكم	وإذ أنجاكم
١٧	الكهف / ٣٦	خيرا منهما	خيرا منها	خيرا منهما
١٨	الكهف / ٩٥	ما مكنني: مكى	ما مكنى	ما مكنى

	النص السورة ـ الآية	أهل الحجاز	أهل العراق	أهل الشام
١٩	الأنبياء / ٣٠	ألم ير الذين : مكى	أو لم ير الذين	أو لم ير الذين
٢٠	المؤمنون / ٨٩،٨٧	سيقولون لله	سيقولون الله بصرى	سيقولون لله
٢١	الفرقان / ٢٥	ونُنَزِّلُ : مكى	ونُزل الملائكة	ونُزل الملائكة
٢٢	الشعراء / ٢١٧	فتوكل : مدنى	و توكل	فتوكل
٢٣	النمل / ٢١	أوليأتيننى :مكى	أوليأتينى	أو ليأتينى
٢٤	القصص / ٣٧	قال موسى : مكى	وقال موسى	وقال موسى
٢٥	يس / ٣٥	وما عملته أيديهم	وما عملت كوفى	وما عملته أيديهم
٢٦	الزمر / ٦٤	تأمرونى	تأمرونى	تأمروننى
٢٧	غافر / ٢١	أشد منهم	أشد منهم	أشد منكم
٢٨	غافر / ٢٦	وأن يظهر	أو أن يظهر: كوفى	وأن يظهر
٢٩	الشورى / ٣٠	بما كسبت : مدنى	فبما كسبت	بما كسبت
٣٠	الزخرف / ٧١	تشتهيه : مدنى	تشتهي	تشتهيه
٣١	الأحقاف / ١٥	حسنا	إحسانا: كوفى	حسنا
٣٢	الرحمن / ٧٨	ذى الجلال	ذى الجلال	ذو الجلال
٣٣	الحديد / ١٠	وكلا وعد الله	وكلا وعد الله	وكلٌ وعد الله
٣٤	الحديد / ٢٥	إن الله الغنى	إن الله هو الغنى	إن الله الغنى
٣٥	الشمس / ١٥	فلا يخاف : مدني	و لا يخاف	فلا يخاف

وإذا تصورنا إلى جانب ذلك، عدَم (الشكل) وهو ضبط الكلمة سواء في بنيتها التصريفية، أو حركتها الإعرابية ـ أدركنا أن مصحف عثمان رضى الله عنه اتسع لوجوه الأداء المختلفة باختلاف اللهجات، وهو ما قصرنا فهم الأحرف السبعة والقراءات عليه، وهو بذلك لم يضيق على الناس ما وسع الله به عليهم من رخصة التيسير في الأداء باختلاف اللهجات، وصار فينا سنة متبعة، يسعنا كما وسع السابقين وذلك مثل:

قوله تعالى ﴿فجعلهم جُذاذًا﴾ قرأ الكسائى (جِذَاذًا) بكسر الجيم، وقرأ باقى السبعة بضمها[1].

قوله تعالى ﴿أوجَذْوة من النار﴾ قرأ عاصم وحفص (جذوة) بفتح الجيم، وقرأ حمزة بضمها وقرأ الباقون بكسرها. ثلاث لغات[2] مثل (ربوة) و(غلظة) مثلثة الراء والغين. وقد نسب أبو حيان الضم لتميم، والفتح لأهل الحجاز، والكسر لأسد[3].

وقد لخص ابن أبى داود في كتاب المصاحف تأكيد عثمان لهذه الحقيقة، فيما أثبته من رده على المعارضين لعمله (أما القرآن فلم أمنعكم إلا لأنى خشيت عليكم الفرقة، ويمكنكم أن تقرءوا بالحرف الذى تيسر لكم)[4].

(١) الحجة لأبى زرعة / ٤٦٨ ـ البحر المحيط ٦/ ٣٢٢ ـ الأنبياء / ٥٨.
(٢) القصص / ٢٩ ـ ابى زرعة / ٥٤٣.
(٣) راجع البحر المحيط لأبى حيان ٤/ ٤٩٩.
(٤) المدخل / د. دراز / ٤٤ عن كتاب المصاحف / ٣٦.

وخلاصة هذه الحقائق الثلاث أن ظهور المصحف الإمام (مصحف عثمان) رضى الله عنه قد عالج مشكلة النص القرآنى وحسم الخلاف حولها إذ صار مرجع الناس في الأخذ بالمستيقن المعلوم من نصوص الوحى المنزل، وكل نص خالف عنه ترفض قرانيته[1]، بل وكل مصحف عداه ليست له شرعية البقاء معه، ومن ثم وجب إحراقه وقاية من كل خلاف وحماية من أى اختلاط[2].

هذا دور المصحف في مشكلة النص القرآنى، فما دوره بعد ذلك في مشكلة القراءات؟ إن تحديد دور المصحف في مشكلة القراءات يقتضينا بادىء ذى بدء أن نحدد مفهوم القراءات.

* * *

---

(١) المرشد / ١٤٢ ـ ١٤٣.

(٢) المدخل د. دراز / ٤٣.

مفهوم القراءات

مفهوم القراءات عند الأقدمين:

درج القدماء من العلمـاء، وتابعهم كثير من المحدثين علـى أن مفهوم (القراءة) يعنى في الاصطلاح: مـذهبا يذهب إليه إمام من أئمـة القراءات مخالفا به غيره في النطق بالقرآن الكريم مع اتفاق الروايات والطرق عنه، سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في نطق هيئاتها(١).

وفرقوا بين (القراءة) و(الرواية) و (الطريق) و (الوجه) على النحو التالى:

١ ـ القراءة : مـا تنسب إلى إمام من أئمـة القراءات اجـتمعـت عليه الروايات والطرق عنه.

٢ ـ الرواية: ما تنسب إلى الآخذ عن هذا الإمام ولو بواسطة.

٣ ـ الطريق : ما ينسب إلى الآخذ عن الرواى ولو سفل.

٤ ـ الوجه: ما ينسب إلى تخيّر القارىء من قراءة يثبت عليها وتؤخذ عنه(٢).

ولكل إمام صاحب قراءة رواة كثيرون رووا عنه، ولكل راو طرق متعددة.

وفي منجد القـارئين لابن الجزرى تعريف آخر نصـه : القراءات علم بكيفات أداء كلمات القرآن الكريم واختلافها بعزو الناقلة.

---

(١) مناهل العرفان ١/٤٠٥.

(٢) إتحاف فضلاء البشر ـ البنا الدمياطى /٨٨، الاتقان ١/٢٠٩.

وهذا التعـريف على إجماله نوعَ الاخـتلاف، والتعـريفُ السابق على تفصـيله المخالفة (إما في نطق الحـروف، أو في نطق هيئاتهـا) ـ لا يمنعان اعتبار ما أشرنا إليه من التنزلات المتـعددة المسجلة في المصحف، وما تركه التسـجيل العـثمـاني من إضافـات الصحـابة في مخطوطاتهم لا يمـنعان اعتبارهما من القراءات وإن وسم أولهمـا بالقراءة المتواترة، ووسم ثانيهما بالقـراءة الشـاذة ـ على مـا سـيـجىء ـ وإدخـال مـثلِ هذا في مـصطلح (القـراءات) من وجهـة نظرنا ـ غيـر دقيق لما أخـذنا به من تغاير الـقرآن والقراءات في حقيقتهما.

ومن ثم كان لزاما علينا ـ في ضوء هذا التغاير بين القرآن والقراءات ـ أن نحـدد منهجنا في فـهم القراءات قـبل المضى في الحديـث عن قضـية القراءات بالتفصيل.

مفهوم القراءات عندنا:

تعنى (القراءات) من وجهـة نظرنا وفي ضوء فهمنا للتـغاير بينها وبين القرآن الكريم: اختـلافَ كيـفية الأداء لألـفاظ الوحى المنزل باخـتلاف لهجات العرب، وكيفية الأداء هذه إما أن تكون خضوعا لقانون اللهجات، وإما أن تكون تمثيلا لطبائع اللسان العربى العام في إخراج الأصوات وإعطائها ما تستحق من الأداء. وإن كان الأخير قد تميز لدى القراء باسم (التجويد).

ويمثل للأول: بقراءة حمـزة والكسائى (لا يحل لكم أن ترثوا النساء (كُرها) بضم الكاف، وقراءة باقى السبعة (كَرها) بفتح الكاف.

وهما كما قال الأخفش من اختلاف اللغات مثل (الضعف) بضم الضاد وفتحها، و(الفقر) بضم الفاء وفتحها[1].

ويمثل للثاني: بقراءة نافع وابن كثير وأبى عمرو (بما أنزل إليك) لا يمدون حرفا لحرف وهو أن تكون المدة من كلمة والهمزة من أخري، وحجتهم في ذلك أنهم أرادوا الفرق بين ما المدة فيه لازمةلا تزول بحال، وبين ما هى فيه عارضة قد تزول في بعض الأحوال نحو (بما أنزل) فإنها تزول عند الوقف ـ على الكلمة الأولى ـ والتى لا تزول نحو : (دعاء) و(نداء) و (سماء) فجعلوا ذلك فرقا بينهما[2].

وقراءة حمزة وعاصم بالمد المفرط وحجتهم في ذلك أن المد إنما وجب عند استقبال الهمزة سواء أكانت الهمزة في نفس الكلمة، أو من الأخرى إذا التقتا، لأنه لا فرق في اللفظ بينهما.

وقراءة ابن عامر والكسائى :بالمد الوسط.

وبهذا المفهوم نكون قد خالفنا القدماء فيما ذهبوا إليه من التوسع في مفهوم القراءات وما أدى إليه من الخلط بين القراءات والقرآن على ما بينهما من تغاير. وبالتالى نستطيع أن نحدد دور المصحف في قضية القراءات على ما ذهبنا إليه.

---

(١) حجة القراءات / لأبى زرعة / ١٩٦.

(٢) المرجع السابق/ ٨٥،٨٦.

دور المصحف في قضية القراءات

اقتضى ظهور المصحف في خط مرسوم الـتقيد برسمه سواء في هيكل الألفاظ أو في كيـفية أدائها بحيث لا يـغير الأداء من هيكلها شيـئا، وكان هذا يعنى عدم قبول القراءات التى تبـدو عند الأداء مخالفة لرسمه بحكم ما يقضي به قانون اللهجات العربية من إيثار بعض الأصوات على بعض ـ مما كان مرخصا فيه ـ كإيثار البدوى للأصوات الواضحة في السمع على ما دونها فإذا قرأ الحضرى:

ـ قوله تعالى ﴿**من بقلها وقثائها وفومها**﴾ بالفاء.

ـ قرأ البدوى (من بقلها وقثائها وثومها) بالثاء.

و الفاء والثـاء ـ وإن كانا صوتين مـهمـوسين ـ إلا أن الثاء أوضح في السمع من الفاء، والفوم والثوم بمـعني واحد، والأولى لغة أهل الحجاز، والثانية لغة بنى تميم[1].

وبهذا ترك الناس قراءات كثيرةً صحيـحةً لا يحتملها الرسم العثمانى إيثارا للعافية ووحدة الكلمة، وتقريبا بين اللهجات[2].

وعلى الرغم من صـحـة هذه القراءات، فـقـد وسمت بالشـذوذ في اصطلاح القـراء وإن كـان لم يعـرف هذا المصـطلح آنذاك ـ إلا أن مـعنى

---

(١) القرطبى ١/ ٣٣١، اللهجات العربية / أنيس /١١٢.

(٢) مقـدمة حجة قراءات أبى زرعـة تحقيق سعيـد الأفغانى / ١٠، الابانة / ١٠، المرشد /١٥٣، ١٥٤.

الشذوذ لغة منطبق عليه. فالشذوذ ضد الاطراد، وإذا كان الاطراد يعنى التتابع والاستمرار، فإن الشذوذ يعنى التفرق والانفراد، وقد جعل أهل علم العربية ما استمر من الكلام في الإعراب وغيره من مواضع الصناعة (مطردا)، وجعلوا ما فارق ما عليه بابه وانفرد عن ذلك إلى غيره (شاذ)[1].

وبهذا، لا يعنى الشذوذ في قضيتنا سوى مخالفة رسم المصحف والتفرد عنه. أما ما بقى من القراءات ـ وإن وافق رسم المصحف ـ فليس صحيحا كله لسبب آخر؛ ذلك إن هناك من وجوه الأداء ما تسامح فيه النبى ﷺ أو أقره للعاجزين عن الأداء الأمثل لنصوص القرآن إقرارا مؤقتا يزول بزوال مقتضياته متى قدروا على الأداء الأمثل بالتعلم والمران، وقد اختلط ذلك بالصحيح الذى أقرأ به الرسول وأجازه من وجوه ليكون سنة متبعة مع ما في هذه الوجوه من اختلاف ولم يميز الناس بينهما فشاع على ألسنتهم هذا وذاك، وتناقلوها روايات مختلطة لا يعلم صحيحها من فاسدها.

ولم يكن في مقدور الرسم أن يقضى على هذا الاضطراب أو يفصل في هذا الخلط، بل كان تجريد الرسم من النقط والشكل مضيفا ـ لمن اعتمد عليه دون الرجوع إلى الثقات ـ وجوها أخرى من التصحيف لا تحل القراءة بها[2].

---

(١) الخصائص لابن جنى ١/٩٦ ـ ٩٧.

(٢) إتحاف فضلاء البشر /٦ ـ مقدمة حجة أبى زرعة /١١.

وقد حفلت كتب الأخبار والمؤلفات المتخصصة في التصحيف بالكثير من تلك الوجوه التى كان الرسم أساس نشوئها. من ذلك ما ذكره حمزة الأصفهانى في كتابه (التنبيه على حدوث التصحيف).

١ ـ قرأ رجل (والعاديات ضبحا) ـ والغاديات صبحا.

٢ ـ قرأ رجل (وفرش مرفوعة ـ وفرش مرقوعة).

٣ ـ قرأ رجل (فعززنا بثالث) ـ فغررنا بثالث.

٤ ـ قرأ رجل (فجعل السقاية في رحل أخيه) ـ السقاية في رجل أخيه[1].

وأصبحت الحاجة ملحة أمام هذا الخلط في الروايات بين القراءة الصحيحة والمصحفة إلى مقياس ضابط فكان البحث في الإسناد.

وتعود بداية ظهور هذا (المقياس) إلى منتصف القرن الثانى الهجرى، حيث كثرت الروايات عن الصحابة والتابعين مما يوافق خط المصحف وقد أرجع مكى بن أبى طالب سبب كثرة هذه الروايات واختلافها إلي أن الصحابة رضوان الله عليهم حين خرجوا إلي الأمصار المفتوحة يعلمون الناس القرآن والدين، فعلم كل واحد منهم أهل مصره على ما تلقى عن الرسول ﷺ، فاختلفت قراءة أهل الأمصار على نحو ما اختلفت فيه قراءة الذين علموهم. فلما كتب عثمان رضى الله عنه المصاحف ووجهها إلى الأمصار حملهم على ما فيها، وأمرهم بترك ما خالفها، فقرأ أهل كل

(١) تاريخ القرآن /٢٠٩ ـ ٢١٣ نقلا عن مصدره.

مـصر مـصحـفهم الذى وجـه إليهم على مـا كانوا يقـرءون قبل وصـول المصحف إليـهم مما يوافق خط المصحف، وتركوا من قـراءتهم التى كانوا عليها مما يخالف خط المصحف، فـاختلفت قراءة أهل الأمصار لذلك بما لا يخالف الخط، وسقط من قراءتهم كلهم ما يخالف الخط.

ثم نقل ذلك الآخر عن الأول في كل مصـر، فاختلف النقل لذلك، حتى وصل النقل الي أئمة القراءات على ذلك، فاخـتلفوا فيما نقلوا على حسب اختـلاف أهل الأمصار ولم يخرج واحـد منهم عن خط المصحف الذى وجه إليهم فلهذه العلة اختلفت رواية القراء فيما نقلوا واختلفت أيضا قراءة من نقلوا عنه لذلك.

واحتاج كل واحـد من هؤلاء القراء أن يأخذ مما قرأ ويترك، فـقد قال نافع رضى الله عنه (١٦٩ هـ): قرأت على سبعين من التابعين فما اجتمع عليه اثنان أخذته وما شذ فيه واحد تركته، حتى اتبعت هذه القراءة [1]. أ هـ.

وهنا أدخل نافع مقـياسا آخـر ـ بجانب مـقياس الرسم ـ هو صـحة الرواية فأخذ بما اجتمع عليه اثنان من أئمته، وترك رواية الآحاد.

واتسع منذ ذلك الحين مفهوم (الشذوذ) فـبعد أن كان يعنى ما شذ عن خط المصحف أصبح يعـنى بجانب ذلك ما كان من رواية الآحاد. واعـتبر

(١) الابانة: تحقيق د. شلبى/١٥،١٦.

هذا أساسا لظهور مقياس (السند)، وإن كان قد اتسع مفهومه فيما بعد مع اتساع حركـة الإقراء، فصار يعنى في بعض مـراحله: ما اجتمـعت العامة عليـه، والعامة عـندهم ما اتفق عليـه أهل المدينة والكوفة، وربما جـعلوا العامة أهل الحرمين (مكة والمدينة)[1] أو ثلاثتها.

وربما كان هـذان المقياسـان كافـيين في تشكيل ضابـط دقيق في تمـيـيز القراءات فإن صـحة السند هى الركن الأقوم في قبول القراءة أو رفـضها، وافـقت المصحف أم خـالفـته، إلا أن إجـماع الأمـة على الالتـزام بخط المصـحف قرآنـا وقراءة جـعل النظر في السند لـلوجوه التى تسـمح بهـا معطيـات رسم المصحف، ولا اعـتبـار للوجوه ـ وان صحـت سندا ـ ما دامت خاجة عن حدود رسمه[2].

غير أن هذه الوجـوه لصحتها في ذاتهـا بقيت تؤدى دورها في دراسة اللغة (نحـوا وصرفا) وتؤرخ لحركة التـطور في أصواتها ولهجـاتها، وقد اهتم بشأنهـا كثـير من علماء اللغـة فأفردوها بمـؤلفات خاصـة نذكر من أشهرها كـتاب (المحتسب في تبين وجوه شواذ القـراءات والايضاح عنها) لأبـى الفتح عـثمـان بن جنى (ت٣٩٢هـ) الذى وقف جهـده فيـه لبيـان وجوهـها. كمـا أدت تلك الوجـوه دورا آخر بالتـعاون مع وجـوه أخرى مقبولة لدى القـراء في تفسير القرآن واستنبـاط الأحكام منه، وهو كثير لا

---

(١) المرجع السابق / ٤٩، ٥٠ .

(٢) المرشد / ١٥٣، ١٥٤.

يخفى على أرباب هذه الصناعة. وبهذين المقـياسين التزم القراء في الصدر الأول ـ وكان أكثـرهم من علماء اللغة ـ فلم يحـتاجوا فوقهـما إلى شيء آخر، وكانوا في أمر اللغة يقفون مع صحة السند في قبول القراءة، إلى أن تفجر الصراع بين القراء والنحاة، وانبـرى النحاة يخطئون القراء فيما رووا من وجوه صحيـحة الإسناد ـ لمخالفتها ما سنـوه من قواعد، ونسى النحاة أن القراء شـركاؤهم في نقل اللغـة ووظيفـتهم الدقة فـي الضبط والأداء، وفيهم أئمة النحو كأبى عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ) الذى قيل فيه: (أعلم الناس بالقرآن والعربية مع الصدق والزهد)[١].

ولعل فيما نعرضـه من صورة ذلك الصراع بين النحاة والقراء يبين لك مدي إنكار النحاة لروايات صحيحة الإسناد.

ـ قرأ أبو عمرو بن العلاء (فتـوبوا إلى بارئْكم) بإسكان الهمزة، فيما رواه اليزيدى عنه كقراءته بسكون ما قـبل الكاف في (ينصرْكم، يشعرْكم، يجمْعكم، يأمرْكم، أسلحتْكم) كراهية توالى الحركات[٢]. وقال القرطبى: اختلف الـنحاة في ذلك فمـنهم من أجازه نثـرا وشعرا، ومنهم مـن منعه كالمبرد فقد اعتبر قراءة أبى عمرو بن العلاء في هذا لحنا[٣].

ورد أبو حيان منع المبرد التسكين في حـركة الإعراب، وزعمه أن قراءة أبى عمـرو لحن، بأنه جاء في اللغـةوأن أبا عمرو لم يـقرأ إلا بما أثر عن

---

(١) طبقات القراء لابن الجزرى ١/ ٢٩٠..

(٢) الحجة لابن خالويه / ٥٤، ٥٥.

(٣) القرطبي ١/ ٤٠٢.

النبى ﷺ واستدل على صحة قراءة أبى عمرو، بما حكاه أبو زيد من قوله تعالى ﴿ورسلْنا لديهم يكتبون﴾ بسكون اللام، وقراءة مسملة بن محارب (وبعولتْهن) بسكون التاء، وذكر أبو عـمرو أن لغة بني تميم تسكين المرفوع من (يعلمْه) ونحوه[1].

ـ قرأ نافع بن أبى نعـيم (وَلَكُمْ فِيها مَعائِش) بالهـمز فقال أبو عـثمان المازني: إنها خطأ، وقـد أُخذت عن نافع ولم يكن يدرى ما العـربية، وله أحـرف يقرؤها لحنا نحـوا من هذا[2]. ولم ينفـرد المازنى بهـذا الرأى بل شاركه كـثير من النحاة، وقد أحسّ الفـراء بأن تخطئه نافع غير مـقبولة، وعلل هذا بأن العـرب فعلت ذلك وخـرجت عن المقاييس فـي كثيـر من المسائل، والأولى قبول هذه الرواية[3] ويتخذ أبو حيان من قول الفراء سندًا له في الدفاع عن هذه القـراءة، فضلا عن مجيء الشـقات بها كابـن عامر وهو عربى صـريح، والأعرج وهو من كبار قـراء التابعين، وزيد بن على وهو من العلم والفصـاحة بالمكان الذى لا يطاول، والأعمش وهو حـجة في الضبط والإتقان، ونافع وهو من الثقة بالمحل الذى لا يجهل، فقبولها أولى من رفضها ولا مبالاة بمخالفة نحاة البصرة في مثل هذا فلسنا متعبدين بأقوالهم[4].

---

(١) البحر المحيط ١/٢٠٦.
(٢) المنصف لابن جني ١/٣٠٧.
(٣) معاني القرآن للفراء ١/ ٨٧ .
(٤) البحر ٤/ ٢٧١.

وكان على القـراء أمام هذا الصـراع، وإزاء هذه المعارضـة من جانب النحاة أن يأخذوا في اعتبارهم عند اختـيار القراءة (موافقة العربية) ويكفى في هذا الشـأن أن تجـرى على سنن لغة مـن لغات العـرب دون التـقيـد بالأفصح منها، فهم لا يعولون على الأفشى من اللغة بعد صحة السند[1].

وقـد تضامـت هذه المقاييس ـ عـلى مكث ـ وهى (موافـقـة الرسم، وصحـة السند، وموافـقة العـربية) وتمكنت على يـد كبار القـراء مع بداية حركـة التأليف في القراءات في مطلع القـرن الثالث الهجـرى ـ فشكلت ضابطا صحيحا في تمييز القراءات، يعول عليه في اختيارها.

والآن. وبعد أن وقفنا عـلى حركة تطور القراءات وكيـفية اختـلافها، وظهور المقـاييس الضابطة لتـمييـزها . يأتى الحديث عن حركـة الإقراء، والتأليف في المخـتار من القراءات، وظهور القـراءات السبع وما فوقـها، والتعريف بأئمتها.

* * *

(١) راجع الإتقان ١/ ٢١١.

حركة الإقراء واختيار القراءات

تبدأ حركة الإقراء منذ نزل الوحى الكريم على رسول الله ﷺ، ولقنه أصحابه رضوان الله عليهم، وقد تجرد جماعة منهم للأخذ عنه، وإقراء غيرهم بإذن النبى ﷺ وهم علي ما جاءت به الروايات [1]: سبعة.

١ - عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية (ت٣٥هـ).
٢ - على بن أبى طالب بن عبد المطلب (ت٤٠ هـ).
٣ - زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد (ت٤٥هـ) على خلاف.
٤ - عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلى (ت٣٢هـ) على خلاف.
٥ - أبو الدرداء عويمر بن زيد (ت٣٢ هـ).
٦ - أبو موسى الأشعرى عبد الله بن قيس اليمانى (ت٤٤هـ) على خلاف.
٧ - أبى بن كعب بن قيس الأنصارى (ت٢٠هـ).

وقرأ الناس بقراءتهم في مختلف الأمصار، فأهل الشام على قراءة أبيّ، وأهل الكوفة على قراءة ابن مسعود، وأهل البصرة على قراءة أبى موسى الأشعرى ثم اتسعت حركة الإقراء فقام بها من المشاهير في (المدينة): -

سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وسالم بن عبد الله بن عمر، وعمر بن عبد العزيز، وسليمان وعطاء ابنا يسار، ومعاذ بن الحارث (المعروف بمعاذ القارىء) وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج، ومحمد بن

(١) اعتمدنا في هذه الروايات على ما جاء في كتاب الاتقان ١/ ٢٠٤ - ٢٠٦ .

مسلم بن شهاب الزهرى،و مسلم بن جندب، وزيد بن أسلم.

(وفى مكة): ـ عبيد بن عـمير الليثى، وعطاء بن أبى رباح، وطاووس ابن كيسان، ومـجاهد بن جبر، وعكرمه بن خالـد بن العاص، وعبد الله بن عبيد الله بن أبى مليكة.

وفي (الكوفة) : ـ علقـمة بن قيس، والأسود بن يزيد، ومـسروق بن الأجدع، وعـمرو بن شرحبـيل، والحارث بن قيس، والربيع بن خـثيم، وعمـرو بن ميمـون، وأبو عبـد الرحمن السلمى، وزر بن حـبيش، وأبو زرعة بن عمرو بن جرير، وسعيـد بن جبير، وابراهيم النخعى، والشعبى (وعامر بن شراحيل).

وفي (البصـرة): عامـر بن عبد الـقيس، وأبو العاليـة الرباحى، وأبو رجاء العطاردى، ونـصر بن عاصم، ويحـيى بن يعمـر، وجابر بن زيد، والحسن البصرى، ومحمد بن سيرين، وقتادة السدوسى.

وفي (الشام): المغيرة بن شهاب المخزومى، وخليفة بن سعد (صاحب أبى الدرداء)، ويحـيى بن الحارث الذمـارى، وعطية بن قـيس الكلابى، وإسماعيل بن عبد الله بن المهاجر.

أئمة الأمصار

وانتهت الإمامة في الأمصار إلى كل من :

أبى جعفر يزيد بن القعقاع، ثم شيبة بن نصاح، ثم نافع بن أبى نعيم (بالمدينة).

وعبد الله بن كثير، وحميد بن قيس الأعرج، ومحمد بن محيصن (بمكة).

ويحيى بن وثاب، وعاصم بن أبى النجود، وسليمان الأعمش، ثم حمزة، ثم الكسائى (بالكوفة).

وعبد الله بن أبى إسحاق، وعيسى بن عمر، وأبى عمرو بن العلاء، وعاصم الجحدرى ثم يعقوب الحضرمى (بالبصرة).

وعبد الله بن عامر، وشريح بن يزيد الحضرى (بالشام).

ثم سايرت حركة الإقراء هذه حركة التسجيل والاختيار للقراءات صونا لوجوه الأداء من الخلط والتحريف فقيض الله تعالى لكتابه العزيز من دون وجوه قراءته وضبط طرق رواياته فكان أول سابق إلي جمع القراءات في كتاب أبو عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ) فجمع كتابا في قراءات الأمصار الخمسة، اختار فيه من كل مصر واحداوقيل ثلاثة ـ وهو الأشهر ـ ثم القاضى اسماعيل بن اسحاق المالكى صاحب قالون (ت٢٨٢هـ) فألف كتابا جمع فيه قراءة عشرين إماما ثم الإمام أبو جعفر

محـمد بن جرير الطبرى (ت٣١٠هـ) فألف كتابه (الجامع) جمع فـيه نيفا وعشرين قـراءة، ثم أبو بكر محمد الداجونى (ت٣٢٥هـ) فألف كتابا في الأحد عشـر وأدخل معهم أبا جعفـر. . وفي أثره ألف الإمام أبو بكر بن مجاهد كتابه (القراءات للسبعة) المشهورين[1].

* * *

(١) لطائف الاشارات : للقسطلانى ١/٩٣ ـ ٩٩ .

ظهور القراءات السبع

لقد كانت اختيارات المؤلفين السابقين خاضعة لاعتبارات مختلفه، لكنها في حدود المقاييس التى بدأت تحكم القراءات - حتى إذا انتهت رئاسة علم القراءات إلى ابن مجاهد (أحمد بن موسى بن العباس أبو بكر بن مجاهد ت٣٢٤هـ) في تلك الفترة شرع في اختيار قراءات نظر فيها إلى كل إمام اشتهرت قراءته، وفاق قراء عصره ضبطا وإتقانا، وطالت ممارسته للقراءة والإقراء، وشهد له أهل مصره بالأمانة في النقل وحسن الدين وكمال العلم، واتباع خط المصحف المنسوب إلي مصره، فأفرد من كل مصر إماما هذه صفته قراءته على مصحف مصره فكان : أبو عمرو من أهل البصرة، وحمزة وعاصم من أهل الكوفة وسوادها، والكسائى من أهل العراق، وابن كثير من أهل مكة، وابن عامر من أهل الشام ونافع من أهل المدينة، وكلهم ممن اشتهرت أمانته وطال عمره في الإقراء وارتحل الناس إليه من البلدان[1].

وقد علل مكى بن أبى طالب (ت٤٣٧هـ) سر اختيارهم سبعة فقال :

---

(١) الإبانة / ٤٧، ٤٨.

ليكونوا على وفق مصاحف الأمصار السبعة[1]، وتيمنا بأحرف القرآن السبعة، ثم قال : على أنه لو جعل عددهم أكثر أو أقل لم يمنع ذلك إذ عدد القراء الموثوق بهم أكثر من أن يحصى[2]. لكن كان ابن مجاهد بوقوفه عنده (السبعة) موضع نقد، فقد لامه أبو العباس بن عمار وقسا عليه في نقده فقال: لقد فعل مسبع هذه السبعة مالا ينبغى له إذ أشكل الأمر على العامة بإبهامه كل من قل نظره أن هذه القراءات هى المذكورة في (حديث الأحرف السبعة) وليته إذ اقتصر نقص عن السبعة أو زاد ليزيل الشبهة[3].

ولم يكن ابن مجاهد قد أشكل وأوهم فحسب، بل جر على نفسه تهمة القول بأن هذه السبعة هى المعنية بالأحرف السبعة.

ولم يعدم ابن مجاهد من يدفع عنه هذا الاتهام، فقد روى أبو شامة عن أبى طاهر عبد الواحد بن أبى هاشم دفاعا قال فيه : رام هذا الغافل مطعنا في شيخنا أبى بكر بن مجاهد فلم يجده، فحمله ذلك على أن قوله قولا لم يقله ليجد مساغا إلى ثلبه. لكنه لم يحظ من أكذوبته بطائل، فقد كان أبو بكر رحمه الله أيقظ من أن يتقلد مذهبا لم يقل به أحد[4].

---

(١) بزيادة مصحف لأهل اليمن، ومصحف لأهل البحرين إلى الخمسة المشهورة، ولم يجد ابن مجاهد إمامين في هذين المصرين فاستعاض عنهما بأمامين من أهل الكوفة لكثرة القراء بها قاله ابو شامه في المرشد / ١٦٢.

(٢) الإبانة / ٥١.

(٣) الاتقان ١/ ٢٢٣.

(٤) المرشد ١٤٦ ـ ١٤٧.

وقد أدى ظهور هذه القراءات السبع وما حظيت به من الشهرة ونباهة الشأن والإطباق على صحتها - إلى الاعتقاد بأن القراءة الصحيحة هى قراءات السبعة فحسب، وما عداها فهو (الشاذ) وكان هذا المفهوم للشذوذ إجحافا بكثير من القراءات نصب ابن جني (ت٣٩٢هـ) نفسه للدفاع عنه فقال في مقدمة كتابه (المحتسب) : والقراءة - في زمانه - على ضربين ، ضرب أجمع عليه أكثر قراء الأمصار وهو ما أودعه ابن مجاهد كتابه الموسوم (بقراءات السبعة)، وضرب تعدى ذلك فسماه أهل زماننا (شاذا) أى خارجا عن قراءة السبعة المقدم ذكرها، إلا إنه مع خروجه عنها نازع بالثقة إلى قرائه، محفوف بالروايات من أمامه وورائه، ولعله أو كثيرا منه مساو في الفصاحة للمجتمع عليه، وليس ذلك القول تسويغا للعدول عما أقرته الثقات، ولكن غرضنا أن نرى وجه قوة ما يسمى الآن شاذا، أنه ضارب في صحة الرواية بجرانه، آخذ من سمت العربية مهلة ميدانه، لئلا يرى مرى أن العدول عنه غض منه أو تهمة له[1].

وكان هذا الوهم (بصحة السبع وشذوذ ما عداها) هو ماحدا بكثير من علماء القراءات أن يذكروا بالضابط المعوّل عليه في الصحة والشذوذ، فقال مكي:

وإنما الأصل الذى يُعتمد عليه في هذا: أن ما صح سنده، واستقام في العربية وجهه، ووافق خط المصحف لفظه فهو (الصحيح). فهذا هو

---

(١) مقدمة المحتسب لابن جنى ١/ ٣٢ طبعة المجلس الأعلى للشئون الاسلامية.

الأصل الذى بُنى عليه قبول القراءات عن سبعة أو سبعة آلاف، فاعرفه وابن عليه[1].

وقال أبو شامة رحمه الله : فلا ينبغى أن يغتر بكل قراءة تعزى إلى واحد من هؤلاء الأئمة السبعة ويطلق عليها لفظ الصحة، .. إلا إذا دخلت في ذلك الضابط، وحينئذ لا ينفرد بنقلها مصنف عن غيره، ولا يختص ذلك بنقلها عنهم، بل إن نقلت عن غيرهم من القراء فذلك لا يخرجها عن الصحة، فإن الاعتماد على استجماع تلك الأوصاف، لا عمن تنسب إليه[2].

وظل هذا الضابط مرعيا في التمييز بين الصحيح والشاذ على امتداد تاريخ القراءات، حتى إن ابن الجزري (ت٨٣٣هـ) يحتكم إليه ويرد وَهْمَ الناس حول صحة القراءات السبع فحسب، فيقول بعد أن ذكر (الضابط) : كل ما يوافقه فهو من القراءات الصحيحة التي لا يجوز ردها سواء أكانت عن السبعة أم عن غيرهم، ومتي اختل ركن فيها فهى ضعيفة، أو شاذة أو باطلة سواء أكانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم، وهذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف، وهو مذهب السلف الذى لا يُعرف عن أحد منهم خلافه[3].

---

(١) الإبانة / ٥١.

(٢) المرشد الوجيز / ١٧٤.

(٣) الاتقان ١/ ٢١٠.

وعلى الرغم مما قيل عن القراءات السبع فإن ابن مجاهد يمتدح ما تميزت به عن سواها فيقول فى مقدمة مؤلفه (كتاب السبعة) : أما القراءة التى عليها الناس بالمدينة، ومكة والكوفة، والبصرة، والشام فهى القراءة التى تلقوها عن أوليهم تلقيا، وقام بها في كل مصر من هذه الأمصار رجل ممن أخذ عن التابعين، اجتمعت الخاصة والعامة على قراءته وسلكوا فيها طريقه، وتمسكوا بمذهبه على ما روى من أن القراءة سنة يأخذها الآخر عن الأول[1].

* * *

(١) نقله أبو شامة عنه في المرشد / ١٧٠.

أضواء على الأئمة السبعة[1].

ولعل من المفيـد هنا أن نلقى الضوء على أئمة هذه القـراءات، ونركز بوجه خـاص على تلقيهم، والتلقى عنهم لـنرى مقدار ما امـتازوا به عن غيرهم، ومدى صدق ابن مجاهد في تفضيلهم على سواهم:

١. نافع إمام أهل المدينة

هو نافع بن عبد الرحمن بن أبى نعيم، أبو رويم الليثى بالولاء (٧٠ - ١٦٩هـ). أحد الأئمة الأعلام، ثقة، صالح، عـالم بوجوه القراءات متبع لآثار السالفين، زاهد جواد. أصبهانى الأصل.

- قرأ على سبعين من التابعين منهم أبو جعفر القارىء، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج، ومسلم بن جندب وعبـد الرحمن بن القاسم بن محمد ابن أبى بكر الصديق، وابن شهاب الزهرى.
- وقرأ الأعرج على عبد الله بن عباس، وأبى هريرة.
- وقرأ ابن عباس وأبو هريرة على أبى بن كعب.
- وقرأ أبى بن كعب على رسول الله ﷺ.

انتهت إليه رياسة الإقراء بالمدينة وأجمـع الناس عليه بعد التابعين أكثر من سبعين سنة.

- روي القراءة عنه عرضا وسماعا جماعة منهم: الإمام مالك بن أنس

---

(١) اعتمدنا في التـعريف بهؤلاء الأئمة على مقدمة محقـق (حجة القراءات) لأبى زرعة نقلا عن مصدريه النشر، وغاية النهاية في طبقـات القراء لابن الجزرى، كما اعتمدنا على كتاب (تاريخ القرآن) لأبى عبد الله الزنجانى نقـلا عن مصدره (كتاب المكرر فيما تواتر من القراءات السبع وتحرر) لسراج الدين عمر بن زين الشهير بالنشار.

(صاحب المذهب) وقالون من أهل المدينة.
- والأصمعى، وأبو عمرو بن العلاء من أهل البصرة.
- وورش، والليث بن سعد من أهل مصر.
- وكردم المغربى، والغازى بن قيس الأندلسى. وغيرهم من مختلف الأمصار.

راوياه: قالون، وورش.

* قالوان: أبو موسى، عيسى بن مينا الزرقى مولى بني زهرة (١٢٠ - ٢٢٠هـ) قارىء المدينة، ونحويها، قيل ربيب نافع، وقد اختص به كثيرا، لقب (بقالون) ومعناها بالرومية (جيد) - لجودة قراءته.

قرأ على نافع مرات عددا على مدى خمسين سنة، وقد قرأ الناس عليه في حياة نافع.

* ورش: عثمان بن سعيد المصرى مولى قريش (١٠٠ - ١٩٧) شيخ القراء بمصر رحل إلى نافع فعرض عليه القرآن عدة ختمات في سنة ١٥٥هـ وله اختيارات خالف فيها (نافعا) وكان ثقة حجة جيد القراءة حسن الصوت، أشقر اللون يلبس ثيابا قصارا فشبهه نافع (بالورشان) الطائر المعروف، ثم خفف فقيل (ورش).

٢- ابن كثير إمام أهل مكة:

هو عبد الله أبو معبد بن كثير بن عمر بن زادان، الفارسى الأصل (٤٥ - ١٢٠هـ) فصيح بليغ، مهيب عليه السكينة والوقار - لقى من الصحابة ابن الزبير، وأبا أيوب، وأنس بن مالك.
- قرأ على درباس مولى ابن عباس، ومجاهد بن جبر، وعبد الله بن

السائب المخزومى.

- وقرأ عبد الله بن السائب على أبى بن كعب، وعمر بن الخطاب.

- وقرأ أبى بن كعب وعمر بن الخطاب على رسول الله ﷺ.

وروي القراءة عنه جماعة منهم حماد بن زيد، وحماد بن سلمة، والخليل بن أحمد، وعيسى بن عمر الثقفى، وأبو عمرو بن العلاء، وسفيان بن عيينة وغيرهم.

راوياه: البزى، وقنبل

* البزىّ : هو أحمد بن عبد الله بن القاسم أبو الحسن البَزِىّ (١٧٠ - ٢٥٠ هـ) مقرىء مكة ومؤذن المسجد الحرام فارسى الأصل محقق ضابط متقن.

- قرأ على عكرمة بن سليمان ووهب بن واضح.

- وقرأ عكرمة على شبل بن عباد، واسماعيل بن عبد الله.

- وقرأ شبل على ابن كثير.

- وروى عنه القراءة قنبل المخزومي.

* قنبل : هو محمد بن عبد الرحمن بن محمد المخزومى أبو عمر المكى الملقب (بقنبل) لشدته (١٩٥- ٢٩١هـ) شيخ القراء بالحجاز، وإليه رحل الناس من مختلف الأقطار، ولى شرطة مكة، لفضله وصلاحه، وصوابه فيما يأتيه من الحدود والأحكام.

- أخذ القراءة عرضا عن أحمد بن محمد النبال، وخلفه بالقيام بها بمكة.

- قرأ على أبى الحسن أحمد القواس، وقرأ القواس على أبى الأخريط، وقرأ أبو الأخريط على القسط، وأخبره أنه قرأ على شبل، وقرأ شبل على ابن كثير.

ـ وروى القراءة عن البزى.

ـ وروي القراءة عنه جماعة كثيرة منـهم أبو ربيعة محمد بن اسحاق، وابن مجاهد (صاحب السبعة) وابن شنبوذ وغيرهم.

٣ـ أبو عمرو بن العلاء إمام أهل البصرة

هو زبان بن العلاء بـن عمـار المازنى البصـرى (٦٨ ـ ١٥٤هـ) إمـام العربية والإقراء مع الصدق والزهد والثقـة حتى قال فيه يونس بن حبيب: والله لو رآه رسـول الله ﷺ لسره مـا هو عليه. وليس في السـبعـة أكثـر شيوخا منه، توجه مع أبيه لما هرب من الحـجاج فقرأ بمكة، والمدينة، كما قرأ بالبصرة والكوفة، سمع أنس بن مالك وغيره.

ـ قرأ على الحسن البصرى، وأبى العالية، وسـعيد بن جبير، وعاصم ابن أبى النجـود وعبـد الله بن اسحـاق الحضرمى، وابـن كثيـر المكى، وعكرمة مـولى بن عباس، وابن مـحيصن، ونصـر بن عاصم، ويزيد بن القعقاع المدنى، ويحيى بن يعمر.

ـ وقرأ الحسن البصرى على حطان وأبى العالية.

ـ وقرأ أبو العالية على عمر بن الخطاب، وأبى بن كعب وكلاهما عن النبى ﷺ.

وروى القراءة عنه جـماعـة كثيـرة من أشهرهـم: أبو زيد الأنصارى، والأصمعى، وعيسى بن عمر، ويحيى اليزيدى، وسبيوبه.

راوياه: الدورى، والسوسى

* الدورى : أبو عمر حفص بن عمر بن عبد العزيز الأزدى البغدادى النحـوي الضرير، ونسـبته (إلى الـدور) موضع ببغـداد بالجانب الـشرقى (ت٢٤٦هـ) إمـام القـراءة في زمـانـه، أول من جـمع القـراءات، وقـرأ

بالسبعة، وبالشواذ.

ـ قرأ على الكسائى، وأخذ قراءة نافع عن اسماعيل بن جعفر، وقراءة يزيد بن القعـقاع عن ابن جمـاز، وقرا ة حمزة عـن محمد بن سـعدان، وقراءة أبى عمرو عن يحيى اليزيدى.

ـ وأخذ عنه القراءة جمع كبير، منهم أحمد بن حنبل فكان يكتب عن أبى عمر الدوري.

* السـوسى: هو صالح بن زياد أبو شـعيب السـوسى الرقى، نسب إلى (سـوس) مـوضع بالأهواز (ت٢٦١هـ). مقرىء ضابط، مـحرر ثقة، أخذ قراءة أبى عمرو عرضا وسماعا عن أبى محمد اليزيدى، وعن حفص قراءة عاصم.

ـ وأخذ عنه القراءة جماعة، مات وقد قارب السبعين، وقيل التسعين.

٤ـ ابن عامر إمام أهل الشام

هو عبد الله أبو عمـران بن عامر اليحصبى نسبـة إلى (يحصب) فخذ من حمير ويكنى أبا نعيم إمام أهل الشام وإليه انتهت إمامة الإقراء فيها (٨ ـ ١١٨هـ) تابعى لقى وائلة بن الأسقع، والنعمان بن بشير.

ـ أخذ القـراءة عرضا عن الصـحابى الجليل أبى الدرداء مـقرىء أهل الشام وقرأ على المغيرة بن أبى شهاب المخزومى.

ـ وقرأ ابن شهاب المخزومى على عثـمان بن عفان رضى الله عنه وقرأ عثمان على رسول الله.

ـ وقيل قرأ ابن عامر على عثمان مباشرة.

ـ أخذ القـراءة عنه خلق كثيـر من أهل الشام والجزيرة، تولى قـضاء دمشق، وإمامة الجامع وائتم به عمر بن عبد العزيز وهو أمير المؤمنين.

ـ وقد روى القراءة عنه جماعـة منهم يحيى بن الحارث الذمارى وهو الذى خلفه في القيام بالقراءة، وأخوه عـبد الرحمن بن عامر، وخلاد بن يزيد وغيرهم.

رواياه : هشام ، وابن ذكوان

* هشام : هو أبو عمار بن نصير السلمى، ويكنى أبا الوليد (١٥٣ ـ ٢٤٥ هـ) إمام أهل الشام وخطيبهم ومحدثهم، ومقرئهم، ومفتيهم.

ـ أخذ قراءة ابن عامر عرضا عن عراك بن خالد المزى، عن يحيى بن الحارث الذمارى عن ابن عامر.

ـ وقرأ على أيوب بن تميم، وسويد بن عبد العزيز وغيرهـم.

ـ وروى القراءة عنه أبو عبيد القـاسم بن سلام قبل وفاته بنحو أربعين سنة وأحمد بن يزيد الحلوانى.

* ابن ذكوان: هو عـبد الله بن أحـمد بن بشـير بن ذكـوان القرشى الـدمشقى ويكنى أبا عمر (١٧٣ ـ ٢٤٢هـ) شيخ الإقراء بالشام بعد أيوب ابن تميم وإمام جامع دمشق.

ـ أخذ قراءة ابن عامر عن أيوب بن تميم، عن يحيى بن الحارث الذمارى.

ـ وقرأ على الكسائى لما قدم الشام.

ـ وروى عنه خلق كثـير ومن تلاميـذه أبو زرعة الدمشقى، وقـد قال عنه : لم يكن بالعراق ولا بالحجاز ولا بالشـام ولا بمصر، ولا بخراسان في زمان ابن ذكوان أقرأ منه.

٥ـ عا صم بن أبى النجود إمام أهل الكوفة:

هو أبوبكر عاصم بن أبى النجود بن بهدلة الحناط مولى بنى أسد (ت

١٢٧هـ) شيخ الإقراء بالكوفة جمع بين الفصاحة والإتقان والتحرير والتجويد، أحسن الناس صوتا بالقرآن، صالح ثقة.

ـ أخذ القراءة عن أبى عبد الرحمن السلمى، وزربن حبيش ، وأبى عمرو الشبيانى.

ـ وقرأ أبو عبد الرحمن السلمى على الإمام على بن أبى طالب عن رسول الله ﷺ.

ـ قرأ زربن حبيش على ابن مسعود عن رسول الله ﷺ

ـ روى القراءة عنه أبان بن تغلب، وحفص بن سليمان، وحماد بن زيد وأبو بكر بن عياش (المشهور: بشعبة).

ـ روى عنه حروفا من القرآن أبو عمرو بن العلاء، والخليل بن أحمد، وحمزة الزيات.

راوياه : شعبة، وحفص.

* شعبة : هو أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدى النهشلى ـ الكوفى وفى اسمه خلاف : شعبة، محمد، مطرق (٩٥ ـ ١٩٣هـ). الإمام العلم.

ـ وقرأ على عاصم وعرض عليه القرآن ثلاث مرات، وقرأ على عطاء ابن السائب، وأسلم المنقرى.

ـ أخذ عنه جماعة، وأخذ الحروف عنه آخرون منهم الكسائى وخلاد الصيرفى.

* حفص : هو أبو عمر حفص بن سليمان بن المغيرة البزاز (٩٠ ـ ١٨٠هـ) ربيب عاصم تلقى القرآن عنه خمسا خمسا كما يتعلمه الصبى من المعلم، فكان أعلم أصحاب عاصم بقراءته، يقرأ بروايته أهل المشرق اليوم، وقد أقرأ ببغداد، ومكة، والكوفة.

٦. حمزة إمام أهل الكوفة :

هو ـ أبو عمارة حمزة بن حبيب الزيات الكوفى التيمى بالولاء مولى عكرمة بن ربيع التيمى (٨٠ ـ ١٥٦هـ). حَبْر القرآن، إمام الناس بعد عاصم والأعمش قيم بالعربية والفرائض.

ـ أخذ القراءة عرضا عن سليمان الأعمش، وحمران بن أعين، وأبي اسحاق السبيعى، وجعفر بن محمد الصادق.

ـ وقرأ الأعمش على ابن وثاب.

ـ وقرأ ابن وثاب على أبى شبل علقمة بن قيس.

ـ وقرأ علقمة بن قبس على عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ.

ـ كما قرأ ابن وثاب على زربن حبيش على عثمان، وعلى بن أبى طالب، وابن مسعود.

ـ روى عنه القراءة كثيرون منهم: إبراهيم بن أدهم، والحسين الجعفى، وسليم بن عيسى، أضبط أصحابه، والكسائى أجل أصحابه، ويحيى بن زياد الفراء، ويحيى ابن المبارك اليزيدى وغيرهم.

راوياه : خلف : خلاد:

* خلف : هو أبو محمد خلف بن هشام بن طالب البزار البغدادى (١٥٠ ـ ٢٢٩هـ) الإمام العلم أحد القراء العشرة وأحد الرواة عن سليم عن حمزة. . ثقة كبير زاهد عالم عابد.

ـ أخذ القرآن عرضا عن سليم بن عيسى، وعبد الرحمن بن أبى حماد عن حمزة، وأبى زيد الأنصارى، عن المفضل الضبى.

ـ سمع من الكسائى ولم يقرأ عليه القرآن.

ـ روى القراءة عنه عرضا وسماعا وراقة أحمد بن إبراهيم، وأحمد بن

يزيد الحلوانى..

* خلاد : هو أبو عيسى خلاد بن خالد الأحول الصيرفى الشيبانى بالولاء (ت٢٢٠هـ). إمام في القراءة ثقة عارف محقق.

ـ أخذ القراءة عن سليم وهو من أضبط أصحابه، عن حمزة.

ورواها عن حسين بن على الجعفى عن أبى بكر، وعن أبى بكر نفسه عن عاصم.

ـ روى القراءة عنه عرضا أحمد بن يزيد الحلوانى، والقاسم الوزان وآخرون.

٧ـ الكسائى إمام أهل الكوفة:

هو أبو الحسن على بن حمزة الكسائى، فارسى الأصل، أسدى الولاء (١١٩ ـ ١٨٩هـ). انتهت إليه رياسة الإقراء بالكوفة بعد حمزة الزيات أعلم الناس بالنحو، وأوحدهم بالغريب، وأوحدهم بالقرآن، قال عنه ابن معين: ما رأيت بعينى هاتين أصدق لهجة من الكسائى. وقيل سمى (الكسائى) لأنه أحرم في كساء.

ـ أخذ القراءة عرضا عن حمزة الزيات أربع مرات، وعن محمد بن أبى ليلى، وعيسى بن عمر الهمدانى، وقرأ عيسى على عاصم.

ـ وروي الحروف عن أبى بكر بن عياش، وعن إسماعيل ويعقوب ابني جعفر قراءة نافع، وعن المفضل الضبى، ورحل إلى البصرة فأخذ

اللغة عن الخليل بن أحمد.

ـ أخذ القراءة عنه عرضا وسماعا جمع منهم إبراهيم بن زادان، وحفص الدورى، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وخلف بن هشام، والفراء.

راوياه: أبو الحارث ـ والدورى

* أبو الحارث : هو أبو الحارث الليث بن خالد المروزى البغدادى (ت٢٤٠هـ) من أجلاء أصحاب الكسائى، ثقة قيم في القراءة، ضابط لها.

ـ عرض القراءة على الكسائى وروى الحروف عن حمزة بن القاسم الأحول، وعن اليزيدى.

ـ روى القراءة عنه عرضا وسماعا سلمة بن عاصم صاحب الفراء وغيره.

* الدورى : وهو راوى أبى عمرو ـ وقدمنا من سيرته ما يغنى عن إعادته.

القراء العشرة والأربعة عشر:

ودون هؤلاء الأئمة السبعة، سبعة آخرون هم:

٨ ـ أبو جعفر يزيد بن القعقاع (ت ١٣٠هـ) إمام أهل المدينة في القراءة فسمى (القارىء) وراوياه : عيسى بن وردان (ت١٦٠هـ) وابن جماز سليمان بن مسلم (ت١٧٠هـ).

٩ ـ أبو محمد يعقوب ابن اسحاق بن زيد بن عبد الله بن أبى اسحاق (١١٧ ـ ٢٠٥هـ). إمام أهل البصرة ومقرئها انتهت إليه رياستها بعد أبى عمرو.

وراوياه (رويس) محمد بن المتوكل أبو عبد الله اللؤلؤى (ت ٢٣٨هـ) و(روح) ابن عبد المؤمن (ت٢٣٤هـ).

١٠ ـ خلف بن هشام البزار (راوية حمزة) وراوياه: اسحاق الوراق (٢٨٦هـ) وإدريس الحداد (١٨٩ ـ ٢٩٢هـ). وبهم يتم القراء العشرة.

١١ ـ أبو عبد الله محمد بن محيصن المكى مقرىء أهل مكة مع ابن كثير (ت ١٢٣هـ) وراوياه: (البزى) وابن شنبوذ محمد بن أحمد بن أيوب البغدادى (ت٣٢٨هـ).

١٢ ـ أبو محمد يحيى بن المبارك اليزيدى البصرى (١٢٨ ـ ٢٠٢هـ) وراوياه: سليمان أبو أيوب بن الحكم الخياط البغدادى (ت٢٣٥هـ)، وأحمد بن فرج أبو جعفر الضرير (ت٣٠٣هـ).

١٣ ـ الإمام أبو سعيد الحسن بن يسار بن أبى الحسن البصرى (٢١ ـ ١١٠هـ).

وراوياه: شجاع بن أبى نصر البلخى أبو نعيم البغدادى (١٢٠ ـ ١٩٠هـ)، و (الدوري) أحد راويى أبى عمرو بن العلاء.

١٤ ـ ابو محمد سليمان بن مِهران الأعمش الكوفى (٦٠ ـ ١٤٨هـ).
وراوياه : الحسن بن سعيد المطوعى (ت٣٧١هـ).
وأبو الفرج محمد بن أحمد بن إبراهيم الشنبوذى (٣٠٠ ـ ٣٨٨هـ). وبهم يتم القراء الأربعة عشر.

هذا ما تيسر لنا من سيرة هؤلاء الأئمة، وقد استبان لنا من خلال هذا العرض اتصال أسانيدهم بالنبى ﷺ، واتصال الرواية بهم.

وفي كتاب (التيسير) [1] لأبى عمرو الدانى مزيد من توثيق أسانيدهم، وصحة الرواية عنهم وثبوت تلقيهم بالمشافهة والسماع عمن فوقهم حتى يتصل الإسناد بالصحابى الذى أخذ عن الرسول ﷺ.

وكان هذا التسلسل في الأسانيد مسوغا للعلماء أن يصفوا القراءات بأنها (توقيفية) وليست اختيارية ـ وأنكروا علي الزمخشرى ومن ذهب مذهبه في أن القراءات اختيارية تدور مع اختيار الفصحاء واجتهاد البلغاء. ومن ثم أباحوا لأنفسهم ردّ بعض قراءات هؤلاء السبعة كقراءة حمزة (واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحامِ)[2]. بخفض الأرحام، وقراءته (وما أنتم بمصرخيِّ[3]) بكسر الياء المشددة، ، وقراءة أبى عمرو (يغفلّكم) في(يغفرْ لكم)[4] بإدغام الراء في اللام، وعدها الزجاج خطأ فاحشا لأن

---

(١)التيسير / ٨ وما بعدها.
(٢) النساء / ١ .
(٣) ابراهيم / ٢٢ .
(٤) نوح / ٤ .

الراء حرف مكرر، ولا يدعم الزائد فى الناقص للإخـلال به، أما العكس فيجوز وقال : وهذا إجماع النحاة[1].

وعد القراء هذا تحامـلا عليهم، وقد انعقد الإجمـاع على صحة قراءة هؤلاء السبعة وأنها (توقيفية) ولا مجال لردها أو الاجتهاد فيها[2].

ولكن أى (توقيف) يعنيـه القراء أهو توقيف تواتر، أم توقـيف آحاد؟ لقد اتفـقوا على (التوقـيف) ولكنهم اختلفوا فـي كيفيـته. واتسعت شـقة الخلاف من هنا في قـضية (تواتر الـقراءات) والقراءات السـبع على وجه الخصوص.

* * *

(١) راجع البرهان ١/ ٣٢.
(٢) المرجع السابق.

الآراء حول تواتر القراءات

ربما كان مفيـدا قبل عرض الآراء في هذه القضية ـ أن نـعرض لمفهوم التواتر، والآحاد حتى نستبين مضمون الخلاف ومغزاه.

التواتر : هو نقل جـمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب، عن مثلهم إلى منتهاه.

الآحاد: هو نقل العدل الضابط عن مثله إلى منتهاه من غير شذوذ ولا علة قادحة[1].

وعلى هذا المفهوم جاءت الآراء في القراءات السبع على نحو الآتى:

١ ـ قال القاضى جلال الدين البلقيـني : القراءات السبع متواترة وهو مذهب الجمهور [2].

٢ ـ وقال الإمام بدر الدين الزركشى: التحقيق أنهـا متواترة عن الأئمة السبعة، أما تواترها عن النبى ﷺ ففيه نظر، فإن إسناد الأئمة السبعة بهذه القـراءات السـبع مـوجـود في كـتب القـراءات، وهى نقل الواحـد عن الواحد، لم تكمل شـروط التواتر في استـواء الطرفين والواسطة، وهذا شيء موجود في كتبهم[3].

---

(١) راجع الاتقان ١/ ٢١٥، ومناهل العرفان ١/ ٤١٥.

(٢) الاتقان ١/ ٢١٠.

(٣) البرهان ١/ ٣١٩.

٣ ـ وقال الإمام شـهاب الدين المعروف بأبى شامـة : لقد شاع على ألسنة جـماعـة من المقرئين المتـأخرين وغـيرهم من المقلدين أن الـقراءات السبع كلهـا متواترة. أى كل فـرد فرد مما روى عن هؤلاء السبـعة. . ثم قال: ونحن نقول بهذا فيما اجتمعت علي نقله عنهم الطرق، واتفقت عليه الفرق من غير نكير له. . فإن المروى عنهم منقسم إلى ما أُجمع عليه عنهم لم تختلف فيه الطرق، وإلى ما اختلفت فـيه، بمعنى أنه نفيت نسبته إليهم في بعض الطرق[1].

٤ ـ وقال ابن الحاجب (عـثمان بن عمر بن أبي بـكر) شيخ المالكية: القراءات السـبع متـواترة باستثـناء ما كان من قـبيل الأداء كـالمد والإمالة وتحقيق الهمزة.

وقال غـيره: أصل المد والإمـالة متواتر، ولـكن التقدير غـير مـتواتر للاختلاف في كيفيته، وأما أنواع تحقيق الهمزة فكلها متواترة[2].

وخلاصة الاختلاف كما صورته الأقوال السالفة هي:

أ ـ أن التواتر منتف ـ عند الزركشى ـ لأن ما ذكر من أسانيد الأئمة في كتبهم نقل واحد عن واحد.

ب ـ التواتر منتف ـ عند أبى شامة ـ فيمـا اختلف فيه السبعة أو الرواة عن الأمام.

ج ـ التواتر منتف ـ عند ابن الحـاجب ـ فيما كان مـن قبيل الأداء في

---

(١) المرشد الوجيز / ١٧٦، ١٧٧.

(٢) راجع البرهان ١/ ٣١٩.

القراءات.

أما رأى ابن الحاجب فقد فسره كثير من العلماء بالحمل على أن مراده ما كان من قبيل التقدير، أمـا الأصل فمجمع على تواتره، وإلا فقد أخطأ إن أراد غير ذلك[1].

أما رأى الرزكشى وأبى شامة فـقد تكفل بهما ابن السبكى في رد ذى مقنع، حسم به الخلاف حول تواتر القراءات السبع.

قال ابن السبكى في كـتابه (جمع الجوامع): القراءات السـبع متواترة تواترا تاما أي نقلها عن النبى ﷺ جمع يمتنع عادة تواطؤهم على الكذب لمثلهم وهلم جرا. ولا يضركون أسانيد القراء آحادا، اذ تخصيصها بجماعة لا يمنع مجىء القراءات عن غيـرهم، بل هو الواقع، فقد تلقاها من أهل كل بلدة بقراءة إمامـهم الجمع الغفير عن مـثلهم وهلم جرا. وإنما أسندت إلى الأئمة المذكورين ورواتهم المذكورين في أسـانيدهم، لتصديهم لضبط حروفها وحفظ شيوخهم الكمل فيها[2].

ـ وإن قيل بأنها لو تواترت جـميعا ما اخـتلف القراء في شىء منها، لكنهم اختلفوا في أشياء منها، فإذا لا يسلم أن تكون كلها متواترة.

فيجاب عن هذا بأن الخلاف لا ينفى التواتر، بل الكل متواتر وهم فيه مختلفون، فإن كل (قراءة) بلغـها الرسولﷺ إلى جماعة يؤمن تواطؤهم

(١) راجع البرهان ١/٣١٩ وما بعدها، ومنجد القارئين لابن الجزرى / ٥٧ وما بعدها.
(٢) نقله الزرقانى في مناهل العرفان ١/٤٢٩، ٤٣٠ ووضحه.

على الكذب، وهم بلغـوها إلى أمثالهم وهـكذا. ولا شك أن (القراءات) يخالف بعضها بعضـا، فلا جرم تواتر كل (قراءة) عند من أخذ بها، وإن كان الآخرة لم يعـرفها ولم يأخذ بهـا، وهنا يجتمع التخـالف والتواتر، وهنا يستقيم القول بتواتر القراءات السبع[1].

ولعل ما يعزز ـ عندنا ـ قـول ابن السبكى ما حكاه محـمد بن صالح ووضحه ابن الجـزرى قال: سمعت رجـلا يقول لأبى عمرو: كـيف تقرأ (لايعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد)[2] فقال أبو عمرو: (لا يعذب) بالكسـر، فقـال له الرجل كـيف؟ وقد جـاء عن النبى ﷺ (لا يعـذّب) بالفتح، فقال له أبو عمرو لو سـمعت الرجل الذى قال سمعت النبىﷺ مـا أخـذته عنه. أو تدرى لماذا؟ لأنى أتهم الواحـد الشـاذ إذا كـان على خلاف ما جاءت به العامة.

قال الشـيخ أبو الحسن السخاوى: وقـراءة الفتح أيضا ثابتـة بالتواتر، قال ابن الجزرى صـدق لأنها قراءة الكسائى. قال السـخاوى: وقد تواتر الخبر عند قوم دون قوم وإنما أنكرها أبو عـمرو، لأنها لم تبلغه على وجه التواتر، وإن كانت قد بلغت غيره على وجه التواتر.

الآراء حول العشر والأربع الزائدة عليها

هذا ما كان من شأن الخلاف حـول تواتر القراءات السبع. فماذا عن القراءات العشر والأربع الزائدة على العشر:؟

(١) نقله الزرقانى في مناهل العرفان ١/٤٢٩، ٤٣٠ ووضحه.
(٢) الفجر/ ٢٥،٢٦.

قال ابن الجزري ـ وهو لسان كثير من علماء القراءات في هذا الرأى ـ أما القراءات العشر فهى من القراءات المتواترة التى تلقتها الأمة بالقبول وأخذها الخلف عن السلف حتى وصلت إلينا، ولا توجد اليوم قراءة متواترة وراء العشر.

أما القراءات الأربع الزائدة على العشر فهى صحيحة الإسناد، ولكنها آحادية فليست متواترة [(١)] وقيل بتواتر بعضها، وقيل بصحتها، وقيل بشذوذها [(٢)]. وأيما كان الأمر في الحكم على هذه القراءات سبعا أوعشرا أو زائدة عن العشر، فلا ينبغى أن ينظر فيه إلى أعداد القراءات وأئمتها، بل الأمر راجع قبل كل شىء إلى تحقق أركان الضابط المشهور، وبه يمكن الحكم على القراءة بالقبول أو الرفض.

* * *

(١) راجع طيبة النشر في القراءات العشر لابن الجزرى، وقارن بكتاب مباحث في علوم القرآن ـ د. صبحى الصالح / ٢٥٦.

(٢) مناهل العرفان ١/ ٤٣٤، ٤٥٩.

جمع ابن الجزرى (أبو الخير شمس الدين ت ٨٣٣هـ) بحكم تأخره - آراء المتقدمين، ووقف على مقاييس القراءة التى احتكموا إليها في صحة القراءة وشذوذها، وأعاد صياغتها بإضافة يسيرة نص عليها - وإن كانت مفهومة لدى السابقين أيضا - ثم طبقها على ما انتهى إليه في عصره من قراءات، وسجل حكمه عليها. واقترن الضابط باسمه منذ ذلك الحين، واعتمد علماء القراءات من بعده على نتائج تطبيقه في تقسيم القراءات والحكم عليها.

صياغة الضابط[1] وتطبيقه

١ - موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا.

٢ - موافقة العربية ولو بوجه.

٣ - صحة السند

ولاجديد فيه سوى ما أضافه بعد (لو) في المقياسين الأولين، أما الأسس فهى كما ترى أمر سابق عليه[2].

ثم أخذ يوضح ما يعنيه (بإضافته) فقال:

١ - نعنى بموافقة أحد المصاحف العثمانية ما كان ثابتا في بعضها دون

---

(١) النشر ١/٩.

(٢) تاريخ القرآن / د. شاهين / ٢٠٥.

بعض لاختلاف ما بينها كقراءة ابن عامر (قالوا اتخذ الله ولدا[1]) في البقرة بغير (واو) ، و (بالزبر وبالكتاب)[2] باثبات (الباء) فيهما فإن ذلك ثابت في المصحف الشامي، وكقراءة ابن كثير (تجرى من تحتها الأنهار) [3] في آخر براءة بزيادة (من) فإنه ثابت في المصحف المكى.

وقولنا (ولو احتمالا) نعنى به ما وافقه ولو تقديرا مثل (ملك يوم الدين) فإنه كتب في الجميع بلا (ألف) فقراءة الحذف توافقه تحقيقا، وقراءة (الألف مالك) توافقه تقديرا لحذفها في الخط اختصارا كما كتب (ملك الملك)[4] بدون ألف.

٢ ـ ونعنى بقولنا في الثانى (ولو بوجه) ـ أى نريد به وجها من وجوه النحو سواء كان أفصح أم فصيحا، مجمعا عليه، أم مختلفا فيه اختلافا لا يضر مثله، إذا كانت القراءة مما شاع وذاع وتلقاه الأئمة بالإسناد الصحيح، إذ هو الأصل الأعظم، والركن الأقوم، وكم من قراءات أنكرها بعض أهل النحو أو كثير منهم، ولم يعتبر إنكارهم. ثم ساق للدانى ـ تعزيزا لرأيه ـ قوله: أئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة والأقيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل.

(١) البقرة / ١٦٦.
(٢) آل عمران / ١٨٤.
(٣) التوبة / ١٠٠.
(٤) آل عمران / ٢٦.

٣ ـ ونعني بقولنا (صحة السنـد) أن يروى تلك القراءة العدل الضابط عن مثله وهكذا حتى ينتهى، وتكون مع ذلك مشهورة عند أئمة هذا الشأن غير معدودة عندهم من الغلط أو مما شذ بها بعضهم.

ثم قال: وقـد شرط بعض المتـأخرين (التـواتر) في هذا الركن، ولم يكتف بصـحة السند وزعم أن القـرآن لا يثبت إلا بالـتواتر، وأن مـا جاء مجىء الآحاد لا يثبت به قرآن وفند هذا الزعم فقال : إن التواتر إذا ثبت لا يُحتـاج فيه إلى الركنين الآخـرين من الرسم والعربيـة، إذ ما ثبت من أحرف الخلاف متواترا عن النبى ﷺ وجب قـبوله وقطع بكونه قرآنا سواء وافق الرسم أم لا..

ثم مضى ابن الجـزرى في تقسيم القراءة إلى أنواع في ضـوء التطبيق لهذا الضابط فقال في كتابه (النشر) على وجه الإجمال:

كل قراءة تحققت فـيها الأركان الثلاثة فهى القراءة الصـحيحة التى لا يجوز ردها، ولا يحل إنكارها، ووجب عـلى الناس قبولها سـواء أكانت عن الأئمة السعبة أم عن غيرهم...

ومتى اخـتل ركن من الأركان الثلاثة أطلق عليهـا ضعيفـة أو شاذة أو باطلة سواء كانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم..

ثم قسم القراءة الصحيـحة إلى نوعين بحسب السند بعد توفر الركنين الأولين إلى:

١ ـ المتـواترة : وهى مـا رواها جـمع عن جمـع لا يمكن تواطؤهم على الكذب ومثاله: ما اتفقت الطرق على نقله عن السبعة وهذا هو الغالب في القراءات.

٢ ـ المشهـورة: وهى ما صح سنده بأن رواه العدل الضـابط عن مثله واشتهرت عند القـراء فلم يعدوه من الغلط ولا من الشذوذ إلا أنه لم يبلغ درجة التواتر (عند الجميع) ومثاله ما اختلفت الطرق في نقله عن السبعة.

وهذان النواعان همـا اللذان يقرأ بهـما ويجب اعتـقادهمـا ولا يجوز إنكار شيء منهما.

ثم قسم ما وراء ذلك إلى:

٣ ـ الشاذة : حين يجـتمع الأخيـران دون الرسم لشذوذها عن رسم المصحف وتلـك لا يجوز القراءة بهـا لا في الصلاة ولا في غـيرها، وإن كان إسنادها صحيحا.

٤ ـ الضعيفـة : وبديهى أنها ما اجتمع فيـها الأولان دون صحة السند وقد يطلق عليها (شاذة) من باب التوسع.

٥ ـ الباطلة : وهـى ما عدمت النقل أصـلا وهى عندهم (المكذوبة) يكفر متعمدها سواء توفر لها الرسم والعربية أو أحدهما فقط [1].

---

(١) قارن بكتاب تاريخ القرآن: د. شاهين/٢٠٦.

وقد أخذ هذا التقسيم عناوين أخرى في بعض كتبه:

١ ـ المتواتر : وهو على شروطه السابقة.

٢ ـ المشهور : وهو على شروطه السابقة.

٣ ـ ا لآحاد : وهـو ما صح سنده وخـالف الرسم أو العربيـة أو لم يشتهر الاشتهار المطلوب.

٤ ـ الشاذ :وهومالم يصح سنده.

٥ ـ الموضوع :و هو ما نسب إلى قائله من غير أصل.

٦ ـ ما يشـبه المدرج من الأحاديث وهو ما زيد في القـراءة على وجه التفسير[1].

وخلص من ذلك إلى أن القراءات السـبع وما زيد عليها حـتى العشر فكلها متـواترة، وما زيد على العشر حتى الأربع عشـرة فهى عنده أحادية ليست بمتواترة، ومن ثـم فلا يقرأ بها في صلاة ولا في غـيرها، ومنع ما وراء ذلك من باب اولى..

. ملاحظتان على التقسيم والتمثيل :

١ ـ اعتبر ابن الجزرى أن الاختلاف الواقع بين المصاحف العثمانية في تسجيل بعض النصوص هو من الـقراءات، وقد سبق أن بيننا أن ذلك من ألفاظ الوحى، ولا علاقة له بالقراءات لما بين القرآن والقراءات من تغاير، وبالرغم من تقرير القدماء لهذه الحقيقة فهم يتساهلون في تطبيقها.

---

(١) نقله السيوطى راجع الاتقان ١/ ٢١٥، ٢١٦ ومناهل العرفان ١/ ٤٢٣، ٤٢٤.

وكان يكفى لمثال الموافقة والمفارقة لرسم المصحف ما جاء من القراءات التى يتفق بعضها مع الرسم - وهو كثيـر - ويختلف بعضها عن رسمه وقد سبق بيان ذلك.

٢ - مثل ابن الجزرى (بإضافات ابن عباس : وكان وراءهم ملك يأخذ كل سـفينة صـالحة). لما صح نقله عن الآحـاد وصح وجهـه في العربـية وخالف لفظ المصحف، على حين عد ذلك من المدرج - وهو ما زيد على النص للتفسير - والتناقض في ذلك لا يخفى.

* * *

حركة الاحتجاج للقراءات

كان أمرا تقتضيه طبائع الأشياء أن يحتج القراء لقراءتهم المختارة، وأن يبينوا وجه الحق فيما آثروه. وتمثل هذا أولا فيما كان من احتجاجات فردية لبعض القـراءات ظهرت في أقوال القراء الأوائل كـابن عباس (ت٦٨هـ) وعـاصم الجحدرى (ت١٢٨هـ) وعيـسى بن عمر (ت١٤٩هـ) وأبى عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ) وقد نهجوا نهجا لغويا أو إعرابيا في الاحتجاج أو حمل قراءة على أخرى لمشابهة بينهما،

حـتى جاء سيويه (ت١٨٠هـ) فمهد الطريق للمحـتجين قراء كانوا أو نحويين بما سجل في (كتابه) من المفاضلة والاحتجاج للقراءات التى قرنت بها شواهده من القـرآن، مستهدفـا إخضاع القراءات لمقاييس العـربية ممثلا لنزعة البـصريين في رد بعض القـراءات وتخطىء القارىء إذا مـا اختلف شيء من ذلك مع ما انتهوا إليه من رأى أو قياس[1].

ويأتى من بعده أبو زكريا الفراء (ت ٢٠٧هـ) فـيحتج لبعض القراءات في ثنايا كتـابه (معـانى القرآن) الموضوع لغـير ذلك، غيـر أنه يكشف عن مذهب القراء من الكوفيين في الاحتجاج وموقف نحاتهم من القراءات في اتخاذها مصدرا للتقعيد، تشتق منها المقاييس وتستمد الأصول[2].

---

(١) راجع مقدمة المحتسب ٩/١، أبو على الفارسى للدكتور عبد الفتاح شلبى /١٦١ ـ ١٦٦.
(٢) أبو على الفارسى / ٢٦٢، ٢٦٣ .

ومن بعدهمـا يأتى أبو جعفر الطبرى الكوفى (ت ٣١٠هـ) فتتصل به المعالم الكبـرى في تطور الاحتجاج بمـا صنع في كتابه (جامع البـيان في تفسير القـرآن) من رواية القراءات المختلفة مسندة إلى قرائهـا، واستجازته بعضها، وإفساده أخرى معتمدا في ذلك على صحة السند ورسم المصحف ومظاهرة لغة العرب[1].

وإذا كـانت الخطوة الأولى في الاحـتـجاج تمثلـت في التخـريجـات الفردية، والآراء المتناثرة هنا وهناك في كتب النحو والتـفسير، فإن الخطوة الثانية في بروز الاحتجاجات للقراءات علما شامخا في الدراسات القرآنية بدأت مع ابن مجـاهد باختيار القراءات السبع سنة (٣٠٠هـ) فقد احتشد جهد العلمـاء ـ بعد حركة التسـجيل والاختيار ـ في الاحتـجاج للقراءات صحـيحها وشـاذها، وكانت أول محـاولة في الاحتجـاج متخصـصة في القراءات السبع ما ابتدأه أبو بكر محمد بن السرى بن السراج (ت٣١٦هـ) أحد الأشـياخ الذين أخذ عـنهم أبو على الفارسى، واقتـفى أثره في إتمام تلك المحاولة التى لم ينجـز منها ابن السراج سوى (فاتحـة الكتاب وآيتين من سورة البـقرة) كـما يطالعنا صـدر كتـاب (الحجة في عـلل القراءات السبع) لأبى على الفـارسى (ت ٣٧٧هـ) الذى انقطع في الجلال نظيـره وامتد في الآفاق أثره وخلد في الآثار ذكره[2].

---

(١) المرجع السابق ١٦٧ ـ ١٧٠.

(٢) راجع مقدمة كتاب الحجة للفارسى.

وإن كان قد سُبق أبو على الفارسى بمن صنف في هذا الفن أو عاصره كـأبى محمد بن الحسن الأنصارى (ت٣٥١هـ) وأبى بكر محمد بن مقسم (ت٣٦٥هـ) وأبى عبد الله الحسين بن خالويه (ت٣٧٠هـ) فإنهم لم يبلغوا مبلغ أبى على فـي تحليله وتعليله وقياسـه وتنظيره، وبسط الجـدل، ونزعة الاستطراد حـتي أجهد وأرهق، فأمكن (ابن خـالويه) من فضل الإبانة في اقتـصار من غير إطالة ولا إكـثار[1]. وبدا لأبى على الفـارسى أن يحـتج للقراءات الشاذه ـ بعد أن فرغ من احتجاجه للسبع ـ وهَمّ أن يضع يده فيه ويبـدأ به، فاعـتـرضت خوالـج هذا الدهر دونه، فتـجـرد ابن جنى (ت ٣٩٢هـ) للقراءات الشاذه ينوب عن شـيخه في الاحتجاج لهـا منفذا عزم أستاذه في كتابه (المحتسب) مساوقـا له في غزارة علمه وتوقد قريحته ونفاذ بصيرته، ودقة ملاحظته، وبراعة قياسه، وصحة استنباطه، متحاميا ما عيب على أبى على في حجته من الإطالة والإغماض[2].

(وبحجة) أبى على، و(محتسب) ابن جنى انتـصبت معالم الاحتجاج شامخة الذرا، مسفرة الضياء مهتدى للسالكين ومقتفى للخالفين.

وتتابعت حلقـات الاحتجاج وتواصـلت حركة التأليف في الصـحاح والشـواذ مشـرقة ومـغربة فـيطالعنا القـرن الخامس الهـجرى (بالتـبصـرة والكشف) لأبى محمـد مكى بن أبى طالب بن حموش القيـسى القيروانى

(١) راجع مقدمة كتاب الحجة للفارسى.
(٢) أبو على الفارسى :د . شلبى /١٧٩.

(ت ٤٣٧هـ) و(التيسير) و (جـامع البيان) و (الموضح) و (المحتوى) لأبى عـمرو عثمان بن سـعيد الدانى (ت ٤٤٤هـ) و (الموضح والإقناع و جامع المشـهور والـشاذ) لأبى على الحـسن الأهوازى المصـرى (ت ٤٤٦هـ) ، و(الـلوامح) لأبى الفضل الرازى (ت ٤٥٤هـ) و (الكامل في القراءات) لأبى القاسم بن جبارة الهذلى (ت٤٥٦هـ) و (شوق العروس) في الشواذ لأبى معشر عبد الكريم الطبرى (ت٤٨٧هـ).

وفى القـرن السادس يطالعنا كـتاب (المبـهج) لأبى محـمد عـبد الله المعروف بسبط الخياط البغدادى (ت٥٤١هـ).

وفى القرن السابع يؤلف أبو البقاء العكبرى (ت٦١٦هـ) كتابه (إملاء مـا مَنّ به الرحمن) ويؤلف رضى الديـن أبو عبـد الله محـمد بن نصـر الكرمـانى ـ أواخـر القـرن السـابع كـتابـه (شواذ القـراءات واختـلاف المصاحف)[1].

وغير هؤلاء كـثير أتى ذكرهم في كـتب التفسير، واشـتدت بهم عناية القـرطبى (ت٦٧١هـ) في تفسـيره (الجامـع لأحكام القرآن)، وأبى حـيان (ت٧٤٥هـ) في تفسيره (البحر المحيط) وحفلت كـتب الاحتجاج والتفسير بكثير من الآراء وعديد من التخريجات مختلفة التزعة متباينة الوجهة، يؤثر بعـضهـا القـيـاس والنظر،ويقف الآخـر عند النقل والأثر، وأفـضى هذا

---

(١) راجع في حصـر هذه المؤلفات وأصـحابها كـتاب تاريخ القـرآن :د. شاهين ٢١٧ ـ ٢٢٥، وكتاب (أبو على الفارسى) د. شلبى /٤٢٩.

التخالف إلى تدافع الآراء واصطراع الأفكار مخلفا وراءه تراثا قيما يشهد بما لأسلافنا القدماء من فضل لا ينكر وشأو لا يدرك وجهد لا يجحد..

ولقد نـظرت في هذا التراث القـرآنى فجـمعت من وجـوه القراءات المختلفة ما يربو على ثلاثة آلاف قراءة تمثل الواقع اللغوى إبان نزول القرآن وتصور خصائص اللسان العربى قبـيل ظهور الإسلام وأقمت عليه دراستى في رسالة (الدكتوراه) دراسة مقارنة لتوجيهات القراءات عند اللغويين.

* * *

قد كان مفهوم الاحتجاج ودوافعه واضحين في توجيه القراءات الشاذة وهما كما عبر عنهما ابن جنــى في صدر كتابه (المحتسب) : وكان غرضنا أن نرى وجــه قوة مــا يسمى الآن شــاذا، وأنه ضــارب في صحــة الرواية بجرانه، آخذ من سمت العربية مهلة ميدانه، لئلا يرى مرى أن العدول عنه غض منه أو تهمة له[1].

أما الاحتجاج للقراءات الصحيحة المتواترة فأمر أنكره كثير من العلماء على اعتبار أن القراءتين إذا صحتا وثبت تواترهما عن النبى ﷺ فلا يجوز أن يقال إحداهما أجود، لأنهما جميعا عن النبى فيأثم من قال ذلك. ويذهب أبو جعفر النحاس إلى ذلك، لأن الصحابة كانوا ينكرون مثل هذا[2].

ولكن إذا أدركنا مفهــوم (الاحتجاج) في القراءات الصحــيحة المتواترة على أنه احتــجاج لوجــه اختيــار القارىء لنفــسه قراءة مــن بين القراءات الصحــيحــة المتواترة التى أتقنهــا، لا علي أنه استــدلال على صحــة قراءة وجودتهــا ـ وتفضيل إحداهمــا على الأخرى لذاتهما ـ أســغنا هذا العمل وحمدنا لهؤلاء العلماء جهدهم في إثراء الدراسات اللغوية نحوية كانت أو صرفــية بما ذهبوا إليه في تــعليل اختياراتهم تــعليلا نحويا أو صرفــيا أو

---

(١)مقدمة المحتسب ١/ ٣٢.

(٢) انظر الإتقان ١/ ٢٢٩.

شرعيا مستأنسين بالقرآن والأحاديث على قوة ما ذهبوا إليه في الاختيار[1].

وهذا ما تطالعنا به كتب الاحتجاج لـلسبع (كحجة أبى على الفارسى (و حجة ابن خالويـه)، (و حجة أبى زرعة) عبد الرحمن بـن محمد بن زنجلة (من علماء القرن الخامس الهجرى)[2].

ولعل من المفيد في تأكيد ما ذهبنا إليه من أن القراءات (اختلاف كيفية الأداء لألفاظ الوحى المنزل باخـتلاف اللهجات) أن نعـرض في ختام هذا البحث (دراسة لهـجية في القراءات السبع) تبين أن ما قـامت عليه وجوه اختلاف الأداء إنما كان خضوعًا لقانون اللهجـات العربية أكثر من خضوعه لشىء آخر، وأن نعزو مـا جاء في كتب الاحتجاج من اخـتلاف القراءات إلى لهجـات القبـائل حسب مـا أكدته الدراسـات اللغوية من خـصائص اللهجات للبدو والحضر، ليستـبين للقارىء وجه الاقناع فيما ذهبنا إليه في تفسير الأحرف السبعة، وتعريف القراءات. . .

* * *

(١) انظر مقدمة (حجة القراءات) لأبى زرعة تحقيق الأفغانى/ ٣٤،٣٥.

(٢) المرجع السابق/ ٣٠.

دراسات لهجية
في القراءات السبع

التغيرات السياقية في الصوامت

قراءات مهموزة.

قراءات مخففة.

قراءات مختلفة الحركات.

قراءات بين التحريك والتسكين.

التغيرات السياقية في الصوامت(*)

القراءات

﴿اهْدِنا الصراطَ المستقيمَ﴾ ١/٦.

- قرأ الجمهور (الصراط) بالصاد.
- قرأ ابن كثير وقنبل ورويس (السراط) بالسين.
- قرأ حمزة؛ وروى الأصمعى عن أبى عمرو (الزراط) بالزاى خالصة أو بالإشمام[١].

﴿وزاده بَسْطةً في العِلْم والجِسْم﴾ ٢/٢٤٧.

- قرأ الجمهور ومنهم أبو عمرو وابن كثير (بسطة) بالسين.
- قرأ نافع وابن كثير في رواية زرعان (بصطة) بالصاد[٢].

﴿أمْ هُمْ المُصَيْطِرُونَ﴾ ٥٢/٣٧.

- قرأ الجمهور (المصيطرون) بالصاد.
- قرأ ابن كثير وحفص (المسيطرون) بالسين.
- قرأ حمزة (المزيطرون) بإشمام الزاى[٣].

(*) يراد (بالسياقية): ما كانت أثرا لمحيط صوتى معين، (وبالصوامت) حروف الهجاء سوى الحركات.

(١) البحر المحيط لأبى حيان ١/٢٥، وحجة أبى زرعة / ٨٠.

(٢) البحر ٢/٢٥٨.

(٣) حجة أبى زرعة / ٦٨٤.

﴿ لستَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ ﴾ ٨٨/ ٢٢.

- قرأ حفص وهارون وابن عامر (بمسيطر) بالسين.

- قرأ الجمهور (بمصيطر) بالصاد[١].

﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً ﴾ ٤/ ٨٧

- قرأ جمهور السبعة (أصدق) بالصاد.

- قرأ حمزة والكسائى (أزدق) بالزاى[٢].

الدراسة اللهجية المقارنة

قال ابن خالويه : (الصراط) تقرأ بالسين والصاد، والسين أصل الكلمة، والصاد بدل منها لتآخيهما في الهمس والصفير وتحتم إبدالها لتواخى الطاء في الإطباق[٣].

وقال العكبرى (السين) أصل الكلمة لأنها من سرط الشىء إذا بلعه وسمى الطريق سراطا لجريان الناس فيه، فمن قرأ بالسين فعلى الأصل ومن قرأه بالصاد قلب السين صادا لتجانس الطاء في الإطباق[٤].

---

(١) البحر ٨/ ٤٦٤، القرطبى ٢٠/ ٣٧.

(٢) البحر ٣/ ٣١٢، والقرطبى ٥/ ٣٠٦.

(٣) الحجة لابن خالوية / ٣٨ تحقيق : د. عبد العال.

(٤) إملاء ما من به الرحمن ١/ ٧.

وقال أبو حيان: الصاد لغة قريش وهى اللغة الجيدة وعامة العرب يجعلونها سينا[1].

وقال أبو على الفارسى حكاية عن ابن السراج :الصاد أخف على اللسان لتقاربها في الإطباق مع الطاء، وقد ترك الأصل إلى تشاكل الصوتين وتجانسهما[2].

وهكذا قرىء (بسطة، بباسط، كباسط، مبسوطتان، ولا تبسطها كل البسط، فما استطاعوا، يسطون) بالسين والصاد والعلة ما تقدم[3]. من ان السين قلبت صادا لما جاورت صوتا من أصوات الاستعلاء، غير أن البطليوسى اشترط لذلك تقدم السين وكونها الأصل، وتقارب حرف الاستعلاء منها، وعلل هذا القلب بأنه تحقيق للانسجام بين الأصوات، ودفع الكلفة في الاستعلاء بعد التسفل[4].

وينسب أبو حيان هذه الظاهرة إلى بنى العنبر متفقا مع ما يرويه ابن منظور في قوله : إن قوما من بنى تميم يقال لهم (بلعنبر) يقلبون السين صادا عند أربعة أحرف : (الطاء، القاف، والغين، والخاء) إذا كن بعد السين، ولا يبالون أثانية كن أم ثالثة أم رابعة، بعدأن يكن بعدها يقولون:

---

(١) البحر ١/ ٢٥.
(٢) الحجة للفارسى١/ ٢٦.
(٣) البحر ٢/ ٢٥٨.
(٤) المزهر للسيوطى ١/ ٤٦٩.

سراط، وصراط، وسيقل وصيقل، مسبغة، ومصبغة والسخب والصخب[1].

ويتفق الرواة على أن السين أصل كلمة (السراط) ولكن الدكتور إبراهيم أنيس يخالفهم حيث يرى أن الأصل هو (الصراط) بالصاد بدليل وجودها في القرآن، ثم تطورت حتى شاع فيها نطق آخر بالسين، غير أنه يوافقهم على أن نطقها بالصاد أفصح، لقول صاحب اللسان إن النطق بالصاد لغة قريش الأولين التى جاء بها الكتاب، وعامه العرب تجعلها سينا [2].

وعندى أن الصاد لغة قريش لإجماع الرواة وهم حجة، ولا يناقض هذا بيئهم الحضرية، فقد اشتهر عن قريش أنها كانت تتخير من ألسنة القبائل ما تراه أفصح لفظا وأسهل نطقا[3]. ومن ثم لا يمنع كون الصاد من خصائص بنى العنبر أن تجرى على لسان قريش، وأن تكون بذلك أجود، ويؤيدنا فيما نذهب إليه ما رواه سفيان بن عيينة عن زياد بن علاقة عن قطبة بن مالك أنه سمع النبى يقرأ (والنخل باصقات) بالصاد[4]. والنبى ﷺ من قريش، وقد آثر الصاد على السين، وهو ما تعبر عنه الدراسات الحديثة بالاستعارة التى هى من عمل المحاكاة، وهى استعارة للألفاظ،

---

(١) لسان العرب ط بيروت (١٩٥٥م) وقارن بسر الصناعة لابن جنى ١/ ٢٢٠.

(٢) في اللهجات العربية د. أنيس / ١٢٩ ط٤.

(٣) المزهر ١/ ٢٢١.

(٤) البحر٨/ ١٢٢، المحتسب ٢/ ٢٨٢.

لا استعارة للنظام الصوتي.

وقال القرطبى : قرأ حمزة والكسائى (أزدق) بالزاى مكان الصاد[1].

وقال أبو حيان : قرأ بإشمام الصاد زايا وكذا مثله من كل صاد ساكنة بعدها دال نحو: يصدقون، تصديـة، وأما إبدالها، (زايا) محضة في ذلك فهى لغة بنى كلب[2].

وأما الصـراط فقد قال الفـارسى: روى عن ابن كثيـر السين والصاد، وروى عن أبى عمرو السين والصاد، والمضارعة بين الزاى والصاد، وروى عنه الأصمعى (الزراط) بالزاى، والباقون بالصـاد، غير ان حمزة يلفظ بها بين الصـاد والزاى، واحـتج ابن السـراج لمن قـرأهـا (زايا) بأنه أبدل من الصاد حرفا مجـهورا ليشابه الطاء في الجهر قصدا إلى الخـفة واتباعا لسنة بعض العرب في قولهم: صقر، وسقر، وزقر، وإن كان الاختيار عنده في القـراءة الصاد لـلخفـة والحـسن في السمـع، وأما قـراءة (الزراط) رواية الأصمعى عن أبى عمرو فأحـسب الأصمعى لم يضبط عن أبى عمرو لأن الأصمعى كان غير نحوى، ولست أحب أن تحمل القراءة على هذه اللغة، وأحسب أنه سمع أبا عمرو يقرأ بالمضارعة للزاى، فتوهمها زايا[3].

---

(١) القرطبى ٥/٣٠٦.
(٢) البحر ٣/٣١٢.
(٣) الحجة للفارسى ١/٣٦.

وحكى سلمة عن الفراء قال: (الزراط) بإخلاص الزاى لغةٌ لعذرة وكلب وبنى القين. قال وهؤلاء يقولون: في أصدق أزدق، وقد قالوا الأزد في الأسد[1]. وأما إشمامها زايا فلغة قيس، وبها قرأ حمزة بخلاف[2].

وفي المقارنة بين صوتى (الصاد والزاى) في القراءات التي رويت بالحرفين مثل : الصراط، والزراط، وأصدق، وأزدق قالوا إن السين والصاد حرفان مهموسان صفيريان فلما جاورتهما الطاء في الأول، وهى حرف مجهور ـ أبدلوهما مجهورا هو (الزاى) ليقربا من الطاء، والزاى أختهما، وهذا التقريب للحرف من الحرف باب طويل منقاد مشهور في باب الإدغام[3].

ويحدد أبو عبيد في (غريبه) القاعدة القياسية لهذه الظاهرة فيقول: تدخل الزاى على السين، وربما دخلت على الصاد أيضا إذا كان في الاسم (طاء، أو غين، أو قاف) ولا يكون في غير هذه الثلاثة[4].

وحكى سلمة عن الفراء أنها لغة لعذرة، وكلب، وبنى القين. ويقرر ابن جنى أنها قياسية في لغة كلب مع القاف خاصة يقولون: صقر زقر، وشاة زقعاء في صقعاء[5].

---

(١) القرطبى ١/١٤٧.

(٢) البحر ١/٢٥.

(٣) المحتسب ٢/٢٨٣.

(٤) المزهر ١/٤٧٤.

(٥) سر الصناعة ١/٢٠٨.

وهذه القبائل الـثلاث من البدو تربطهم علاقات الـنسب والجوار فهم يرجعون في نسبهم إلى قضاعة، وكان المسكن الأول لبنى كلب في (قراقر) يشـاركهم بنو القين، وقـد اختـصمـوا فيـه، وعاشت عـذرة على مقـربة منهما[1].

ويقرأ أبو عمرو (الزراط) بالزاى الخـالصة على لغة هؤلاء البدو، ولا وجه لإنكار أبى بكر بن السراج هذه القراءات مادامت على سنن الفصحاء من العرب وهذا يمنحها قوة القراءة المشهورة.

وفي الثانى: تجاورت الصاد مع الدال، والصـاد صوت مهموس مطبق تجاور مع الدال وهو صـوت مجـهور فتـأثر الصوت الأول بالثـانى، وقد تباين هذا الـتأثر فمن العـرب من يجعل الصـاد زايا خالصـة قربوها ثم أبدلوها ليكون عـملهم من وجه واحـد وليسـتعـملوا ألسنتهم فـي ضرب واحد[2].

وهذا الإبدال المحض لغة بنى كلب، وأنشدوا:

يزيد زاد الله في خيراته ... حامى نزار عند مزدوقاته

يريد (مصدوقاته)[3].

---

(١) راجع مـعجم قـبائل العـرب (عمـر كحـالة) ٣/ ٩٧٤، ٩٩١، وتاريخ العرب قـبل الإسلام (جواد على) ٤/ ١٧٠.

(٢) الكتاب لسيبويه ٢/ ٥١٤ ـ ط بيروت.

(٣) سر الصناعة ١/٢٠٨، البحر ٣/ ٣١٢.

وإذا كـان من العـرب من يقلب الصـاد زايا خالصـة، فـإن منهم من يشمـها الزاى فحـسب ولم يبدلوها زايا خـالصة كـراهية الاجحـاف بها للإطباق[1]. وهى لغة قيس وبها قرأ حـمزة بخلاف عنه وقرأ بها خلف عن حمزة ﴿ويَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾[2].

وهذا الصاد (المشمة) كمـا قال ابن السراج ـ تكلف حرف بين حرفين وذلك أصـعب على اللسان وليس بحـرف يبنى عليـه الكلم، ولا هو من حروف المعجم، ولست أدفع أنه من كلام فصحاء العرب[3].

وكلام ابن جنى يؤدى إلى ذلـك إذ يقول : وأما الصـاد التى كالزاى فهى التى يقل همـسها قليـلا ويحدث فيـها ضرب من الجـهر لمضارعتـها الزاى[4].

وهو صوت أشبـه بالظاء (غير الأسنانية) المستـعملة في النطق المصرى العامى، وهو ماسماه ابن سينا (زايا ظـائية) ويكون وسط اللسان فيها أرفع والاهتزاز فـي طرف اللسان خـفى جدا[5]. وقراءة (الصراط) بـالإشمام أفصح عنـد القراء من القراءة بالزاى الخـالصة لعـدم الإجحـاف بالصاد،

---

(١) الكتاب ٢/ ٥١٤.

(٢) إتحاف فضلاء البشر / ٣٩٥.

(٣) الحجة للفارسى ١/ ٣٨.

(٤) سر الصناعة ١/ ٥٦.

(٥) أسباب حدوث الحروف / ١٩ لابن سينا.

والقـراءة بالـصـاد الخـالصـة أفـصـح منهـمـا هكذا قـال ابن السـراج والفارسي. . .

وخلاصة هذه الأقوال كلهـا: إن التأثر لا يكون إلا بشروطه من وجود المسوغـات الصوتية. لهذا أفـحم الوزير أبو الحسن بن الفرات أديبـا كان بحضرته ادعى أن السين تـقوم مقام الصاد في كل مـوضع فقال له الوزير على الفور أتقرأ (جنات عدن يدخلونهـا ومن صلح من آبائهم) أم ومن (سلح) فخجل الأديب[1].

هذا. . ويلاحظ في تعـبيـرات الأقدمين أن الظواهر اللغـوية في هذه القـراءات من باب القلب أو الإبدال بمعنـى أن صوت الصـاد حل مـحل صوت السين أو أن صوت الزاى حل مـحلهما في محـيط صوتى معين، وهذا تصور غـير دقـيق لطبيـعة الأصوات فـي منهج الدراسات الصـوتية الحديثة الذى يقوم على اعتبار الوحدة الصوتية (الفونيم) ـ الحرف الهجائى ـ ذا وظيفة لغوية يتـغير المعنى بتغيره في المسـتوى اللغوى الواحد، ويدرك هذا عن طريق التقـابل، وهذا (الفونيم) قـد تتعدد صـوره الصوتية تبـعا للسيـاقات الصوتيـة دون أن يحدث تغيـر في المعنى، وأقرب مـثال لذلك النطق العـربى (للام) في صـورتيـه التـاليـتين فنحن نقـول: (والله) بلام مفخمة، (وبالله) بلام مـرققة واللامان متفاوتان نطقا تبـعا للسياق الصوتى الذى يكتنفـهـما، ولكن المعنى لا يـزال ثابتا لأنهـمـا صورتان (لفـونيم

---

(١) درة الغواص للحريرى /١٩ ط (الجوائب).

واحد)، ومن ثم كان الفيصل في تحديد (الفونيم) وتمييزه عن الصورة الصوتية هو أنه إذا حدث تغير في المعنى بإحلال صوت محل صوت آخر كان الصوتان (فونيمين) متميزين؛ وإذا لم يحدث تغير في المعنى ـ على مستوى لغوى واحد ـ فالأمر حينئذ أن يكونا صورتين (لفونيم) واحد ومن طبيعة الصورة الصوتية ألا تقع واحدة منها قط في مكان صورة أخرى من العائلة نفسها في سياق واحد بعينه على مستوي لغوى واحد[1]..

وفى ضوء هذا المنهج ندرك أن (السين) فونيم واحد قد تتنوع أفراده بحسب السياقات الصوتية فينطق مستعليا مطبقا إذا وقع في سياق صوتى قبل طاء أو غين أو خاء أو قاف، كما ينطق مستقلاً غير مطبق في سائر الحالات غير ما سبق، وقد ينطق مجهورا إذا وقع في سياق صوتى قبل طاء أو غين أو قاف. وكذلك الصاد.

وقد اختص ذلك بمستوى لغوى معين ـ أى أنها لهجة لبعض القبائل العربية، ومن ثم لا يمكن على هذا المستوى ـ أن نعتبر صور السياقات الصوتية من قبيل الإبدال حيث لم يتعدد (الفونيم) وإنما هى ظواهر تطريزية أى ظواهر صوتية لا تدخل في التركيب الصوتى نفسه وهى ما يطلق عليه في بعض المدارس الصوتية (الفونيمات الثانوية)[2]. ولا علاقة

---

(١) راجع علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة د. محمود فهمى حجازى / ٣٢ سلسلة المكتبة الثقافية العدد ٢٤٩ ـ عام ١٩٧٠، وراجع (الظواهر اللغوية في القراءات) للمؤلف ٤٧. وما بعدها.

(٢) راجع علم اللغة (قسم الأصوات) : د. كمال بشر / ٦٢ ـ ٢١٠.

لها بالتركيب الصوتى للغة.

ولعل في هذا المنهج الصوتى ما ينفى عن هذه القـراءات أنها مخالفة لرسم المصحف إذا رسمت (سينا) في الصـراط نطقا ـ فالحرف هو السين نطق مستـعليا فصار (كالصـاد نطقا لا رسما) على نحو مـا أشرنا إليه في نطق (اللام) مفخمة ومرققة وهى حرف واحد..

* * *

قراءات مهموزة

همز صائت طويل

﴿ وكَشَفَتْ عَنْ ساقَيهْا﴾ ٢٧/ ٤٤.

ـ قرأ القواس (سأقيها) بالهمزة[١].

﴿ اهْتزتْ ورَبَتْ ﴾ ٢٢/ ٥.

ـ قرأ ابن القعقاع وأبو عمرو (وربأت) بالهمز[٢].

﴿ أَرْجِهْ وأَخَاهُ ﴾ ٧/ ١١١

ـ قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو (أرجئه) بالهمز[٣].

﴿ بالسُّوق وَ الأعْنَاق ﴾ ٣٨/ ٣٣

﴿ فَاستَوى عَلَى سُوقَة﴾٤٨/ ٢٩

ـ قرأ ابن كثير (بالسؤق ـ سؤقه) بالهمز[٤].

﴿ قسْمَةٌ ضيزَى ﴾ ٥٣/ ٢٢

ـ قرأ ابن كثير (ضئزى) بالهمزة[٥].

---

(١) أبو زرعة / ٥٣٠.
(٢) البحر ٦/ ٣٥٣، القرطبى ١٢/ ١٣.
(٣) ابن خالوية / ١٣٤، البحر ٤/ ٣٦٠.
(٤) البحر ٣٩٧، البحر ٨/ ١٠٣.
(٥) البحر ٨/ ١٦٢.

همز صائت مركب

﴿ وأنيَّ لهم التناوُش ﴾ ٣٤/ ٥٢

ـ قرأ أبو عمرو والكسائى وحمزة (التناؤش) بالهمز[1].

﴿ لَترَوُنّ الجحيمَ ثم لَترونّها ﴾١٠٢/ ٦، ٧

ـ قرأ أبو عمرو وغيره (لترؤن، لترؤنها) بهمز الواوين فيهما[2]

﴿ قالوا أتتخذُنا هُزُوًا ﴾ ٢/ ٦٧

ـ قرأ حمزة وأبو جعفر (هزؤا) بالهمز[3]

﴿ ولَمْ يكن لَه كُفُوًا أحد ﴾ ١١٢/ ٤

ـ قرأ حمزة (كفؤا) بالهمز[4]

﴿اشتَرَوُا الضَّلاَلَة ﴾ ٢/ ١٦

ـ قرأ الكسائى (اشترؤا) بهمز واو[5] الجمع.

---

(١) البحر ٧/ ٢٦٣، القرطبى ١٤/ ٣١٦.

(٢) البحر ٨/ ٥٠٨، المحتسب ٢/ ٣٧١.

(٣) البحر ١/ ٢٥٠، القرطبى ١/ ٤٤٧.

(٤) البحر ٨/ ٥٢٨.

(٥) القرطبى ١/ ٢١٠، المحتسب ١/ ٥٥.

﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا ﴾ ١٩/ ٢٦

ـ قرأ نافع وأبو عمرو (ترئن) بهمز الياء[١]

﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ ٧/ ١٠، ١٥/ ٢٠

ـ قرأ الأعرج وخارجة عن نافع (معائش) بهمز الياء [٢]

﴿ قَالَتْ هَيْتَ لَكَ ﴾ ١٢/ ٢٣

ـ قرأ ابن عامر وأهل الشام (هئت)ت بهمز الياء[٣]

﴿ هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً ﴾ ١٠/ ٥

ـ قرأ قنبل عن ابن كثير (ضئاء) بهمزتين[٤]

﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ﴾ ٢/ ٦١

ـ قرأ نافع (النبيئين) بالهمز[٥]

﴿ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ ٢٤/ ٣٥

ـ قرأ الكسائى وأبو عمرو (درىء) بالهمز وكسر الدال وتشديد الراء[٦].

---

(١) البحر ٦/ ٤٢٠.

(٢) البحر ٤/ ٢٧١، القرطبى ١٧/ ١٦٧، البحر ٥/ ٤٥٠.

(٣) البحر ٥/ ٢٦٤، القرطبى ٩/ ١٦٤.

(٤) البحر ٥/ ١٢٥، القرطبى ٨/ ٣٠٩.

(٥) البحر ١/ ٢٣٧، القرطبى ١/ ٤٣١.

(٦) البحر ٦/ ٤٥٦، القرطبى ١٢/ ٢٦١، المحتسب ٢/ ١١٠.

قال ابن خالويه في قراءة ابن كثير (سأقـيها) بالهمز وجهان: أحدهما أن العرب تشبه مـالا يهمز بما يهمز، فتـهمزه تشبيهـا به، كقولهم حلأت السويق. . والآخـر أن العرب تبدل من الـهمز حـروف المد واللين، فأبدل ابن كثير من حروف المد واللين همزة تشبيها بذلك.

وأما همزه في قوله تعالى (السـؤق) فربما كان أصله (سووق) على ما يجب في جـمع (فعل) بـفتح الفـاء والعين، فلمـا اجتـمع واوان الأولى مضمومة همزها، واجتزأ بها من الثانية فحذفها[1].

وقال أبو حيان قراءة ابن كثير (بالسؤق)بالهمزة لغة بعض بنى أسد فهم يقولون (يؤنس) بالهمز، ولغة أهل الحجاز بدون همز[2].

وفي قوله تـعالى (اهتزت وربأت) قـال العكبرى هو من ربـأ للقوم، وهو الربيئة ـ إذا ارتفع على موضع عال لينظر لهم ـ فالمعنى ارتفعت ومن قرأ (ربت) بغير همز، فمن ربا يربو إذا زاد[3].

---

(١) حجة ابن خالويه / ٢٤٧.
(٢) راجع البحر ٣/ ١٩٧، ٣٩٧، ٧/ ٣٩٧.
(٣) الاملاء ٢/ ١٤٠. .

وفي قوله تعالى (أرجئه) بالهمز وبغير الهمز: قيل بمعنى أخره، وأولها بعضهم ـ بغير همز ـ على معنى : أطمعه، جعله من رجوت، أدخل عليه همزة الفعل أى أطمعه وأخاه[1].

وأما قوله تعالى (ضئزى) فقد قال الكسائى فيها: ضاز يضيز ضيزى، وضاز يضوز ضوزى، وضأز يضأز ضأزى فالهمز لغة فيها، وهما بمعنى جائرة[2].

أما همز(الصائت المركب) وهو الواو في قوله تعالى (التناؤش) فقد قال ابن خالويه: من همز أراد معنى التباعد، ومن ترك الهمز أراد معنى التناول[3].

ويرى الزجاج أنهما بمعنى واحد، وأن أصل الهمز الواو مثل أدؤر في أدور، وبه قال الزمخشرى[4].

وقال أبو حيان: إن همز (التناوش) لا يجوز، لأن الواو المضمومة لا تهمز إذا صحت في الفعل مثل تناوش[5].

(١) البحر ٤/ ٣٦٠، والقرطبى ٧/ ٢٥٧.
(٢) البحر ٨/ ١٦٢.
(٣) الحجة / ٢٦٩.
(٤) الاملاء ٢/ ١٩٨.
(٥) البحر ٧/ ٢٩٣.

وقال أبو الفتح: أما همز الواو فـي (ترؤن، لترؤنها)فمن باب إجراء غيـر اللازم مجرى اللازم وذلك أن الضـمة فيهـا عارضة من أجل التـقاء الساكنين ومـثلها في ذلك (لتبلؤن)، وأن جـميع أصحابنا تلقـوا همز هذه الواو بالفساد، وجمـعوا بينها وبين همز الواو من (اشتـرؤا الضلالة) فيمن همز الواو، وهذه لعمرى قبيحة، لأن الساكنين في الأخيرة من كلمتين، وفيما تقدم من كلمة واحدة، وفرق بين الموضعين، وقد استحسنه أبو حيان.

ويقرر أبو الفتح مع استقباحـه همز (اشترؤا) أنها لغة قيس ومنهم من يقول: (عصؤا الله)[1].

وروى اين خالويه عن الكسائى جواز همـز (اشترؤا) وهى لغة، وعند البصريين لحن[2].

وفى قولـه تعالى (هزؤا وكـفؤا) ذهب الموجـهون إلى أن الهـمز هو الأصل فيهمـا، وقد خففت الهمزة فـيهما، وبالتخفيـف قرأ حفص وكلها لغات عند العكبرى[3].

وفى قوله تعالى (ترئن) ومـثلها (ترئنى) بالهمز بدل الياء فيـهما، قال

---

(١) راجع المحتسب ٢/ ٤٢،٣٧١، المحتسب١/ ٥٥، والبحر ٨/ ٥٠٨.
(٢) شواذ ابن خالويه.
(٣) البحر ١/ ٢٥٠،٢/ ٥٢٨، القرطبى١/ ٤٤٧، الاملاء١/ ٤٢.

أبو حيان هو كإبدال الهمز من الواو فى (لترؤن) وهو إبدال ضعيف[1].

وفي (معـائش) بالهمز يرى القراء قـبول القراءة لصـحة السند ووثوق الرواية، على حين يرفضها اللغويون لمخالفتـها مقاييسهم من أن الياء أصلية ولا يهمـز إلا الزائدة، فأبو عثمـان المازنى يقول: إنها خطأ، وقـد أخذت عن نافع ولم يكن يدرى مـا العربـية وله أحـر ف يقرؤها لحنا نحـوا من هذا[2].

ويرى الفـراء قبول الرواية، لأن العـرب فعلت وذلك وخـرجت عن المقاييس في كثير من المسائل، وقد همزت العرب هذا وشبهه على التوهم فقالو: مصائب في مصيبة شبهت بفعيلة لكثرتها في الكلام[3].

وفي قـوله تعالى (هئت) بهـمز اليـاء قال ابن جنى هى فـعل بمعنى تهيأت وليـست باسم فعل، أما المخففة فـهى اسم فعل بمعنى أسرع وبادر ولكنهما يتدانيان في المعنى فكلاهما محمول على الإغراء[4].

وفى قوله تعالى (ضئاء) بهمزتين حكى القرطبى عن المهدوى أن فيها قلبا وإعـلالا فهى بوزن (فلاع) مـقلوب (فعـال) قدمت الهمـزة على الياء

---

(١) البحر٦/ ٤٢٠.

(٢) المنصف لابن جنى ١/٣٠٧.

(٣) معانى القرآن ١/٨٧.

(٤) المحتسب ١/٣٣٧.

فوقعت طرفا بعد ألف فقلبت همزة. . ولكن أبا حيان يضعف هذا القلب لأن القياس هو الفرار من اجتماع همزتين إلى تخفيف إحداهما[1].

أما (النبيئين) فقال العكبرى الأصل الهمز لأنه من النبأ لكنه خفف بقلب الهمزة ياء ثم أدغمت في الياء الزائدة.

ويقرر ابن جني عن سيبويه أنه ألزم (النبى) البدل، وأما عنده فهي مخففة لا مبدلة والفرق بينهما أن البدل لازم في تصاريف الكلمة بعكس التخفيف فإنه لا يلزم[2].

وفي قوله تعالى (كوكب درىء) قال ابن جنى قد يكون (فعيلا) من درأت لأنه يدرأ الظلمة وأصله على هذا الهمز، ثم خفف، وقد قرىء مهموزا على أصله.

ويرى ابن خالويه أن المخفف منسوب إلى الدر لشدة ضوئه وإلى هذا أيضا يذهب العكبرى[3].

وخلاصة ما ذهب إليه الموجهون لهذه القراءات المهموزة أن الهمز إما شاذ لعدم جريانه على القياس، وإما يفارق المهموز المخفف في أصل الاشتقاق.

---

(١) راجع القرطبى ٨/٣٠٩، البحر ٥/ ١٢٥، الإملاء ٢/ ٢٤.
(٢) الإملاء ١/ ٤٠، الكتاب ٢/١٩٨، الخصائص ٣/ ١٥٣.
(٣) المحتسب ١/١٥٦، الحجة / ٢٢٧، الإملاء ٢/ ١٥٦.

وإذا استبعدنا ما فرقت التأويلات فيها بين المهموز والمخفف في الأصل الاشتقاقى لانتفاء المقابلة بين الصورتين. بقى أن نعرف منشأ هذا الهمز وسر شذوذه عند اللغويين فيما بقى من القراءات.

أما منشؤه فهو عندهم على البدل من حروف العلة، وسبب شذوذه أنه بدل جرى على غير قياسهم.

والصواب عندنا في هذا الهمز في تلك القراءات كلها أنه اقتضاءات لهجية، وحسبنا دليلا على هذا ما جاء على ألسنة اللغويين عند تفسير هذه الظواهر أنها لغة، وينسبها أبو حيان في (يؤنس) لبنى أسد، وفى (اشترؤا) لقيس، ويرويها الفراء لغة لغنى يقول سمعت امرأة من (غنى) تقول: رثأت زوجى بأبيات [١]ويقولون: لبأت بالحج، وحلأت السويق..

وقد جاء عن أبى زيد قال رجل من (غنى) (هذه قسمة ضئزى)[٢] وروى ابن جنى عن قطرب أن بعض (عكل) يقولون: (ترقؤة) بالهمز وأصلها ترقوة[٣].

وعقيل تهمز (الجؤنة، والمؤسى، والحؤت) ونطقها بغير همز هو الشائع[٤]. وكأنهم إذ قالوا (لغة) يعنون قبوله دون بحث عن منشئه، لأن

---

(١) اللسان ١/١٧.
(٢) المخصص ١٢/٢٠٩.
(٣) الخصائص ٣/٢٠٧.
(٤) في اللهجات: أنيس/ ١٠٠.

اللغة ظاهرة اجتماعية لا تخضع لهذه الأحداث الصرفية، فالصورتان إذا ليستا على مستوى لغوى واحد، بل كل منهما نتاج بيئة معينة، وتؤكد الروايات المنسوبة أن الهمز لغة أهل البادية، وقد تميزوا بهذه الظاهرة زمن تدوين اللغة فلقبهم القدماء بأصحاب النبر، قال أبو زيد: أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة والمدينة لا ينبرون، وقف عليها عيسى بن عمر الثقفى فقال : ما آخذ من قول تميم إلا النبر وهم أصحاب النبر، وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا [١] ولا تعنى تميم هنا إلا القاعدة الكبرى لأهل البادية في وسط الجزيزة وشرقيها،كما لا تعنى كلمة (النبر) في حديث عيسى التى آثرها على كلمة الهمز إلا تجاوز تحقيق الهمز في الكلمة المهموزة الأصل إلى تهميز ما ليس بمهموز أصلا كالعألم، والخأتم، وخطؤات، ومعائش، وترئن، وهزؤا، وسؤقه، وجأن، وشأبة، ودأبة. وهكذا اتسع مجال النطق بما يشبه الهمزة لدى البدو، ولم يعد مقصورا على ماهو مهموز أصلا، ولا غرابة لذلك أن سموا بأصحاب النبر[٢].

ولعل ما استصوبناه من تفسير هذه الظواهر بأنها (لغة) ـ يخرجنا من اضطراب التعليلات الصرفية التي لا تستند على أساس من أى نظرية صوتية، ويكفى لسقوط دعوى التبادل بين الهمزة وأصوات اللين فقدان العلاقة الصوتية التي اشترطوها أساسا لصحة التبادل، فضلا عن أن الهمز في هذه الظواهر ليس (فونيما) من فونيمات اللغة، وإنما هو ظاهرة آلية، ومن ثم لا يتبادل مع غيره، وهو إن بدا في المقارنة بالصورة غير المهموزة

---

(١) اللسان ١/ ٢٢.

(٢) الأصوات اللغوية : د. أنيس /٩٩، ١٠٠.

واقـعا مـوقع (صائت طويل) ـ أي حـروف المد ـ فإنه لا يعـدو أن يكون تكييفا صوتيا في أداء المقطع، أو تعيضا موقعيا لا يخضع لشروط التبادل.

أما في حالة (الصائت المركب) ـ الواو، والياء، غير المدتين فإن الهمز ليس إلا تأكيدا للانزلاق بين عنصريه اللذين قام اللين الناشىء عنهما بدور الانزلاق بينهما في الصـورة غير المهموزة مع بقاء العنصريـن على حالهما دون تغيير[1].

* * *

(١) راجع في (طبيعة الصـائت المركب) علم اللغة: د. السعران/ ٢٠٣،٢٠٤، الأصوات اللغوية /د. ابراهيم أنيس / ١٦٢.

قراءات مخففة

﴿ اقرأْ باسم ربِّك ﴾ ٩٦/ ١

ـ قرأ الأعمش عن أبى بكر عن عاصم « اقرا » بحذف الهمزة ومد الراء[١].

﴿تأكل منسَأَتَه﴾ ٣٤/ ١٤

ـ قرأ نافع وأبو عمرو (منساتهَ) بحذف الهمزة ومد السين[٢].

﴿ سَأَل سَائل ﴾ ٧٠/ ١

ـ قرأ نافع وابن عامر (سال) بحذَف الهمزة ومد السين[٣].

﴿ قل أرأَيْتَكُمْ﴾ ٦/ ٤٧

ـ قرأ نافع (أرايتكم) بحذف الهمزة ومد الراء[٤].

﴿ رئاءَ النّاس﴾ ٢/ ٢٦٤.

ـ قرأ عاصم وغيره (رياءَ) بحذف الهمزة وياء مفتوحة[٥].

---

(١) البحر ٨/ ٤٩٢.

(٢) البحر ٧/ ٢٦٧.

(٣) البحر ٨/ ٣٣٢

(٤) حجة ابن خالويه / ١١٣.

(٥) البحر ٢/ ٣٠٩.

﴿ لأَهَبَ لك غُلامًا ﴾ ١٩/ ١٩

ـ قرأ أبو عمرو، وورش (ليهب) بحذف الهمزة وياء مفتوحة[1].

﴿ تَبَوَّءا لقَوْمكُمَا ﴾ ١٠/ ٨٧

ـ قرأ حفص وغيره (تبويا) بَحذَف الهمزة وياء مفتوحة[2].

﴿ أَيْنَ شُرَكَائى ﴾ ١٦/ ٢٧

ـ قرأ البزى عن ابن كثير (شركاىَ) بحذف الهمزة وياء مفتوحة[3].

﴿ لئَلا يكونَ للناس ﴾ ٢/ ١٥٠

ـ قرأ ورش عن نافعَ (ليلا) بحذف الهَمزة وياء مفتوحة[4].

﴿ إلى بَارِئكُمْ ﴾ ٢/ ٥٤

ـ قرأ الزهرى ونافع (بارِيكم) بَحذف الهمزة وياء مكسورة[5].

---

(١) الإملاء ٢/ ١١٢.

(٢) البحر ٥/ ١٨٦.

(٣) البحر ٥/ ٤٨٥.

(٤) البحر ١/ ٤٤١.

(٥) البحر ١/ ٢٠٦.

﴿ الْيَوْمَ يَئِسَ﴾ ٥/ ٣ ، ٦٠/ ١٣

ـ قرأ أبو جعفر وأبو عمرو (ييس) بحذف الهمزة وياء مكسورة[١].

﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ ٧٠/ ١

ـ قرأ نافع وابن عامر (سايل) بحذف الهمزة وياء مكسورة[٢].

﴿ شَعَائِرَ اللهِ﴾ ٥/ ٢

ـ قرأ ابن كثير (شعاير) بحذف الهمزة وياء مكسورة[٣].

﴿ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ ﴾ ٩/ ١٢

ـ قرأ الحرميان وأبو عمرو (أيمة) بحذف الهمزة الثانية وياء مكسورة [٤].

﴿ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ ﴾ ٣٦/ ١٩.

ـ قرأ أهل المدينة بقراءة نافع (أين) بحذف الهمزة الثانية وياء مكسورة[٥].

---

(١) البحر ٣/ ٤٢٦.

(٢) البحر ٨/ ٣٣٢.

(٣) شواذ ابن خلويه / ٣١.

(٤) البحر ٥/ ١٥.

(٥) البحر ٧/ ٣٢٧.

﴿ فَأَذَّن مُؤذن ﴾ ٧/ ٤٤، ١٢/ ٧٠.

ـ قرأ ورش عن عاصم (موذن) بحذف الهمزة وواو مفتوحة[١].

﴿ فُؤادُ أُمِّ موسَى ﴾ ٢٨/ ١٠

ـ قرأ أحمد عن أبى عمرو (فواد) بحذف الهمزة وواو مفتوحة[٢].

﴿ منْهُنَّ جُزْءًا﴾ ٢/ ٢٦٠

ـ قرأ حفص (جزوا) بحذف الهمزة وواو مفتوحة[٣].

﴿جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴾ ١٥/ ٤٤

ـ قرأ حفص (جزو) بحذف الهمزة وواو مفتوحة مع ضم الزاى[٤].

﴿ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ ﴾ ١٢/ ٥.

ـ قرأ الكسائى (رياك) بحذف الهمزة وتضعيف الياء[٥].

---

(١) شواذ ابن خالويه / ٤٤.

(٢) البحر/٧/ ١٠٦.

(٣) الكرمانى / ١٤٣.

(٤) البحر ٥/ ٤٥٥.

(٥) شواذ ابن خالويه / ٦٢.

﴿ هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ ٩٠/ ١٩

ـ قرأ حفص (المشمة) بحذف الهمزة وتضعيف الشين[١].

﴿ سَائِغٌ شَرَابُهُ﴾ ٣٥/ ١٢

ـ قرأ أبو عمرو وعاصم (سيغ) بحذف الهمزة وتضعيف الياء[٢].

﴿ سَوْأَةَ أخى ﴾ ٥/ ٣١

ـ قرأ حفص (سوة) بحذف الهمزة وتضعيف الواو[٣].

﴿ ثَلاثَةَ قُرُوء﴾ ٢/ ٢٢٨

ـ قرأ نافع وغيره (قرو) بحذف الهمزة وتضعيف الواو[٤].

﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ ﴾ ٩/ ٣٧

ـ قرأ ابن كثير وغيره (النسيء) بحذف الهمزة وتضعيف الياء[٥].

---

(١) المرجع السابق / ١٧٤.

(٢) البحر٧ / ٣٠٥.

(٣) البحر ٣/ ٤٦٧.

(٤) البحر ٢/ ١٨٦.

(٥) البحر ٥/ ٣٩.

﴿يا آدمُ أَنبِئْهُمْ﴾ ٢/ ٣٣

ـ قرأ ابن كثير وغيره (أنبهم) بحذف الهمزة [١].

﴿وَاسْأَلُوا الله ﴾ ١/ ٣٢

ـ قرأ ابن كثير والكسائى (واسلوا)ت بحذف الهمزة [٢].

﴿ فَلاَ تَسْأَلْنِي عَنْ شَىْء ﴾ ١٨/ ٧٠

ـ قرأ ابن عامر (تسلنى) بحذف الهمزة[٣].

﴿لِيَسْأَلَ الصَّادقِينَ﴾ ٣٣/ ٨

ـ قرأ أبو عمرو (ليسلَ) بحذف الهَمَزة[٤].

﴿يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائكُمْ ﴾ ٣٣/ ٢٠

ـ قرأ أبو عمرو وابن كثير (يسلون) بحذف الهمزة[٥].

---

(١) البحر ١/ ١٢٦.

(٢) البحر ٣/ ٣٢٦.

(٣) البحر ٦/ ١٤٨.

(٤) الكرمانى / ١٩٤.

(٥) البحر ٧/ ٢٢١.

﴿ ولا يَسْأَل حَمِيمٌ﴾ ٧٠/ ١٠

ـ قرأ ابن كثير (لا يسل) بحذف الهمزة [١].

﴿ ردْءًا يُصَدِّقُنى ﴾ ٢٨/ ٣٤

ـ قرأ نافع (ردا) بحذف الهمزة وفتح الدال مخففة[٢].

﴿ فَلَمَّا تَراءَتْ الْفِئَتَان ﴾ ٨/ ٤٨

ـ قرأ الأعمش عن عاصم (ترات) بحذف الهمزة[٣].

﴿ إنَّها لإحْدَى الكُبر﴾ ٧٤/ ٣٥

ـ قرأ عاصم وابن كثير (لحدى) بحذف الهمزة [٤].

﴿ قَدْ أَفْلحَ الْمُؤمنُونَ ﴾ ٢٣/ ١

ـ قرأ نافع (قد افلح) بحذف الهمزة[٥].

---

(١) الكرمانى /٢٤٩.

(٢) القرطبى ٢٨٦/١٣.

(٣) شواذ ابن خالويه /١٠٧.

(٤) البحر ٣٧٨/٨.

(٥) حجة ابن خالويه / ٩٨.

﴿ إلا مُكَاءً وتَصْدِيَةً ﴾ ٨/ ٣٥

ـ قرأ عمرو (مكا) بحذف الهمزة والتنوين[1].

﴿ وإمَّا فداءً ﴾ ٤٧/ ٤

ـ قرأ ابن كثير وغيره (فِدًا) بحذَف الهمزة والتنوين[3].

* * *

(١) البحر ٤/ ٤٩٢.

(٢) البحر ٨/ ٧٥.

في قوله تعالى (اقرأ) قال أبو حيان :قرأ الجمهور بالهمزة، وقرأ الأعمش «اقرا» بحذف الهمزة، كأنه على قول من يبدل الهمزة الساكنة حرفا مناسبا لحركة ما قبلها فيقول : قرا يقرا، كسعى يسعى، وأما الأمر منه قيل « اقر » بحذف الألف المبدلة من الهمزة كما تقول « اسع » ومن أثبت الألف فهو على تسهيل الهمزة « بين بين »[1].

وفي قوله تعالى (منسأته) قال ابن جنى : المشهور المجمع عليه منسأته، ومنساته، بالهمز، وبالبدل من الهمز - وهى العصا - مفعلة من نسأت الناقة والبعير إذا زجرته. . وقيل قياسها على التخفيف « بين بين » ولكن الراوى لم يضبط[2].

وفي قوله تعالى «سأل » قال أبو حيان والقرطبى : قرىء « سال » بغير همز فيجوز أن تكون قد أبدلت همزته ألفًا علي غير قياس، أو أنه على لغة من قال : سلت أسال، وقال الزمخشرى : وهى لغة قريش[3].

وفي قوله تعالى (أرأيتكم) قال أبو البقاء: الهمزة التى بعد الراء تحقق على الأصل، وتلين للتخفيف[4].

---

(١) البحر ٨/ ٤٩٢.

(٢) المحتسب ٢/١٨٧، القرطبى ١٤/٢٨.

(٣) البحر ٨/ ٣٣٢، القرطبى ١٨/ ٢٨٠، الكشاف ٤/٦٠٨.

(٤) الاملاء ١/٢٤٢.

وفي قوله تعالى (رئاء) قال أبو حيان قرأ طلحة بن مصرف (رياء) بإبدال الهمزة ياء لكسر ما قبلها وهى مروية عن عاصم[1].

وقال أبوالبقاء ويجوز تخفيف الأولى بأن تقلب ياء فرارا من ثقل الهمزة بعد الكسرة وقد قرىء به[2].

وفي قوله تعالى (لأهب) قال ابن خالويه يقرأ (ليهب) بالياء على أنه إخبار من جبريل عن الله عز وجل، وبالهمزة حكاية جبريل عن الله تعالى، وقال أبو البقاء أصل الياء في (ليهب) الهمزة قلبت ياء لكسرما قبلها تخفيفا، وقد يكون على معنى الإسناد إلى الله[3].

وفي قوله تعالى « ليلا » قال أبو حيان : قراءة الجمهور بالهمزة، وقرأ الحسن « ليلا » بالياء ساكنة، وهذا التخفيف قرأ به نافع من إبدال الهمزة ياء[4].

وقرأ ابن كثير (شركاى) بياء مفتوحة، وقرأ الحسن بياء مكسورة ويعده أبو حيان من قصر الممدود[5].

وفي قوله تعالى (إلى بارئكم) قال أبو حيان قرأ الزهرى بياء مكسورة

---

(١) البحر ٣/٣٠٩.
(٢) الاملاء١/١١٢.
(٣) الحجة/ ٢١١، الاملاء ٢/ ١١٢.
(٤) البحر ١/ ٤٤١.
(٥) البحر ٥/ ٤٨٦.

ويحتمل أن تكون تخـفيفا على غير قـياس، أو أن تكون من (البرى) وهو التراب، ثم حرك حرف العلة شـذوذا لأن قياسه أن تقدر الحركة فـيه رفعا وجرا[1].

وفي قوله تعالى (سايل) قال القرطبى قـرأ نافع وابن عامر بغير همز، تخفيفا (بين بين) ومثلها (شعاير) في قراءة ابن كثير[2].

وفي قوله تعالى (أيمـة) قال ابن خالويه يقرأ بالياء المقـلوبة عن الهمزة وتقرأ بتحقيق الهمزتين، و يرى الزمخشرى أن تكون (بين بين)، وتحقيقهما قراءة مشهـورة وإن لم تكن مقبولة لدى البصريين، وأمـا التصريح بالياء فهو لحن. وينكر عليه أبو حيان تلحينه هذه القراءة وهى قراءة أئمة ثلاثة، على حين يذكر القـرطبى أن أكثـر النحويين ينكرون قراءة حـمزة بتحـقيق الهمزتين ويعدونها لحنا لجمعه بين همزتين في كلمة واحدة[3].

وفي قوله تعالى (رؤياك) قال أبو البقاء الأصل الهمز وعليه الجمهور، وقرىء (بواو) مكـان الهمزة لانضـمام مـا قبلها، ومن العـرب من يدغم فيـقول (رياك) فـأجرى المخفـفة مجـرى الأصلية، ومنهم من يـكسر الراء لتناسب الياء[4].

---

(١) البحر ١/ ٢٠٧.
(٢) القرطبي ١٨/ ٢٨٧.
(٣) الحجة/ ١٤٩، الكشاف ٢/ ٢٥١، البحر ٥/ ١٥، ا لقرطبى ٨/ ٨٥.
(٤) الاملاء ٢/ ٤٩.

وفي قوله تعالى (سوأة) قال أبو حيان قرأ حفص (سوة) بقلب الهمزة (واوًا) وأدغم الواو فيها كما قالوا : شيّ في شيء، وسيّة في سيئة.

وحكى سيبـويه ذلك لغة قليلة، والوجه في تخفيف الهـمزة أن تحذف وتلقى حركتهـا على الواو قبلها فتقول (سَوَة)، ومن قـال (سوة) بالتشديد فقد أخذ بأدنى اللغتين وأضعفهما(١).

وفي (قروء) قرأ نافع بتـشديد الواو من غير همـز ووجهه أنه أبدل من الهمـزة واوا ثم أدغم واو فعـول فيهـا وهو تسهيل جـائز منقاس ومـثلها (السوّ) في (السوء) عند من أدغم(٢).

وفى قوله تعالى (أنبهم) قال ابن جنى قرأ الحسن بحذف الهمزة بوزن (أعلمهم) أبدل الهمزة ياء ثم حذفها لصيغة الأمر وهذا ضعيف في اللغة، على حين يراه أبو حيان جائزا دون ضعف ولا ضرورة(٣).

وفي (سأل) لغتان الهـمز، والتخفيف، وحذف الهمـزة لغة الحجاز، وإثباتها لبـعض تميم، وروى اليزيدى عن أبى عمـرو أن لغة قريش (سل) في الأمر(٤).

---

(١) البحر ٤/ ٢٧٩، المحتسب ١/ ٢٤٣.
(٢) البحر ٧/ ١٦٤، الكرمانى / ١٧٥.
(٣) المحتسب ١/ ٦٦، البحر ١/ ١٤٩.
(٤) البحر ٢/ ١٢٦.

وفي قوله تعالى (لاحدى الكبر) قرأ ابن كثير وغيره (لحدى الكبر) قال ابن جنى: حذفت الهمزة اعتباطا وتعجرفا. وقد جاء نظيره في الشعر، وهو ضعيف في القياس وإن فشا في بعض الاستعمال(١).

وفي قوله تعالى (مكاء، وفداء) ذكر أبو حيان أن أبا عمرو قرأ فيما روى عنه (مكا، فدا) بالقصر والتنوين وقال أبو حاتم لا يجوز قصر (فدا) لأنه مصدر (فاديته)، قال أبو حيان وانكاره ليس بشيء فقد حكى الفراء فيه أربع لغات(٢).

وخلاصة ما جرى عليه الموجهون في تفسير هذه الظواهر أن بعضها من صور الإبدال وبعضها لغة، وكلمة (بدل) توحى بأن الصورتين المهموزة والمخففة على مستوى لغوى واحد، وأن أحدى الصورتين فرع عن الأخرى نتيجة ارتباطات صوتية بين البدل والمبدل منه. وهذا غير صحيح لفقدان العلاقة الصوتية بين الهمزة والأصوات المبدلة منها في هذه الظواهر(٣). وإذا انتفى البدل لم يبق إلا التخفيف وهو لغة.

وتشير النصوص المعجمية والروايات الأدبية، والقراءات المنسوبة إلى أن أهل تحقيق الهمزة هم بنو تميم، جاء في الجمهرة أن بنى تميم يهمزون أحرفا نحو: الفأس، والرأس و الكأس(٤).

---

(١) المحتسب ١/ ١٢٠.

(٢) البحر ٤/ ٤٩٢، القرطبى ١١/ ٢٣٣.

(٣) راجع (في التحليل الصوتى للهمزة وحروف اللين) علم اللغة د. السعران / ١٧٠، ١٧١، علم اللغة العام (قسم الاصوات) د . كمال بشر / ١٠٦، ١٠٨.

(٤) الجمهرة ٣/ ٢٩٣.

وجاء في المخصص عن الفارسى أن تميما تهمز (المئشار) وغيرهم لا يهمز[1].

وقال يونس في نوادره : بنو تميم يقولون : جؤنة بالهمز وغيرهم لا يهمز، وعزيت كلمة (جبرائيل) إلى تميم، ويقولون : سؤرة بالهمزة، وغيرهم سورة بدون همز، ويقولون اسأل ربك، وغيرهم :سل ربك[2].

وإذا كانت تميم تعنى القاعدة الكبرى للبداوة في وسط الجزيرة وشرقيها فمن المقبول أن يذكر الفراء : يأجوج، ومأجوج بالهمز لغة بنى أسد، ويقول أبو الفضل ـ وهو أعرابى من بنى سلامة من أسد (الضنء) بالهمز، ويعزو أبو حيان (يؤنس) إلى بنى أسد، وهم من المجموعة البدوية الشرقية ونسبة الهمز إليها تنسجم مع ما عرف عنها من خصائص وعادات، وهى تصلح قياسا لغيرها من قبائل البادية التي لم .نأت على ذكرها.

كما جاءت نصوص أخرى تشير إلى بعض القبائل التى اشتهرت بالتخفيف منها في كلام أبى زيد : أهل الحجاز، وهذيل، وأهل مكة، والمدينة لا ينبرون[3]. وتؤكد الروايات المنسوبة هذه الحقيقة، ففى نوادر يونس : أهل الحجار يقولون: جونة، وتميم جؤنة، وجبريل وميكال بدون همز لغة أهل الحجاز،[4]. وروى صاحب الإتحاف أن (منساته) بدون همز

(١) المخصص ١٣/ ٢٨٧.
(٢) المزهر ٢/ ١٧٦، الاتحاف / ١٤٤.
(٣) اللسان ١/ ٢٢.
(٤) المزهر٢/ ١٧٦، الاتحاف / ١٤٤.

لغة أهل الحجاز، وقريش تقول (اللاى في اللائى[1]). ويذكر ابن منظور عن الفراء أن قريشا تقول: كليت في كلأت، وكل حسن، وقال أبو عمر الهذلى: توضيت فلم يهمز، والتخفيف لغة هذيل[2].

وهذه القبائل من أهل التخفيف كانت متحضرة تسكن مناطق الحجاز غربى الجزيرة، والتخفيف أنسب لها لما عرف عنها من الرقة والتؤدة، والتأتى. وهم لا يسيغون الهمزة لشدتها فيسقطونها ويستعيضون عنها بشكل آخر من أشكال النبر، كطول الصوت، أو التضعيف[3].

*　*　*

---

(١) البحر ٧/ ٢١١، الاتحاف / ٣٥٨.

(٢) اللسان ٢٠/ ٩٤، ١/ ١٤.

(٣) راجع (في آشكال النبر) القرآءات القرآنية في ضوءعلم اللغة: د. عبد الصبور شاهين / ٢٦،٣٦،١٠٩.

قراءات مختلفة الحركات

ظواهر التغيرات في (فاء) الكلمة

المجموعة الأولى : بين الكسر والضم

﴿ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوب﴾ ٥/ ١٠٩

ـ قرأ الجمهور (الغيوب) بضم الغين[1].

ـ قرأ حمزة والكسائى وأبو بكر (الغيوب) بكسر الغين

﴿ في جنَّات وَعُيُون﴾ ١٥/ ٤٥

ـ قرأ نافع وأبو عمرو وحفص (وعيون) بضم العين

ـ قرأ باقى السبعة (وعيون) بكسر العين[2].

﴿ بخُمُرِهنَّ عَلىَ جُيُوبِهنَّ﴾ ٢٤/ ٣١

ـ قرأ نافع وأبو عمرو وعاصم وحفص (جيوبهن) بضم الجيم

ـ قرأ باقى السبعة وبعض الكوفيين (جيوبهن) بكسر الجيم[3].

---

(١) البحر ٤/ ٥٠، القرطبى ٦/ ٦١.

(٢) البحر ٥/ ٣٥٦، القرطبى ١٠/ ٣٢.

(٣) البحر ٦/ ٢٤٨، القرطبى ١٢/ ٢٣٠

﴿ ثُمَّ لِتكونوا شيوخًا ﴾ ٤٠/ ٦٧

- قرأ نافع وأبو عمرو وحفصَ (شيوخا) بضم الشين.
- قرأ باقي السبعة (شيوخا) بكسر الشين[١].

﴿ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ ﴾ ١٧/ ٣٥

- قرأ حمزة والكسائى وحفصَ (بالقسطاس) بكسر القاف.
- قرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر (بالقسطاس) بضم القاف[٢].

﴿خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ ١٩/ ٥٨

- قرأ الجمهور (وبكيا) بضم الباء
- قرأ حمزة والكسائى (وبكيا) بكسر الباء [٣].

﴿ حول جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ ١٩/ ٧٢

- قرأ الجمهور (جثيا) بضم الجيم
- قرأ حمزة والكسائي وحفص (جثيا) بكسر الجيم[٤].

---

(١) القرطبى ١٥/ ٣٣٠.
(٢) البحر ٦/ ٣٤.
(٣) البحر ٦/ ٢٠٠.
(٤) البحر ٦/ ٢٠٨، القرطبى ١١/ ١٣٣.

﴿ إنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ ٢٠/ ١٢

- قرأ الكوفيون وابن عامر وحفص (طَوى) بضم الطاء
- قرأ الباقون (طوى) بكسر الطاء[1].

﴿ نَحْنُ وَلا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ﴾ ٢٠/ ٥٨

- قرأ ابن عامر وحمزة وحفص (سوى) بضم السين
- قرأ باقى السبعة (سوي) بكسر السين[2].

﴿ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾ ٢٣/ ١١٠

- قرأ الجمهور (سخريا) بضم السين
- قرأ ابن عامر ومجاهد وغيرهما (سخريا) بكسر السين[3].

﴿ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ ٣٣/ ٢١، ٦٠/ ٤

- قرأ عاصم وحفص (أسوة) بضم الهمزة
- قرأ الجمهور (أسوة) بكسر الهمزة[4].

---

(١) البحر ٦/ ٢٣١، القرطبى ١١/ ١٧٥.
(٢) البحر ٦/ ٢٥٣، القرطبى ١١/ ٢١٢.
(٣) البحر ٦/ ٤٢٣، القرطبى ١٢/ ١٥٤.
(٤) البحر ٨/ ٢٥٤، القرطبى ١٨/ ٥٦.

﴿ شُوَاظٌ مِن نَّارٍ ﴾ ٥٥/ ٣٥

ـ قرأ الجمهور (شواظ) بضم الشين
ـ قرأ ابن كثير وغيره (شواظ) بكسر الشين[١].

﴿ فلأمه الثُّلُثُ ﴾ ٤/ ١١

ـ قرأ الجمهور (فلأمه) بضم الهمزة
ـ قرأ حمزة والكسائى وأهل الكوفة (فلأمه) بكسر الهمزة[٢].

المجموعة الثانية: بين الكسر والفتح

﴿ ولله عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ﴾ ٣/ ٩٧
ـ قرأ الجمهور (حج) بفتح الحاء
ـ قرأ حمزة والكسائى وحفص (حج) بكسر الحاء[٣].

---

(١)البحر ٨/ ١٩٥، القرطبى ١٧/ ١٧٢.
(٢) البحر ٣/ ١٨٤، القرطبى ٥/ ٧٢.
(٣) البحر ٢/ ٦٢.

﴿ ادْخُلُوا في السِّلْمِ كَافَّةً ﴾ ٢/٢٠٨
- قرأ الجمهور (السلم) بكسر السين
- قرأ نافع وابن كثير والكسائيُ (السلم) بفتح السين[1].

﴿ حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا﴾ ٧/ ١٨٩
- قرأ الجمهور (حملا) بفتح الحاء
- قرأ حماد بن سلمة عن ابن كثير (حملا) بكسر الحاء[2].

﴿ كان خطئًا كَبيراً ﴾ ١٧/ ٣١
- قرأ الجمهور (خطئا) بكسر الخاء
- قرأ ابن عامر (خطأ) بفتح الخاء[3].

﴿ وَازْدَادُوا تسْعًا﴾ ١٨/ ٢٥
- قرأ الجمهور (تسعا) بكسر التاء
- قرأ أبو عمرو في رواية والحسن (تسعا) بفتح التاء[4].

---

(١) البحر ٢/ ١٢٠، القرطبى ٣/٢٣.
(٢) البحر ٤/ ٤٣٩.
(٣) البحر ٦/ ٣٢
(٤) البحر ٦/ ١١٧، القرطبى ١٠/ ٣٨٧.

﴿وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًا﴾ ١٩/ ٢٣

ـ قرأ حفص وحمزة (نسيا) بفتح النون
ـ قرأ جمهور السبعة (نسيا) بكسر النون[١].

﴿ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴾ ٨٩/ ٣

ـ قرأ الكسائى وحمزة (الوتر) بكسر الواو
ـ قرأ الباقون وحفص (الوتر) بفتح الواو[٢].

﴿ وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِه ﴾ ٦/ ١٤١
ـ قرأ أبو عمرو، وابن عامر، وعاصم وحفص (حصاده) بفتح الحاء
ـ قرأ الباقون (حصاده) بكسر الحاء[٣].

﴿ مَالَكُمْ مِن وَلَايَتِهِمْ ﴾ ٨/ ٧٢
ـ قرأ الجمهوو (ولا يتهم) بفتح الواو
ـ قرأ حمزة وآخرون (ولا يتهم) بكسر الواو[٤].

---

(١) البحر ٦/ ١٨٣.
(٢) البحر ٨/ ٤٦٧.
(٣) البحر ٤/ ٢٣٤، القرطبى ٧/ ١٠٤.
(٤) البحر ٤/ ٥٢٢، القرطبى ٨/ ٥٦.

﴿وَزُلْزِلُوا زِلْزَالا شَدِيدًا﴾ ٣٣/ ١١

ـ قرأ الجمهور (زِلزالا) بكسر الزاى

ـ قرأ عاصم (زلزالا) بفتح الزاى[1].

﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ ﴾١٩/ ٢٣

ـ قرأ الجمهور (المخاض) بفتح الميم

ـ قرأ ابن كثير (المخاض) بكسر الميم[2].

﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ ﴾ ٢٢/ ١٩

قرأ الجمهور (خصمان) بفتح الخاء

ـ قرأ أبو زيد عن الكسائى (خصمان) بكسر الخاء[3].

﴿ من طور سيناء ﴾ ٢٣/ ١٠

ـ قرأ الكوفيون وحفص (سيناء) بفتح السين

ـ قرأ الحرميان وأبو عمرو(سينا) بكسر السين[4].

---

(١) البحر ٧/ ٢١٧، القرطبى ١٤/ ١٤٧.

(٢) البحر ٦/ ١٨٢، القرطبى ١١/ ٩٢.

(٣) البحر ٦/ ٣٦٠.

(٤) البحر ٦/ ٤٠١، القرطبى ١٢/ ١١٥.

﴿ حَمَلَتْهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴾ ٤٦/ ١٥

- قرأ الكوفيون (كرها) بضم الكاف
- قرأ الجمهور (كرها) بفتح الكاف[١].

﴿ إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً ﴾ ٢/ ٢٤٩

- قرأ الحرميان وأبو عمرو (غرفة) بفتح الغين
- قرأ الباقون وحفص (غرفة) بضم الغين[٢].

﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ ﴾ ٣/ ١٣٠

- قرأ الجمهور (قرح) بفتح القاف
- قرأ الأخوان وأبو بكر (قرح) بضم القاف[٣].

﴿ إِنَّنِى بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ ٤٣/ ٢٦

- قرأ الجمهور (براء) بفتح الباء
- قرأ نافع وأبو جعفر (براء) بضم الباء[٤].

---

(١) البحر ٨/ ٦٠، القرطبى ١٦/ ١٩٣.
(٢) البحر ٢/ ٢٦٥، ا لقرطبى ٣/ ٢٥٣.
(٣) البحر ٣/ ٦٢، القرطبى ٤/ ٢١٧.
(٤) البحر ٨/ ١١.

﴿مَالَها مِنْ فَوَاقٍ﴾ ٣٨/ ١٥

- قرأ الجمهور (فواق) بفتح الفاء
- قرأ حمزة والكسائى والسلمى (فواق) بضم الفاء[1].

﴿ هَذَا لله بِزَعْمِهِمْ ﴾ ٦/ ١٣٦

- قرأ الجمهور (بزعمهم) بفتح الزاى
- قرأ الكسائى وغيره (بزعمهم) بضم الزاى[2].

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا في الزَّبُورِ﴾ ١٢/ ١٠٥، ٤/ ١٦٣

- قرأ الجمهور (الزبور) بفتح الزاى
- قرأ حمزة (الزبور) بضم الزاى[3].

﴿وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴾ ٨/ ٦٦

- قرأ حمزة وعاصم وحفص (ضعفا) بفتح الضاد
- قرأ الحرميان وابن القعقاع (ضعفا) بضم الضاد[4].

---

(١) البحر ٧/ ٣٨٩، القرطبى ١٥/ ١٥٦.
(٢) البحر ٤/ ٢٢٧، القرطبى ٧/ ٩٠.
(٣) البحر ٣/ ٣٩٧، القرطبى ١١/ ٣٤٩.
(٤) البحر ٨/ ٥١٨.

﴿ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ ﴾ ٢/ ٢٦٥

- قرأ عاصم وابن عامر وحفص (بربوة) بفتح الراء
- قرأ ابن كثير وحمزة ونافع والباقون (بربوة) بضم الراء
- قرأ غير السبعة (بربوة) بكسر الراء[١].

﴿ قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ ﴾ ٦/ ٩٩

- قرأ الجمهور (قنوان) بكسر القاف
- قرأ أبو عمرو (قنوان) بضم القاف
- قرأ الآخرون غير السبعة (قنوان) بفتح القاف [٢].

﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا ﴾ ٨/ ٤٢

- قرأ جمهور السبعة (بالعدوة) بضم العين
- قرأ ابن كثير وأبو عمرو (بالعدوة) بكسر العين
- قرأ غير السبعة (بالعدوة) بفتح العين[٣].

---

(١) البحر ٢/ ٣١٢، القرطبي ٣/٣١٦.
(٢) البحر ٤/ ١٨٤، القرطبي ٧/ ٤٨.
(٣) البحر ٤/ ٤٩٩، القرطبي ٨/ ٢١.

﴿ وَلْيَجِدوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ ٩/ ١٢٣

ـ قرأ الجمهور من السبعة (غِلظة) بكسر الغين

ـ قرأ عاصم وغيره (غلظة) بضم الغين

ـ قرأ غير السبعة (غلظة) بفتح الغين[1].

﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الكِبَرِ عِتيًا﴾ ١٩/ ٨

ـ قرأ حمزة والكسائى وحفص (عتيا) بكسر العين

ـ قرأ باقى السبعة (عتيا) بعضم العين

ـ قرأ غير السبعة عن ابن مسعود (عتيا) بفتح العين[2].

﴿ما أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا﴾ ٢٠/ ٨٧

ـ قرأ نافع وعاصم وحفص (بملكنا) بفتح الميم

ـ قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر (بملكنا) بكسر الميم

ـ قرأ حمزة والكسائي (بملكنا) بضم الميم[3].

﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إلا كَبِيرًا لَهُمْ ﴾ ٢١/ ٥٨

ـ قرأ الجمهور (جذاذا) بضم الجيم.

ـ قرأ الكسائى (جذاذا) بكسر الجيم

ـ قرأ من غير السبعة (جذاذا) بفتح الجيم[4].

---

(١) البحر ٥/ ١١٥، القرطبى ٨/ ٢٩٨.

(٢) البحر ٦/ ١٧٥، القرطبى ١١/ ٨٣.

(٣) البحر ٦/ ٢٦٨، القرطبى ١١/ ٢٣٤.

(٤) البحر ٦/ ٣٢٢، القرطبى ١١/ ٢٩٨.

﴿ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ ﴾ ٢٦/ ١٥٥

- قرأ الجمهور (شرب) بكسر الشين
- قرأ ابن أبى عبلة (شرب) بضم الشين.
- قرأ أبو عمرو الكسائى (شرب) بفتح الشين[1].

﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الهِيمِ ﴾ ٥٦/ ٥٥

- قرأ نافع وعاصم وحمزة وحفص (شرب) بضم الشين.
- قرأ مجاهد وأبو عثمان النهدى (شرب) بكسر الشين.
- قرأ باقى السبعة والأعرج (شرب) بفتح الشين[2].

﴿ حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ﴾ ٢٨/ ٢٣

- قرأ الجمهور (الرعاء) بكسر الراء
- قرأ عياش عن أبى عمرو (الرعاء) بفتح الراء
- قرأ آخرون (الرعاء) بضم الراء[3].

﴿أَوْ جَذْوَة مِنَ النَّار﴾ ٢٨/ ٢٩

- قرأ الجمهور (جذوة) بكسر الجيم
- قرأ حمزة (جذوة) بضم الجيم
- قرأ عاصم وحفص (جذوة) بفتح الجيم[4].

---

(١) البحر/٧/ ٣٥، القرطبى ١٣/ ١٣١.
(٢) البحر ٨/ ٢١٠، القرطبى ١٧/ ٢١٤.
(٣) البحر ٧/ ١١٣.
(٤) البحر ٧/ ١١٦، القرطبى ١٣/ ٢٨١.

الدراسة اللهجية المقارنة

المجموعة الأولى:

في قوله تعالى (الغيوب، وعيون، وجيوبهن، وشيوخا) قال أبو البقاء يقـرأ بضم أوائلها وهو الأصل في الجـمع على (فعـول) ليشـاكل ضـمة الثانى، ويقرأ بالكسر ليشاكل الياء، والكسرة والياء من جنس واحد[1].

وفي قـوله تعالى (القـسطاس) قال الزمـخشـرى قرىء بضم الـقاف وكسـرها والضم والكسر عند أبى البـقاء وابن خالويـه لغتان فـصيحـتان والضم أكثر ومعناه الميزان[2].

وفى قوله تعالى (سوى) ذكر القرطبى أن ابن عامر، وحمزة وعاصم قرءوا بالضم والتنوين، وقرأ البـاقون بالكسر وهما لغتـان مثل عدى طوى واختار أبو عبيد وأبو حاتم الكسر وهى اللغة العالية[3].

وفي قوله تـعالى (سخـريا) ذكر القـرطبى عن النحاس أن أبا عـمرو يفرق بين المكسـور والمضموم، فالمكسـور من جهة الهزء، والمضـموم من جهـة السخرة، على حين لا يفـرق بينهما الخـليل، وسيبـويه، والكسائي والفراء، فقال الكسائى: هما لغتان بمعنى واحد[4].

---

(١) الاملاء ١/ ٨٤.

(٢) الكشاف ٢/ ٦٦٥، الاملاء٢/ ٩١، الحجة / ١٩٢.

(٣) القرطبى ١١/ ٢١٢.

(٤) القرطبى ١٢/ ١٥٤.

وفى قوله تعـالى (أسوة) قال ابن خـالويه يقرأ بالكسـر والضم وهما لغتان كما قالوا في رشوة بهما وهى اسم للتأسى، وقال الجوهرى الأسوة بالضم والكسر لغتان، والجمع فيهما اسى[1].

وفى قوله تعـالى (شواظ) قال القرطبـى : قرأ ابن كثيـر بكسر الشين وقرأ الباقون بالضم وهما لغتان[2].

وفي قوله تعالى (فـلأمه) قال القرطبى قرأ أهل الكوفة بكسـر الهمزة والميم وهو لغـة حكـاها سـيـبويـه. وقـال الكسـائي وهى لغـة هوازان وهذيل[3].

المجموعة الثانية:

في قوله تعالى: (حج) ذكر أبو حيان أن الـكسر والفتح لغتان والكسر لغة نجد ، والفتح لغة أهل العالية[4].

وفى قوله تعالى (السلم) نقل القرطـبى عن الكسائى أن الكسر والفتح بمعنى واحد ويقـعان للإسلام والمسـالمة، وأبو عمرو يفـرق بينهما فـالكسر

(١) الحجة / ٢٦٤.
(٢) القرطبى ١٧/ ١٧٢.
(٣) القرطبى ٥/ ٧٢.
(٤) البحر ٢/ ٦٢.

للإسلام، والفتح للمسالة، وأنكر المبرد هذه التفرقة فإن اللغة لا تؤخذ هكذا، وإنما بالسماع، ويحتاج مَنْ فَرّق إلى دليل(١).

وفي قوله تعالى (نسيا) ذكر الزمخشرى أن الفتح والكسر لغتان (كالوتر) وهو قول الفراء والفتح أحب اللغتين إليه، وعند الفارسى الكسر أعلى اللغتين(٢).

وفي (الوتر) قال القرطبى بالكسر والفتح على معنى واحد. ونقل عن الصحاح: بالكسر للفرد، وبالفتح للحقد والضغينة، وهذه لغة أهل العالية، أماأهل الحجاز فبالضد منهم، وأما بنو تميم فبالكسر فيهما(٣).

ونقل أبو حيان أن (الوتر) بالفتح لغة قريش، وبالكسر لغة بنى تميم واللغتان في الوتر بمعنى الفرد، فأما في الحقد فالكسر لا غير، وحكى الأصمعى فيه اللغتين(٤).

وفي قوله تعالى (حصاده) ذكر أبو حيان عن الفراء أن الكسر لغة أهل الحجاز والفتح لأهل نجد، وتميم(٥).

---

(١) القرطبى ٣/ ٢٢، ٢٣.
(٢) الكشاف ٣/ ١٢، البحر٦/ ١٨٣.
(٣) القرطبى ٢٠/ ٤١.
(٤) البحر ٨/ ٤٦٧.
(٥) البحر ٤/ ٢٣٤.

وفي قوله تعالى (ولا يتهم) ذكر أبو حيان أن بعض السبعة قرأ بالكسر، وقرأ جمهورهم بالفتح وهما كما قال الأخفش لغتان، ولحن الأصمعى الأخفش في قراءة الكسر، قال أبو حيان: ولا وجه للأصمعى في ذلك فهى قراءة متواترة [1].

المجموعة الثالثة:

وفي وقوله تعالى (كرها) قرىء بالضم والفتح على معنى واحد كالضعف بالضم والفتح، وهما لغتان، وقيل بالضم للمشقة، وبالفتح للقهر والغلبة، ولم يستحسن أبو حاتم هنا قراءة الفتح، ورده أبو حيان إذ أن القراءه متواترة وشأن أبى حاتم الطعن في القراءات بما لا علم له به[2].

وفى (قرح) الفتح و الضم بمعنى الجراح، وعن الفراء بالضم ألم الجراح، وعن الكسائى والأخفش هما لغتان بمعنى الجرح؛ وذكر أبو حيان أن الفتح كالكره والضعف ـ لغة أهل الحجاز، ومَنْ فَرّق بينهما يحتاج إلى دليل[3].

وفي قوله تعالى (بزعمهم) ذكر أبو حيان عن الكسائى أنه قرىء بالضم وهى لغة بنى أسد، وقرىء بالفتح وهى لغة أهل الحجاز وحكيت فيه لغة أخرى لبعض قيس وتميم بكسر الزاى وذكر أبو حيان أنه لم يقرأ بها[4].

---

(١) البحر ٤/ ٥٢٢.

(٢) البحر ٨/ ٦٠.

(٣) القرطبى ٤/٢١٧، البحر ٣/٥٦.

(٤) البحر ٤/ ٢٢٧.

المجموعة الرابعة :

في قوله تعالى (العدوة) قال ابن جنى قرىء بالضم والكسر وفيها لغة ثالثة وهي الفتح ونظائرها (غشوة، ربوة، غلظة) وعن اليزيدى بأن الكسر لغة أهل الحجاز[1].

أما (غلظة) فقال أبو حيان قرأ الجمهور بالكسر وهى لغة بنى أسد، وقرأ الأعمش وغيره بالفتح وهي لغة أهل الحجاز وقرأ أبو حيوة وغيره بالضم على لغة بنى تميم. هذا ونقل القرطبى أن الكسر لغة أهل الحجاز وبنى أسد والضم لغة بنى تميم[2].

وفى قوله تعالى (جذاذا) ذكر ابن جنى عن أبى حاتم أن فيها ثلاث لغات الكسر والضم والفتح وأجودها الضم، وقرأ الكسائى والأعمش وابن محيصن بالكسر، وقرأ الباقون بالضم، وقرأ ابن عباس وغيره بالفتح، وعن أبى حاتم اللغات الثلاث بمعنى واحد حكاه قطرب[3].

وفي (الرعاء) قال أبو حيان قرأ الجمهور بالكسر جمع راع، وعن الزمخشرى (الرعاء) بالكسر قياس مثل صيام وقيام، وينكر أبو حيان هذا القول، وقرىء (الرعاء) بالضم وهو اسم للجمع. وقرأ عياش عن أبى

---

(١) المحتسب ١/ ٢٨٠، البحر ٤/٤٩٩.
(٢) البحر ٥/ ١١٥، القرطبى ٨/٢٩٨.
(٣) المحتسب ٢/ ٦٤.

عمـرو بفتح الراء وهو مصـدر أقيم مقـام الصفة فاسـتوى لفظ الجمـاعة والواحد، وقد يجوز أنه حذف منه المضاف[1].

من خلال هذا العرض تبين لنا أن اختلاف الحركات في تلك القراءات من تباين اللهجات. وقد جاء بعضها معزوا إلى قبائله وبعضها مسكوتا عنه واكتفى الموجهون بالتنبيه على أنه لغة و بَدَهِيّ أن نقيس المسكوت عنه على المعزو في الظواهر المتشابهة إذا تأكدت لدينا صـحة النسبة ولن نهتدى إلى ذلك إلا في ضوء مـا انتهى إليه عـلماء اللهجـات من خصائص لهـجات البدو والحضر.

وخلاصة ذلك أن البدو يصدرون في أدائهم اللغوى بوجه عام عن ميل إلى الانسجام الصوتى بأشكاله المختلفة بين الصوامت، أو بين الصوائت، أو بين الصوامت والصـوائت، توفيرا للجهد العـضلى في الأداء، ويصدر الحضر في أدائهم اللغـوى بوجه عام عن ميل إلى تحقيق جـميع الأصوات وإعطائها حقها من النغم نتيجة التأنى والتؤدة في النطق.

وإذا تجرد الموقف للأداء بعيدا عن مطلب الانسـجام فإن البدو يؤثرون من الأصوات الأشـد الأفخم، اتسـاقا مع مـقتضـيات البـيئة الـبدوية في السلوك والعادات، على حين يميل أهل الحضر إلى الأخف الأرق.

فعندمـا تكون الضمة قـسيما للكسـرة في الموقف المتجرد، فـإن البدو يؤثرون الضمـة، ويؤثر أهل الحضر الكسـرة لما فيهـا من رقة جعلتـها في

---

(١) البحر ٧/ ١١٣، الكشاف ٣/ ٤٠١.

معظم البيئات اللغوية حركة المؤنث، وفي التأنيث رقة الجنس وضعف الأنوثة.

ويؤنسنا في ذلك ما اشتهر عن أهل الحضر في البيئة الحجازية من ميل إلى تأنيث أسماء يؤثر أهل البادية تذكيرها من ذلك قول أهل الحجاز، هى التمر، هى البر، هى الشعير، هى الذهب، هى البسر، وتميم تذكر هذا كله[1].

وعندما تكون الفتحة قسيما للكسرة أو الضمة فإن أهل البادية قد يؤثرون أشد القسمين[2].

هذا ما أكدته الدراسات اللغوية قديما وحديثا وأيدته النصوص المعجمية والقراءات المروية المنسوبة إلى أصحابها، من ذلك : (رضوان) بالضم لتميم وبكروقيس، والكسر للحجازيين [3] و(الرِجز) بالكسر لقريش، وبالضم لغة بنى الصعدات و (مرية) ذكر اليزيدى أن الكسر لغة أهل الحجاز، و(أسوة) بالضم لغة قيس وتميم، وبالكسر لغة الحجازيين و(سخريا) بالكسر لغة قريش، وبالضمة لغة بنى تميم. وذكر السيوطى: (أسوة وقدوة)بالضم لغة تميم وبالكسر لغة أهل الحجاز[4].

---

(١) المزهر ٢/ ٢٧٧.

(٢) راجع اللهجات العربية :د. أنيس / ٨٠ ـ ٨٢.

(٣) البحر ٢/ ٣٩٨.

(٤) المزهر ٢/ ٢٧٦، ٢٧٧.

ومما جاء منسوبا في ضوء هذا القانون الصوتى (الوَتر) بالفتح لأهل الحجاز، وبالكسر لتميم. وفي ضوء قانون الانسجام جاء (حَصَاده) بالفتح لغة أهل البادية وهم تميم لانسجام الحركات، وبالكسر لغة أهل الحجاز.

وبين الفتح والضم جاء أشد القسيمين وهو الضم لأهل البادية، في (قرح) الفتح لأهل الحجاز والضم لتميم، و(زعم) الضم لبنى أسد، والفتح لأهل الحجاز.

وفي (القراءات المثلثة الفاء) جاء منسوبا (ربيون) بالضم لبنى تميم[١]، (قنوان) بالضم لغة قريش، والكسر لأهل الحجاز [٢]و (صنوان) الضم لتميم، والكسر لأهل الحجاز[٣]، (العدوة) الكسر لأهل الحجاز، والضم لقيس[٤]، و(غلظة) الكسر لأسد، والفتح لأهل الحجاز، و الضم لتميم[٥]. ومابقى غير منسوب من الحركات الثلاث فإن القوانين الصوتية السابقة تظل صالحة للتطبيق بعامة كلما كانت الصيغ تتسم بالتوافق الحركى (كالرِّعاء وجَذَاذا) بالفتح فهى لأهل البادية وما وراء ذلك فيكون الضم للبدو، والكسر للحضر، والفتح أدنى إلى أهل الحضر منه إلى أهل البادية.

---

(١) البحر ٣/ ٧٤، المحتسب ١/ ١٧٤.
(٢) القرطبى ٧/ ٤٨.
(٣) البحر ٥/ ٣٥٧، ٣٦٣.
(٤) المصباح المنير ٢/ ٦٠٧.
(٥) البحر ٥/ ١١٥.

قراءات بين التحريك والتسكين

المجموعة الأولى: تحريك الساكن

﴿ مَنَ الرَّهْبِ ﴾ ٢٨/ ٣٢

- قرأ حفص وابن أبى إسحاق (الرهب) بسكون الهاء
- قرأ الحرميان وأبو عمرو (الرهب) بفتح الهاء[١].

﴿رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ ٢١/ ٩٠

- قرأ الأعمش عن أبى عمرو (رغبا ورهبا) بسكون الغين والهاء
- قرأ الجمهور (رغبا ورهبا) بفتح الغين والهاء[٢].

﴿ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ ﴾ ٣١/ ١٤

- قرأ الجمهور (وهنا ـ وهن) بسكون الهاء
- قرأ أبو عمرو (وهنا ـ وهن) بفتح الهاء[٣].

---

(١) البحر ٧/ ١١٨.
(٢) البحر ٦/ ٣٣٦.
(٣) البحر ٧/ ١٨٧.

﴿تبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ ١/١١١

ـ قرأ ابن كثير وابن محيصن (لهب) بسكون الهاء

ـ قرأ الجمهور (لهب) بفتح الهاء[١].

﴿ وَلاَ تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ ﴾ ٢/٢٤

ـ قرأ جمهور السبعة (رأفة) بسكون الهمزة

ـ قرأ ابن كثير (رأفة) بفتح الهمزة[٢].

﴿وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ ﴾ ٦/ ١٤٣

ـ قرأ جمهور السبعة (المعز) بسكون العين

ـ قرأ الابنان وأبو عمرو (المعز) بفتح العين[٣].

﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ ﴾ ١٦/ ٨٥

ـ قرأ جمهور السبعة (ظعنكم) بسكون العين

ـ قرأ الحرميان وأبو عمرو (ظعنكم) بفتح العين[٤].

﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ﴾ ٤/ ٣٧

قرأ حمزة والكسائي (بالبخل) بفتح الباء والخاء

ـ قرأ آخرون من غير السبعة (بالبخل) بفتح الباء وسكون الخاء[٥].

---

(١) البحر ٨/ ٥٢٥.
(٢) البحر ٦/ ٤٢٩.
(٣) البحر ٤/ ٢٣٩.
(٤) البحر ٥/ ٥٢٣.
(٥) البحر ٣/ ٢٤٦.

﴿أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ ٤٨/ ٢٩

- قرأ جمهور السبعة (شطأه) بسكون الطاء
- قرأ ابن كثير (شطأه) بفتح الطاء[١].

﴿شَنَآنُ قَوْمٍ﴾ ٥/ ٢

- قرأ ابن عامر وأبو بكر (شنآن) بسكون النون
- قرأ النحويان وابن كثير وحفص (شنآن) بفتح النون[٢].

﴿فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ﴾ ٤/ ١٥٤

- قرأ جمهور السبعة (الدرك) بسكون الراء
- قرأ العربيان والحرميان (الدرك) بفتح الراء[٣].

﴿سَبِيلَ الرُّشْدِ﴾ ٧/ ١٤٦

- قرأ أهل المدينة والبصرة (الرشد) بضم الراء وسكون الشين
- قرأ ابن عامر والأخوان (الرشد) بضمهما، وفتحهما[٤].

﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ ١٨/ ٤٤

- قرأ حمزة وحفص (عقبا) بسكون القاف
- قرأ باقي السبعة (عقبا) بضم القاف[٥].

---

(١) البحر ٨/ ١٠٢.
(٢) البحر ٣/ ٤٢٢.
(٣) البحر ٣/ ٣٨٠.
(٤) البحر ٤/ ٣٩٠.
(٥) البحر ٦/ ١٣١.

﴿ مَالَمْ تُحطْ بِهِ خُبْرا﴾ ١٨/ ٦٨

- قرأ جمهور السبعة (خبرا) بسكون الباء

- قرأ أبو عمرو وآخرون (خبرا) بضم الباء[١].

﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ ١٨/ ٧٤، ٨٧

- قرأ جمهور السبعة (نكرا) بسكون الكاف

- قرأ نافع وابن ذكوان (نكرا) بضم الكاف[٢].

﴿ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ ٣٨/ ٤١

- قرأ الجمهور (بنصب) بضم النون وسكون الصاد

- قرأ نافع وأبو جعفر (بنصب)بضم النون والصاد[٣].

﴿ فَسُحْقًا لأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ ٦٧/ ١١

- قرأ الجمهور (فسحقا) بسكون الحاء

- قرأ الكسائي وأبو جعفر (فسحقا) بضم الحاء[٤].

(١) البحر ٦/١٤٨.

(٢) البحر ٦/ ١٥٠.

(٣) البحر ٧/ ٤٠٠.

(٤) البحر ٨/ ٣٠٠.

﴿ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴾ ٨٩/ ٣

- قرأ الجمهور (والوتر) بسكون التاء

- قرأ يونس عن أبى عمرو (والوتر) بكسر التاء[١].

المجموعة الثانية: تسكين المتحرك

﴿ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ ﴾ ١٨/ ١٩

- قرأ الجمهور (بورقكم) بكسر الراء

- قرأ أبو عمرو وحمزة وعاصم (بورقكم) بسكون الراء[٢].

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ ﴾ ٨٨/ ١٧

- قرأ الجمهور (الإبل) بكسر الباء

- قرأ ابن كثير (الإبل) بسكون الباء[٣].

﴿ اتتخذنا هزواً ﴾ ٢/ ٦٧

- قرأ الجمهور (هزوا) بضم الزاى

- قرأ حمزة وآخرون (هزوا) بسكون الزاي [٤].

---

(١) البحر ٨/ ٤٦٧.

(٢) البحر ٦/ ١١٠.

(٣) البحر ٨/ ٤٣٠.

(٤) البحر ١/ ٢٥٠.

﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ ٢/ ٨٧

ـ قرأ الجمهور (القدس) بضم الدال

ـ قرأابن كثير ومجاهد (القدس) بسكون الدال [١].

﴿ الأُذُنَ بالأُذُنِ﴾ ٥/ ٤٥

ـ قرأ جمهور السبعة (الأذن) بضم الذال

ـ قرأ نافع (الأذن) بسكون الذال [٢].

﴿ فَأَنَّ لله خُمُسَهُ﴾ ٨/ ٤١

ـ قرأ الجمهور (خمسه) بضم الميم

ـ قرأ عبد الوارث عن أبى عمرو (خمسه) بسكون الميم[٣].

﴿ عَلَى شَفَا جُرُفٍ﴾ ٩/ ١٠٩

ـ قرأ الجمهور (جرف) بضم الراء

ـ قرأ حمزة وأبو بكر (جرف) بسكون الراء[٤].

﴿ إِنْ هَذَا إلا خُلُقُ الأولين﴾ ٢٦/ ١٣٧

ـ قرأ الجمهور (خلق) بضم اللام

ـ قرأ الاصمعي عن نافع (خلق) بسكون اللام[٥].

---

(١) البحر ١/ ٢٩٩.
(٢) البحر ٤/ ٤٩٥.
(٣) البحر ٤/ ٤٩٩.
(٤) القرطبى ٥/ ٥٠٦.
(٥) البحر ٧/ ٣٤.

﴿ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا ﴾ ٣٢/ ١٩

ـ قرأ الجمهور (نزلا) بضم الزاى

ـ قرأ خارجة عن نافع (نزلا) بسكون الزاى[١].

﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ ﴾ ٤٠/ ٢٨

ـ قرأ الجمهور (رجل) بضم الجيم

ـ قرأ أبو عمرو (رجل) بسكون الجيم[٢].

﴿ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾ ٥٦/ ٣٧

ـ قرأ الجمهور (عربا) بضم الراء

ـ قرأ حمزة ونافع وأبو عمرو (عربا) بسكون الراء[٣].

﴿ أَوْمِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ ﴾ ٥٢/ ١٤

ـ قرأ الجمهور (جدر) بضم الراء

ـ قرأ ابن كثير وعاصم (جدر) بسكون الدال[٤].

﴿ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ ﴾ ٦٣/ ٤

ـ قرأ الجمهور (خشب) بضم الشين

ـ قرأ النحويان وابن كثير (خشب) بسكون الشين[٥].

---

(١) البحر ٧/ ٢٠٣.
(٢) البحر ٧/ ٤٦٠.
(٣) البحر ٨/ ٢٠٧.
(٤) البحر ٨/ ٢٤٩.
(٥) البحر ٨/ ٢٧٢.

﴿صُحُفًا مُنَشَّرَةً﴾ ٧٤/ ٥٢

- قرأ الجمهور (صحُفا) بضم الحاء
- قرأ أبو عمرو (صحْفا) بسكون الحاء [١]

﴿ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ ١١٢/ ٤

- قرأ جمهور السبعة (كفوا) بضم الفاء
- قرأ حمزة وحفص (كفوا) بسكون الفاء[٢].

﴿ في قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ ٢/ ١٠

- قرأ الجمهور (مرض) بفتح الراء
- قرأ أبو عمرو (مرض) بسكون الراء [٣].

﴿ عَلَى المُوسِعِ قَدَرُهُ ﴾ ٢/ ٢٣٦

- قرأ حمزة والكسائى وابن عامر وحفص (قدره) بفتح الدال
- قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو (قدره) بسكون الدال[٤].

﴿عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ ١٧/ ٩٢

- قرأ نافع وابن عامر وعاصم (كسفا) بفتح السين
- قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وابن كثير (كسفا) بسكون السسين[٥].

---

(١) البحر ٨/ ٣٨١.
(٢) البحر ٨/ ٥٢٨.
(٣) البحر ١/ ٥٨.
(٤) البحر ٢/ ٢٣٣.
(٥) البحر ٦/ ٧٩.

﴿ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ ﴾ ٢/ ٥٤

ـ قرأ الجمهور (بارئكم) بكسر الهمزة

ـ قرأ أبو عمرو (بارئكم) بسكون الهمزة[١].

﴿ إِنَّ الله يَأْمُرُكُمْ ﴾ ٢/ ٦٧

ـ قرأ الجمهور (يأمركم) بضم الراء

ـ قرأ أبو عمرو (يأمركم) بسكون الراء[٢].

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ٢/ ٢٩

ـ قرأ الجمهور (وهو) بضم الهاء

ـ قرأ أبو عمرو والكسائى ونافع (وهو) بسكون الهاء[٣].

* * *

---

(١) البحر ١/ ٢٠٦.

(٢) البحر ١/ ٢٤٩.

(٣) البحر ١/ ١٣٦.

المجموعة الأولى : تحريك الساكن

في قوله تعالى (الرهب) قال ابن خالويه يقرأ بضم الراء، وفتحها، وبفتح الهاء وسكونها وهن لغات، ومعناهن (الفزع)(١).

وفي قوله تعالى (وهن) قال أبو حيان قرأ أبو عمرو بفتح الهاء فاحتمل أن يكون كالشعر بسكون العين وفتحها واحتمل أن يكون مصدر (وهن)بكسر الهاء يَوْهَن وَهْنًا بفتحها في المصدر قياسا، وقرأ الجمهور بسكون الهاء(٢).

وفي قوله تعالى(أبى لهب) قال ابن خالويه يقرأ بإسكان الهاء وفتحها وهما لغتان،و الاختيار الفتح لموافقة رؤس الآى، فأما (ذات لهب) فلا خلاف في تحريكه رعاية(٣) للفاصلة.

وفي قوله تعالى(رأفة) ذكر القرطبى فيها ثلاث لغات: سكون الهمزة وفتحها، وهمزة ممدودة رآفة وكلها مصادر وأشهرها ما قرأ به الجمهور بسكون الهمزة(٤).

---

(١) الحجة / ٢٥٢.

(٢) البحر ٧/ ١٨٧.

(٣) الحجة / ٣٥٠.

(٤) القرطبى ١٢/ ١٦٦.

وفي (المعز) قال ابن خالويه يقرأ بفتح العين وإسكانها وهما لغتان، والأصل الإسكان وإنما جاز الفتح لمكان حرف الحلق[1].

وفي قوله تعالى (ظعنكم) قال أبو حيان قرىء بفتح العين وسكونها وها لغتان ـ وليس السكون بتخفيف ـ كما جاء في نحو الشعر لمكان حرف الحلق[2].

وفي قوله تعالى (بالبخل) قال أبوحيان قرأ الجمهور بضم الباء وسكون الخاء، وقرأ حمزة والكسائى بفتح الباء والخاء، وقرىء بفتح الباء وسكون الخاء وكلها لغات.. وقال الفراء: البُخل بضمتين لأسد، والبخل بضم فسكون لتميم، والبخل بفتحتين لأهل الحجاز والبخل بفتح فسكون لبكر بن وائل[3].

وفي(الدرك) قال أبو حيان: قرأ الحرميان والعربيان بفتح الراء وقرأ حمزة والكسائي بسكونها قال أبو على وهما لغتان[4].

وفي قوله تعالى (الرشد) قال القرطبى : قرأ أهل المدينة الرشد بضم الراء وسكون الشين، وقرأ أهل الكوفة بفتح الرء والشين وفرق بعض

---

(١) الحجة / ١٢٧.
(٢) البحر ٥/ ٥٢٣.
(٣) البحر ٣/ ٢٤٦.
(٤) البحر ٣/ ٣٨٠.

اللغويين بينهما في المعنى وبعضهم يذهب إلى أنهما بمعنى واحد وهما على ذلك لغتان[1].

من خـلال تعليق الموجهين على بعض هذه الـقراءات نتبـين أن لحرف الحلق اعتبـارا في هذه الظاهرة يشير إلى ذلك ابن جنى فـيقول : في هذه الظاهرة مذهبـان، أحدهما أن يحرك حرف الحلق السـاكن على أنه لغة، والثانى أن يحرك بالفتح قياسا وإن لم يُسْمَع. . والأول مذهب البصريين، والثانى مذهب الكوفيين.

وعلى الرغم من اختـلاف المذهبين حـول مـورد الظاهرة فـإن كـلا المذهبين لا ينكر ما جاءت به الرواية على لسـان ابن جنى من أن كثيرا من (عقيل) يحرك من ذلك مالا يتحرك أبدا لولا حرف الحلق فيقول قائلهم : أنا مَحَمُوم واللحم، وساروا (نحوه) بفتح الحاء في كل هذا[2].

وعلل سيـبويه فتـح حروف الحلق بأنها سـفلت في الحلق فكرهوا أن يتناولوا حركة ما قـبلها بحركة ما ارتفع من الحروف فجعلوا حـركتها من الحرف الذى في حيزها وهو الألف[3].

---

(١) القرطبى ٧/ ٢٨٣.
(٢) المحتسب ١/ ٨٤، ٨٥، ١٦٧.
(٣) راجع الكتاب ٢/ ٣٠٢.

وقد يؤثر حرف الحلق في الساكن قبله فيفتحه كما يفتح نفسه إن سكن وهو ما ذهب إليه ابن جني في تعليل فتح الراء من (قَرحَ) كما فتح الوسط من أجله في (يسنح) و (يسفح)[1].

وهذا التعليل يمكن أن تحمل عليه بقية القراءات التى جاءت بالفتح كقوله تعالى : (شطأه) (شنآن).

وإذا تجاوزنا القراءات الحلقية (العين واللام) إلى بقية القراءات التى رويت بالحركة والسكون مثل (الدرك، الرشد، عقبا، خبرا، نكرا، نصب، الوتر) وجدنا أن حذف الحركة وإثباتها من تباين اللغات كما هو واضح في توجيه بعض هذه القراءات وقد أدى إلى ذلك ميل القبائل العربية إلى نسيج خاص في مقاطع الكلمة فبعض القبائل يؤثر المقاطع المغلقة على المقاطع المتحركة وهذا أوضح ما يكون في القبائل البدوية وهذا ما تؤكده روايات اللغة (فالسقف، والبخل، والجمعة، وقبلا) بالسكون لغة بنى تميم [2] و (عذرا ونذرا وخبرا) بالسكون لغة تميم وأسد وعامة قيس[3].

---

(١) المحتسب ١/ ١٦٦، ١٦٧.

(٢) راجع البحر ٥/ ٤٨٥، ٣/ ٢٤٦، ٤/ ٢٦٧، ٦/ ١٣٧، ١٣٩.

(٣) الاتحاف / ١٤٣.

المجموعة الثانية: تسكين المتحرك

لا يخرج هذا التسكين أيضا في تلك المجموعة من القراءات وهى (ورقْكم، والإبْل، وهزْوا، قدْس، خمْسه، جرْف رجْل) إلخ عن كونه لغة وقد جاءت معزوة إلى قبائلها فقبل (خمسه) وماشاكلها من الثلث إلى العشرْ لغة بني تميم بالإسكان[1] وبالتحريك لغة أهل الحجاز[2] وفي (رجْل) بسكون الجيم لغة تميم ونجد[3] وفي (صحْف) بسكون الحاء لغة بنى تميم[4].

ولا خلاف بين النحاة في حذف هذه الحركة في كل ما تقدم لأنها حركة البنية، وإنما الخلاف في حذف الحركة الإعرابية فعد بعضهم الإسكان الصريح لحنا في مثل (إلى بارئْكم) بسكون الهمزة في قراءة أبى عمرو، وإن الله يأمرْكم بسكون الراء في قراءته أيضا. . ورد القراء وبعض النحاة هذا الإنكار في حذف الحركة الإعرابية وتلحين من قرأ به بأن القراءة سنة عن النبى ، ولغة العرب تسيغ ذلك فإنكار من أنكره منكر[1].

وروى أبو حيان عن أبى عمرو أن تسكين المرفوع من (يعلمْه) ونحوه لغة بنى تميم ونسبها ابن جني إلى تميم[6] وأسد[7].

---

(١) القرطبى ٥/ ٦٣، ٦٤.
(٢) البحر ٣/ ١٨١، ٨/ ٣٦٦.
(٣) البحر ٧/ ٤٦٠.
(٤) البحر ٨/ ٤٦٠.
(٥) البحر ١/ ٢٠٦.
(٦) المرجع السابق .
(٧) الخصائص ١/ ٧٣.

ومن العجـيب أن تكون هذه الظاهرة لغة لبـعض القبائل العـربية ثم ينكرها نحاة البصرة ويردون القراءة بهـا، لقد كان نحاة الكوفة أعدل منهم مسلكا في جعل القراءات مصدر التقعيد عندهم..

* * *

تم بحمد الله

المراجع الاساسية

١ ـ الإبانة عن معانى القراءات لمكى بن أبى طالب حموش القيسى ـ تحقيق د. عبد الفتاح إسماعيل شلبى ـ نهضة مصر ـ الطبعة الأولى (بدون تاريخ).

٢ ـ الإتقان في علوم القرآن للحافظ جلال الدين السيوطى ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة الأولى ١٩٦٧.

٣ ـ البرهان في علوم القرآن للامام بدر الدين الزركشى ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . دار المعرفة ١٩٧٢.

٤ ـ تاريخ القرآن لأبى عبدالله الزنجانى ـ مؤسسة الأعلمي الطبعة الثالثة ١٩٦٩.

٥ ـ تاريخ القرآن : د. عبد الصبور شاهين ـ دار القلم ١٩٦٦.

٦ ـ تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ـ تحقيق السيد أحمد صقر الطبعة الأولى ١٩٥٤.

٧ ـ تفسير الطبرى (جامع البيان عن تأويل القرآن) لا بن جرير الطبرى تحقيق : محمود محمد شاكر. دار المعارف الطبعة الثانية ١٩٦٩.

٨ ـ حجة القراءات للإمام أبى زرعة ـ تحقيق سعيد الأفغانى ـ مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية ١٩٧٩.

٩ ـ الظواهر اللغوية في القراءات : دراسة مقارنة لتوجيهاتها عند اللغويين د. إسماعيل أحمد الطحان. مخطوط (تحت الطبع) ١٩٧٤.

١٠ـ في اللهجات العربية: د. إبراهيم أنيس ـ مكتبة الانجلو ـ الطبعة الرابعة ١٩٧٣.

١١ ـ اللألىء الحسان في علوم القرآن: د. موسى شاهين مطبعة

الفجر الجديد ١٩٨٢ .

١٢ ـ مباحث في علوم القرآن : د. صبحى الصالح. دار العلم للملايين ١٩٧٩ .

١٣ ـ مدخل إلى القرآن الكريم : د. محمد عبد الله دراز ـ الطبعة الأولى ـ دار القلم ١٩٧١ .

١٤ ـ المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز للإمام شهاب الدين أبى شامة ـ تحقيق طيار آلتى قولاج ـ دار صادر ١٩٧٥ .

١٥ ـ مناهل العرفان في علوم القرآن : للشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى مطبعة الحلبى ـ الطبعة الثالثة (بدون تاريخ).

* * *



١- الفهرس

٢- الفهرس

٣- الفهرس

٤- الفهرس

دار الحرمين للطباعة بالقاهرة ت : ٨٢٠٣٩٢ فاكس : ٢٩٧٩٧٣٥